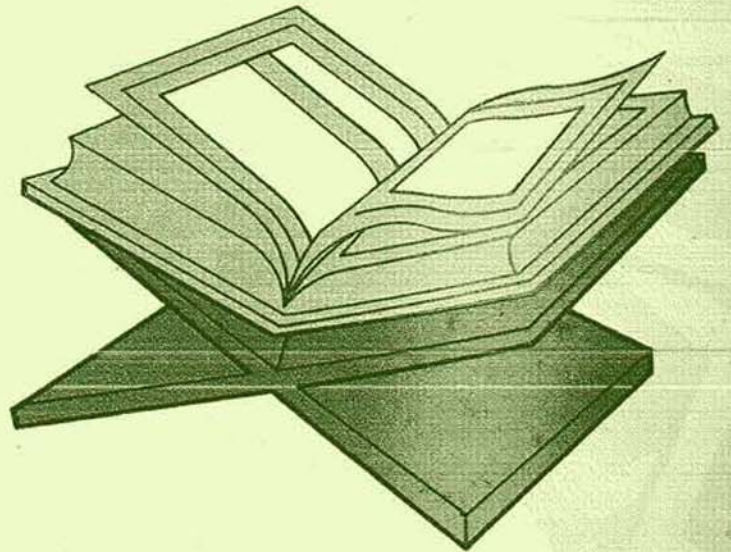


هَيْبَةُ كُرْبَةَ الْإِسْتِفْهَامِ

فِي

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أجزاء الأول



عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللدي  
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة سابقاً

همزة الاستفهام في القرآن الكريم

٢١١ر٦١

عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي  
همزة الاستفهام في القرآن الكريم/عبد الرؤوف  
سعيد عبد الغني اللبدي — عمان — الاردن

١٩٩٢

( — ٣٥٢ — ) ص

ر. أ (١٩٩٢/٤/٢١١)

١ — القرآن الكريم — الفاظ — أالعنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وأصلى وأسلم على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
- أما بعد فهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم:
- ١ - أول كتاب - فيما أعلم - يدرس همزات الاستفهام في القرآن الكريم دراسة تطبيق واستقراء واستقصاء وشمول.
  - ٢ - يدرس كل همزة على انفراد ضمن الآية التي وردت فيها دراسة بلاغية.
  - ٣ - لا يكتفى بعرض الآية التي وردت فيها همزة الاستفهام، بل يعرض معها الآيات التي تتصل بها في المعنى لتم الرؤية وتتضح الصورة.
  - ٤ - يشرح الآيات التي وردت فيها همزات الاستفهام والآيات التي تتصل بها شرحاً أدبياً يتضمن المعاني التي تنص عليها الآيات ومعاني أخرى توحى بها ويتطلبها السياق والمقام.
  - ٥ - يشرح المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام ويخرجها من أكامها الاصطلاحية، فيبين معنى الإنكار وما المراد بالتقرير، ومم كان التعجب والتعجب، وعلام كان التوبيخ والتقريع، ومم كانت السخرية والاستهزاء، وهكذا بقية المعاني.
  - ٦ - يعرب الكلمات التي وردت في صيغ الاستفهام حيث يكون الإعراب مساعداً على فهم المعنى، فالإعراب تحليل للكلمات وبيان لموقع كل كلمة من أختها وعلاقتها بها، ولاشك أن ذلك يعطيك عمقا في الفهم ودقة في الإدراك.
  - ٧ - يعتمد على كتب المفسرين المذكورة في مراجع هذا الكتاب، يعتمد عليها في شرح الآيات وفي بيان المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام.
  - ٨ - يتجافى عن الخلافات بين المفسرين في معاني الآيات، ويختار منها ما اتفق عليه المفسرون.



ويتجنب الخلافات في المعاني البلاغية ويختار منها ما اتفق عليه معظمهم، أو ما رأى هذا الكتاب أنه الأحق الأصوب.

٩ - يجتهد هذا الكتاب ويبدى رأيه في المعاني البلاغية لهزات الاستفهام التي لم يذكرها المفسرون.

١٠ - لم يذيل هذا الكتاب أسافل صفحاته بجواش تشير إلى مراجع آراء العلماء التي تذكر في أثناء البحث، لم يفعل ذلك اكتفاء بذكر صاحب الرأي وتفسيره، فأيات القرآن الكريم قد عُيِّنت أرقامها في هذا الكتاب وسميت سورها، فن السهل بعد ذلك الرجوع إلى الرأي في كل تفسير دون حاجة إلى بيان الصفحة والجزء وذكر الطابع والناشر.

١١ - يحرص هذا الكتاب على أن يريك النهج الذي نهجه والدرب الذي سار عليه فيقدم إليك صورة مما جاء فيه، وإليك هذه الصورة :

« أما الفعل الثاني والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجز)، وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين (٣١) » الآيات : (٢٧ - ٣١) من سورة المائدة.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلو بالحق وبالصدق على بني إسرائيل خبر ابني آدم هابيل وقابيل إذ قرّب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وكان هابيل صاحب ماشية يعمل الصالحات، فعمد إلى خير ماشيته فتقرب به إلى الله تعالى يتغني مرضاته، فتقبل الله منه.

أمر قابيل فكان صاحب زرع يعمل السيئات فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به إلى الله تعالى خداعا ورياء، فلم يتقبل الله منه. فغضب قابيل أشد الغضب على أخيه هابيل، وحسده أن يتقبل الله قربانه، فقال ينذر ويتوعد: لأقتلك يا هابيل شر قتلة!!

قال هابيل في هدوء ورفق وسكينة: وما ذنبي فتقتلني؟! أنا لم أسيء إليك في شيء، كل ما فعلته أنني تقربت إلى الله تعالى بأفضل ما عندي أبتغي به وجهه، فتقبل الله تعالى مني.

أما أنت فلم تحسن اختيار ما تقرب به إلى الله، لقد تقربت إليه تعالى بأردأ ما عندي، فلم يتقبل منك، إنما يتقبل الله من الذين يخشونه ويقومون بطاعته وكانوا متقين.

ولئن مددت إليّ يدك لتقتلني فلن أدفعك ولن أذفع عن نفسي، وما أنا بمأدٍ إليك يدي لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين، وإن الله لا يحب المعتدين.

وإذا كان القتل لا بد منه، فإما أن تقتلني وإما أن أقتلك، فأنا أختار أن تقتلني على أن أقتلك لتحمل إثم قتلي وإثم معاصيك من قبل فتكون أنت من أصحاب النار، وتلك النار جزاء الظالمين.

وتسكن سورة غضب قابيل حين سمع أخاه هابيل يقول له قولاً لينا، ويقف منه موقفاً مسالماً، ويترك باب القتل أمامه مفتوحاً دون مدافع.

وينام النهار، وتتلفع الأرض بليل ضاع فيه القمر وعميت فيه النجوم، وتأوى نفس قابيل إلى قابيل تهمس وتوسوس وتزّين له قتل أخيه، وبعد لأي وعناء وأخذ وعطاء طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله.

وتشرق شمس الصباح لتذيع أسرار الليل، وينهض قابيل من مضجعه ليرى ماذا صنعت يداه.

مالذي تريد أن تراه يا قابيل؟! هاهي ذي جثة أخيك غارقة في الدماء مهشمة الرأس والأعضاء، أرايت أبشع منها صورة وأقبح منها منظرًا؟! وهل شممت أخبث منها ريحاً وأنثن منها رائحة؟! أوطبت نفساً بعد هذا وهذا وهذأت بالاً يا قابيل!؟

لقد هزّت تلك الجثة المشوّهة البائسة البشعة حنانا كان نائما في صدر قابيل، واستصرخت أخوة حانية كانت نائية عنه فأصبح من النادمين. لقد أسقط في يد قابيل، ووقف أمام جثة أخيه باكيامشدها يصيح وينوح ولا يدري ماذا يصنع:

واحسرتاه! واحسرتاه! ماذا أصنع بجثتك ياهاييل؟! لقد كنت من قبل هذا ملء السمع وملء البصر، وهأنذا جثة هامدة خرساء لاتسمع النداء!! ماذا أصنع ياهاييل؟! أوأدعك هكذا لقي فوق الأرض وتحت السماء؟! ياإلهي، هب لي من لدنك هدى ورشدا!.

لقد كان هاييل أول قتيل فوق الأرض، وماكان قابيل يدري سنة الله في الموتى، فبعث الله غرابين يقتتلان على مرأى منه ومسمع، ويقتل أحدهما الآخر ويحفر له في الأرض حفرة ويلقيه فيها ويحثو عليه التراب. ويشهد قابيل هذا المشهد فيصيح: ياويلتا! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الحقير فأواري سوءة أخى؟!

ويصنع قابيل ما صنع الغراب القاتل، ويواري سوءة أخيه في جوف الأرض، ولكنه لم يستطع أن يواري حسرة تتلظى في صدره، وندما ينهش قلبه، وجزاء عند الله لايزال ينتظر.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر: فقد أنكر قابيل على نفسه ونعى عليها وآنبها أن لاتبلغ مبلغ هذا الغراب في حسن التصرف وسداد الرأي.

وتعجب من عجزه عن أن يهتدي إلى ما هتدى إليه هذا الطائر المزدري وهذا الغراب الحقير.

وتحسر من جراء هذا العجز الفاضح المهين. وقد ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن (فأواري) منصوب على أنه جواب الاستفهام، وقد ردّ هذا الرأي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري هذا قال: «وهذا خطأ فاحش لأن الفاء الواقعة جوابا للاستفهام علامتها أن ينعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط

وجزاء مع صحة المعنى، ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوءة أخى لم يصح المعنى، لأن المواراة لا ترتب على عجزه عن كونه مثل هذا الغراب» اهـ بتصريف.

ثم بيّن أبو حيان أن النصب في الفعل المضارع (فأواري) لأنه معطوف على الفعل المضارع المنصوب (أن أكون). فالفاء الداخلة على الفعل المضارع في (فأواري) ليست فاء السببية المسبوقة بالاستفهام، وإنما هي مجرد العطف.

قارئى الكريم :

على هذا الطريق سرت في دراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي، وهذا هو النهج الذي نهجته في هذا الكتاب الذي بين يديك. وإذا كان المؤلفون قديما وحديثا قد درجوا على أن يذكروا في مقدمات كتبهم الأسباب الداعية إلى تأليف تلك الكتب ونشرها على الناس، فإن الحديث عن كتاب الله تعالى وبيان شيء من خصائص أساليبه ومزايا آياته واجب على كل من استطاع إليه سبيلا.

ولقد جاء الاستفهام في القرآن الكريم أسلوبا ممتازا في كثرة وروده ووفرة استعماله ودواعيه وتنوع معانيه ومرامييه، فقد ورد في حوالي ألف ومئتين وستين موضعا، وإذا كانت آيات القرآن الكريم قد بلغت حوالي ستة آلاف ومئتين وست وثلاثين آية - على خلاف بين العلماء في هذا العدد - تبين لك مبلغ هذه الكثرة ومدى انتشار الاستفهام في كتاب الله العظيم. وهذه الكثرة في استعمال أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم تدل على قوة هذا الأسلوب ومبلغ تأثيره ووفرة مقتضياته ودواعيه.

ومما يشهد لتلك القوة وذلك التأثير ووفرة هاتيك الدواعي والمقتضيات أن القصائد التي تتضمن السؤال والحوار من أمتع القصائد، وأن الأدب المسرحي الذي يقوم على الأسئلة والحوار من أروع أنواع الأدب، وأن طريقة الحوار في التدريس التي تعتمد على الأسئلة من أنجع طرق التعليم، وأن الخطيب الذي لا يثير عواطف مستمعيه من حين إلى حين بتساؤلاته خطيب أعجم، وأن الصحفي الذي لا يتقن إلقاء الأسئلة لا يأتيك بالأخبار، وأن الأطباء

والقضاة والمحامين والمدرسين ومراسلي وسائل الإعلام - وغيرهم كثير - لا يبالغون في النجاح والفوز في مهماتهم إلا إذا كانوا ذوي مقدرة فائقة على إنشاء الأسئلة الدقيقة وإلقاء الاستفهامات العميقة، ولا أكون متجانفا عن الحق إذا قلت لك أن معظم ما في هذا العالم من مسائل العلم والمعرفة كان جوابا عن سؤال.

ولقد استعملت أدوات الاستفهام كلها في القرآن الكريم، غير أن همزة الاستفهام كان لها القدر المعلى ونصيب الأسد، فقد استعملت في حوالي خمسمائة وستين موضعا، وهذا العدد يكاد يبلغ نصف المقدار الذي جاء عليه الاستفهام بأدواته كلها في القرآن الكريم.

وكما تميزت همزة الاستفهام دون أخواتها بكثرة الاستعمال تميزت كذلك بكثرة الأساليب وكثرة المعاني، وربما كان سبب ذلك كله أن الهمزة جاءت على حرف واحد فخفت على اللسان وخفت في الآذان، وأنها تصلح لأن يسأل بها عن مضمون الجملة وعن مفرداتها، وأنها تدخل على الأفعال والأسماء والحروف وأدوات الشرط، ويسأل بها عن متعلقات الفعل، ولم يتأت هذا كله لأداة استفهام أخرى غير الهمزة. وما أحب أن أنبهك عليه في هذه المقدمة :  
أولا : أن الاستفهام في القرآن الكريم جاء على ضربين :

### الضرب الأول : الاستفهام الحقيقي :

وهو ما يطلب به معرفة المستفهم عنه، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يسأل سؤالا حقيقيا، لأن السؤال الحقيقي يستلزم الجهل بما يسأل عنه، والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وما ورد في القرآن الكريم من سؤال حقيقي - وهو قليل جدا - جاء محكيا عن غير الله تعالى، كقول سليمان عليه السلام لمن حوله : (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) الآية (٣٨) من سورة النمل.



## الضرب الثاني : الاستفهام غير الحقيقي :

وهو ما يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر أو أكثر كالإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر في سؤال هابيل السابق: (أعجزت أن أكون

مثل هذا الغراب) (من الآية (٣١) من سورة المائدة). فهو لا يريد أن يسأل عن عجزه، ولكنه يريد أن ينكر على نفسه هذا العجز، وأن يؤنبها عليه وأن يتحسر له ويتعجب منه.

ثانيا : أن المعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام كالإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر والتهديد وغير ذلك مما سيأتي في هذا الكتاب، هذه المعاني ليس لها قواعد موضوعة مضبوطة منظمة يحتمك إليها، وإنما يعتمد في ادراكها على التذوق الأدبي الذاتي وعلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحيط بالاستفهام، ومن الطبيعي أن يختلف المفسرون في أذواقهم الأدبية وفي اكتناه ما يحيط بالاستفهام من أحوال وقرائن، فكان طبيعيا أن يختلفوا أحيانا فيما يدل عليه الاستفهام من معنى أو معان بلاغية.

ولهذا كان لابد من ذكر همزات الاستفهام ضمن آيات تامات، وأن يذكر مع آيات الاستفهام آيات تتصل بتلك الآيات في المعنى ليتبين المناخ الصالح والقرائن المسعفة لاكتناه ما يدل عليه الاستفهام من معان بلاغية.

وكما تفقد الزهرة المخضلة كثيرا من جمالها النضر وأريجها العطر إذا فارقت بيئتها الطبيعية وأرضها المخضرة وغصنها المياس، كذلك تفقد الجملة الاستفهامية كثيرا من بلاغتها المعبرة وروعها المؤثرة وأدائها اللماح إذا ذكرت مبتورة من آياتها وآيات آخر تتصل بها ويتم بها المعنى المراد.

## قارئ الكرم :

هذا الكتاب الذي بين يديك هو الجزء الأول من أجزاء ثلاثة :  
وقد اختص هذا الجزء الأول بدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي في فصله الأول، وعلى أدوات الشرط في فصله الثاني.

أما الجزء الثاني فسوف يختص — إن شاء الله تعالى — بدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل المضارع وعلى متعلقات الفعل.  
أما الجزء الثالث فسوف يكون بمشيئة الله تعالى لدراسة همزة الاستفهام الداخلة على الجملة الإسمية.  
والله تعالى أسأل أن يسدّد خطاي وخطاك على طريق الخير، وأن يعين على فهم شيء من كتاب الله الكرم، وعلى تذوق بعض ماجاء في أساليبه البلاغية، إنه نعم المولى ونعم المعين.

### المؤلف

عبد الرؤوف سعيد عبد الغنى اللبدي

# الفصل الأول

## الهمزة الداخلة على الأفعال الماضية

### مرتبة بحسب الحرف الأول من فعلها الثلاثي المجرد

#### ١ - اتخذ

الفعل الماضي الأول الذي دخلت عليه همزة الاستفهام في القرآن الكريم هو ( اتخذ )، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع :  
الموضع الأول في قوله تعالى :

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ  
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ  
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ  
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ  
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً  
وَأَحْطَطَ بِهَا خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

الآيات : ( ٧٩ - ٨٢ ) من سورة البقرة.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :  
أن الله سبحانه وتعالى يهدد بالعذاب الشديد يوم القيامة أحبار اليهود  
الذين كانوا يكتبون التوراة بأيديهم يختلفون فيها ويبدلون، ويقولون لليهود

الأميين الذين لا يعرفون من التوراة إلا ما يقرأ لهم، يقولون عن هذا الذي اختلقوه وافتروه هو من عند الله، وكانوا يفعلون ذلك ليناألوا منافع دنيوية حقيرة خسيسة، ولتظل لهم على سائر اليهود رئاسة وهيمنة وسلطان.

وكان اليهود يرجعون إلى هؤلاء الأخبار يستفتونهم فيما يحل ويحرم، فينال الأخبار من وراء هذا الاستفتاء رشا ظالمة، وما آكل دسمة، وهدايا آثمة، وما دب يملئون منها البطون.

وكان مما بدّل هؤلاء الأخبار وغيروا صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في التوراة الأصلية قبل أن تحرف وتبدل، فقام الأخبار فاستبدلوا بها صفات بعيدة كل البعد عن صفاته صلى الله عليه وسلم، وكتبوا هذه الصفات المختلفة في التوراة مكان تلك، وقالوا إن صفات الرسول في التوراة لا يتصف بها محمد.

فعل أخبار اليهود ذلك لئلا ينفض اليهود من حولهم ويتبعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، ولئلا يضيع عليهم ما آكل لذيدة دسمة، وهدايا آثمة ظالمة، ولئلا يضيع مع هذا كله رئاسة وهيمنة وسلطة وسلطان.

هؤلاء الأخبار المفترون المختلفون سيضاعف الله لهم العذاب يوم القيامة ضعفين، لكل جرم مما ارتكبوا ضعف، فعذاب على ما كتبوه في التوراة مختلفا مفترى وقالوا هو من عند الله، وعذاب على ما اكتسبوه من سحت ورشا يستحلون به ما حرم الله.

ومما افتراه هؤلاء الأخبار واختلقوه وقالوا هو من عند الله زعمهم أن اليهود لا يعذبون يوم القيامة في نار جهنم إلا أياما معدودة ثم يخرجون إلى الجنة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسألهم إنكارا عليهم وتوبيخاً لهم: أتني لكم هذا الذي تزعمونه؟! أعهدا اتخذتموه عند الله والله لا يخلف عهده، أم تقولون هذا من عند أنفسكم وتكذبون به على الله وتدعون ما لا تعلمون؟!!

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على أولئك الأخبار الذين قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، ردّ عليهم بأن النار سوف تمسهم مساً أليماً، وأنهم قد

اكتسبوا إثما عظيما، وأن هذا الذي يقولونه ويفعلونه خطيئة أحاطت بهم من كل جانب، وضربت بينهم وبين الإيمان بسور ليس له باب، فهم وأمثالهم سيكونون يوم القيامة أصحاب النار، لا تنفك عنهم ولا يخرجون منها، فهم فيها خالدون.

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك أصحاب الجنة يقيمون فيها سرمدا، ولا يخرجون منها أبدا، وهم فيها خالدون.

أما هذا الاستفهام : (أأخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) فقد جاء مفيدا التقرير والتوبيخ :

التقرير على معنى طلب الاعتراف بأحد الأمرين أيها واقع : اتخذكم العهد عند الله أم قولكم على الله ما لا تعلمون، والأمر الأول لم يقع فهم لم يتخذوا عهدا عند الله، فلم يبق إلا أن يعترفوا بالأمر الثاني وهو أنهم يقولون على الله الكذب في ادعائهم أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة.

ويفيد توبيخ أحبار اليهود على كذبهم وافتراءهم في قولهم : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة.

وإفادة هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ قائمة على أن (أم) متصلة عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وأكثر المفسرين يجوزون أيضا أن تكون (أم) منقطعة، ويفسرها بعضهم ببل والهمزة، ويكون تقدير الكلام على رأيهم هذا : أأخذتم عهدا عند الله فلن يخلف الله عهده، بل أقولون على الله ما لا تعلمون. وعلى هذا يكون استفهام (أأخذتم) للإنكار بمعنى النفي، أي ما أخذتم عهدا عند الله، ويكون استفهام (بل أقولون) للتوبيخ.

وذهب السيوطي في تفسير الجلالين إلى أن استفهام (أأخذتم) لإنكارالاتخاذ ونفيه، وأن (أم) للإضراب الانتقالي، ويكون تقدير الكلام على رأيه : ما أخذتم عند الله عهدا، بل تقولون على الله ما لا تعلمون.

والرأي الأقوى — فيما يبدو لى — أن تكون (أم) متصلة، وأن الاستفهام للتقرير والتوبيخ على ماتقدم بيانه وشرحه، ذلك لأنه هو المتبادر إلى الذهن، ولهذا قدمه معظم المفسرين، وبعضهم لم يذكر غيره، ولأن فيه



حمل المخاطبين على الاعتراف بخطيئتهم وافترائهم، وهذا ما يتطلبه المقام  
وتستدعيه بلاغة الكلام.

وهنا أمور أحب أن أنبهك عليها :

الأول : همزة (أَتَّخَذْتُمْ) هي همزة الاستفهام، والأصل (أَتَّخَذْتُمْ) بهمزتين :  
الأولى همزة الاستفهام وهي مفتوحة، والثانية همزة الوصل وهي مكسورة،  
فحذفت همزة الوصل تخفيفاً واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

الثاني : (اتَّخَذَ) هذا الفعل تارة يتعدى إلى مفعولين اثنين، وتارة إلى  
مفعول به واحد، وهنا تعدى إلى مفعول به واحد هو (عهداً)، وأما (عند)  
فظرف متعلق ب (اتَّخَذَ).

الثالث : الفعل الماضي (اتَّخَذَ) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام فعل  
خماسي على وزن (افتعل)، وقد اختلف في فعله الثلاثي المجرد فذهب  
الجوهرى إلى أن فعله الثلاثي المجرد هو (أَخَذَ يَأْخُذُ) من باب نصر يبصر،  
فالحرف الأول فيه هو الهمزة، وأصل (اتَّخَذَ) على رأيه (إَتَّخَذَ) بهمزتين :  
الأولى همزة وصل زائدة والثانية أصلية هي فاء الكلمة، فاجتمع همزتان  
ثانيتها ساكنة وقبلها همزة مكسورة فقلبت الثانية الساكنة ياءً لمجانسة الكسرة  
قبلها، فصارت الكلمة (إِتَّخَذَ) فوقعت الياء التي هي فاء الكلمة قبل تاء  
الافتعال فأبدلت تاءً وادغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة اتَّخَذَ.

وذهب ابن الاثير إلى أن فعل (اتَّخَذَ) على وزن افتعل وهو مأخوذ من  
(تَخَذَ يَتَخَذُ) من باب (علم يعلم) فالحرف الأول فيه التاء، وليس في  
الكلمة إبدال وقد ذهبت في دراستى هذه إلى ما ذهب إليه الجوهرى، لأنه  
الأصوب (راجع تاج العروس شرح القاموس للزبيدي في مادة (تَخَذَ)).

## الموضع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على ( اتخذ ) قد ورد في قوله تعالى:

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ

عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

الآية (١٦) من سورة الرعد.

في هذه الآية الكريمة :

يأمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين من قومه : (من رب السموات والأرض)، والغرض من هذا السؤال أن يقروا بما لامقروا من الإقرار به فيقولوا: رها الله. ثم يأمره عز وجل أن يجيب هو نفسه عن هذا السؤال بقوله : (هو الله)، للتنبيه على أن المشركين يقرون بهذا الجواب ولا يقدرّون على انكاره.

ثم يأمره تعالى أن يقول للمشركين ما يتضمن :

وإذا كنتم تقولون بأن الله هو رب السموات والأرض فلم تتخذون الأصنام آلهة تعبدونهم من دون الله وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولم تتركوا عبادة رب السموات والأرض الذي بيده النفع والضر والموت والحياة؟!!

قل لهم — يا محمد — تصويرا لأرائهم وتوبيخا لهم عليها وتهكما بهم : لا يستوى الأعمى الذي لا يرى شيئا، فهو يسير على طريق ذي عوج خابط ليل لا يدرى أين يذهب، والبصير الذي يرى كل شيء، فهو يسير على طريق مستقيم ثابت الخطا لا يكبو ولا يتعثر.

كذلك لا يستوى المشركون الذين لا يرون الحق ولا يبصرون الهدى،

والمؤمنون الذين يبصرون الحق فيتبعونه، ويرون سبيل الهدى فيسلكونه.  
الظلمات والنور لا يستويان، وكذلك الشرك والإيمان لا يستويان. قل لهم  
توبيخا لهم وتهكما بهم: أخلقت أصنامكم التي تعبدونها من دون الله أشياء  
كما خلق الله، فاشتبه عليكم ما خلقت وما خلق فجعلتموها شركاء لله من  
أجل ذلك؟!!

أروني ماذا خلقت أصنامكم يا عبدة الأصنام، وماذا تقدر أن تخلق؟! إنها  
لا تستطيع أن تخلق ذبابا ولو اجتمعت له وتنادت إليه.  
أيها المشركون، إن الله هو خالقكم وخالق أصنامكم وخالق كل شيء،  
وإن الله هو الواحد الذي لم يشاركه أحد في الخلق، وهو الذي لا يعجزه  
شيء في السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير، فعبادة غيره جهالة  
وسفاهة وضلال.

أما هذا الاستفهام : ( أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا  
ولا ضرا ) فقد جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتهكم.  
الإنكار بمعنى لا ينبغي لكم أيها المشركون أن تتخذوا من دون الله أصناما  
آلهة لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء، وأن تركوا عبادة الله الذي تعترفون  
بأنه رب السموات والأرض، خلقها وخلقكم وخلق أصنامكم، وهو خالق  
كل شيء.

ويفيد التهكم بهم وتوبيخهم على جهالتهم وسفاهتهم وضلالهم في  
عبادتهم ما لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يقدر على شيء، وعلى تركهم عبادة  
رب السموات والأرض الواحد القهار القادر على كل شيء.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في ( أفأخذتم ) عاطفة، وقد اختلف  
في المعطوف عليه، فعلى رأي سيبويه والجمهور يكون المعطوف عليه هو ما قبل  
الهمزة، وعلى رأي الزمخشري يكون المعطوف عليه مقدرا بعد الهمزة يدل عليه  
السياق، وقد قدره أبو السعود في تفسيره على النحو التالي : « أعلمتم أن  
رهبها هو الذي ينقاد لأمره من فيها كافة فأخذتم ».

وتقدير هذا المعطوف عليه تكلف لاداعي إليه.  
والجار والمجرور ( من دونه ) يتعلقان بفعل ( اتخذتم ) و ( أولياء ) مفعول به،  
وجملة ( لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ) في محل نصب صفة لأولياء.

## الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على (اتخذ) قد ورد في قوله تعالى :

هَذَا وَإِيتِ

لِلطَّغِينِ لَشْرَمَاتٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُونَ الْمَاهِدَ ﴿٥٦﴾ هَذَا

فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِتْمَعُوا صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزَلِ رِجَالًا لَا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ

سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ مُخَاصِمٍ أَهْلِ

النَّارِ ﴿٦٤﴾

الآيات: (٥٥ - ٦٤) من سورة ص.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

للذين استكبروا عن الإيمان برهم واتباع ما جاءهم به الرسل، لهؤلاء يوم القيامة شر مآب، سيؤوبون إلى نار جهنم يصلونها ويعذبون فيها أنواعا شتى من العذاب.

وإذا كانوا في الدنيا قد اعتادوا أن يناموا على فراش لين وثير، ومن فوقهم أغطية ناعمة من حرير أو كالحرير، فسوف يكون لهم يوم القيامة في جهنم مهاد جديد ولكنه من نار، وسوف يكون لهم أغطية لم يعرفوها من قبل هي السنة لهب جهنم، فبئس المهاد مهادهم في جهنم، وبئس الدثار دثارهم في السعير.

لقد كان لهم في الدنيا طعام شهّي هنيء، وشراب سائغ مريء، يتذوقونه فيجدون في مذاقه لذة أيّما لذة، ومتعة مابعدھا متعة، ولن تبخل جهنم يوم القيامة على هؤلاء الذين كانوا في الدنيا طغاة قد استكبروا عن الإيمان بالله، وأعرضوا عما دعاهم إليه الرسل، سوف تقدم لهم ماء كالمهل يغلى في البطون، وصديدا يسيل من جلودهم وجلود غيرهم حين تشوى في نار جهنم.

ولن تكفي جهنم بهذا، سوف تقدم معه أنواعا كثيرة من شكله وجنسه يجدون في مذاقها أنواعا من الآلام وألوانا من العذاب.

ويرى الطاغون وهم يقتحمون نار جهنم فوجا مزدحا من أتباعهم الذين أضلّوهم في الحياة الدنيا، يرونهم يقتحمون نار جهنم معهم فيقول الطاغون بعضهم لبعض في ضيق وتضجر: لا مرحبا بهؤلاء الأتباع، إنهم يصطلون معنا النار، فياللهوان وياللهار! أنجتمع نحن العلية ذوو الشرف والرفعة وهؤلاء السفلة ذوو الهوان والضعفة، أو يضمنا جميعا مكان واحد على درجة سواء؟! ما كان هذا ليقع من قبل في دار الدنيا، ولكنه اليوم واقع!! واحرباه!!.

ويسمع الأتباع — وقد سقطت عنهم ذلة التبعية وأوضارها، وتعرى الطغاة مما كان لهم من هبة وهيمنة وسلطان — فيقولون للطغاة بصوت ينضح بالحقد والكراهية والنقمة، وينفخ الشر والغلظة والسوء: بل أنتم لامرحبابكم، أنتم الذين ثنيتمونا عن الإيمان بما جاءت به الرسل، وزينتم لنا الكفر وعبادة الأصنام، فكانت عاقبة أمرنا أن اقتحمنا معكم هذه النار وبس القرار!!.

ربنا هؤلاء الطغاة هم الذين أضلّونا في الحياة الدنيا وجنوا علينا حياة الآخرة، اللهم آتهم ضعفين من العذاب، جزاء ضلالهم ضعفا، وجزاء إضلالهم الضعف الآخر.

ويتذكر الطغاة أناسا آخرين امنوا بالله واتبعوا الرسل، فيقول بعضهم لبعض: مالنا لانرى رجالا كتنا نعدّهم من الأشرار، آذيناهم كثيرا، وسخرنا منهم طويلا، وحقرناهم أسوأ تحقير، فصبروا على أذانا، ولم يباليوا بما كان



منا، ترى أين هم اليوم؟! أتراهم ذهبوا إلى الجنة فلم نعد نراهم، أم تراهم  
معنا في النار ولكن زاغت عنهم الأبصار؟!  
لقد أخطأنا في اتخاذهم سخرى وهزوا، فقد تبين اليوم أنهم كانوا من  
الأخيار، وكنا نحن من الأشرار.

إن هذا التخاصم بين الطغاة وأتباعهم لواقع يوم القيامة في نار جهنم،  
وإنه لحق لاينكره ولايشك فيه إلا مجرم كفار.

هذا، وقد قرأ أربعة من القراء السبعة قوله تعالى: (أخذناهم سخرى  
أم زاغت عنهم الأبصار) بهمزة القطع في أخذناهم على أنها همزة  
الاستفهام استغنى بها عن همزة الوصل، ويكون الاستفهام على هذه  
القراءة مفيدا الإنكار والتوبيخ والتحسر.

على معنى أن الطغاة ينكرون على أنفسهم يوم القيامة وهم يعذبون في  
النار سخريتهم في الحياة الدنيا بأولئك الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسل،  
وأهم ما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك.

ومع هذا الإنكار يؤثنون أنفسهم على تلك السخرية، ويتحسرون على  
ما فرطوا في جنب أولئك الذين كانوا يعدونهم من الأشرار.  
والجملة الاستفهامية (أخذناهم سخرى) على هذه القراءة جملة استئنافية  
لاحل لها من الإعراب.

وقرأ ثلاثة من القراء السبعة (أخذناهم) بهمزة الوصل، ويجوز على هذه  
القراءة أن تكون همزة الاستفهام مقدرة، فتتحد القراءتان في الدلالة على  
الاستفهام، ويجوز أن لا تكون همزة الاستفهام مقدرة، ويكون الكلام إخبارا،  
وتكون جملة (أخذناهم سخرى) حينئذ صفة ثانية ل (رجالا).

هذا، وفعل (أخذ) في قوله تعالى: (أخذناهم سخرى) متعد إلى  
مفعولين: المفعول الأول (هم)، والمفعول الثاني (سخرى)، والياء المشددة  
في (سخرى) ياء النسب تزداد في المصادر والصفات للمبالغة في الفعل،  
وقد زيدت هنا في المصدر للمبالغة في السخرية.

## ٢ - أمين

أما الفعل الثاني من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أمن)، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع:   
الموضع الأول والثاني والثالث في قوله تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا  
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ  
بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ  
ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾  
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ  
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنًا  
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا  
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ  
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

الآيات: ( ٩٤ - ٩٩ ) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

ما من نبي أرسله الله تعالى إلى أهل قرية إلا قابلوا دعوته بالإعراض والعناد، فعاقبهم الله تعالى بالبؤس والفقر وشتى المصائب لعلهم يدركون أن كفرهم بالله تعالى سبب ما نزل بهم من بأساء وضرراء، فيتضرعون إليه تعالى أن يتوب عليهم وأن يكشف عنهم ما أنزله بهم، ولكنهم لا يتضرعون ولا يتوبون، ويظلون في ضلالهم سادرين.

ثم يكشف سبحانه وتعالى عنهم ما أنزله بهم من سوء وضر، وينعم عليهم بالخير الوافر والرزق الحسن وسلامة أجسامهم من الأمراض، فيكثر عددهم،

وتكثر أموالهم ومواشيهم، ويكثر ماتنبت لهم الأرض، ينعم الله تعالى عليهم بذلك استدراجا وإمهالا لعلهم يعتبرون ويشكرون.

ولكنهم يظنون في حالة السراء كما كانوا في حالة الضراء على ضلال وعناد، ويقولون تماديا في الباطل وإمعانا في الجهل: هذه هي عادة الأيام والليالي، تسيء وتحسن، وتمسك وتجود، وليس للإعراض عما جاءت به الرسل صلة بما أصابنا من قحط وخصب وضر ونفع وسوء وإحسان، هاهم أولاء آباؤنا من قبلنا أصابهم ما أصابنا ولم تأتهم رسل!!

ابتلاههم الله تعالى بالضراء والسراء فلم يكن لهم في هذه ولا تلك معتبر ومدكر، فأخذهم بالعذاب الذي لا يبقى ولا يذر، أخذهم بغتة وهم أبعد ما يكونون تفكيراً في عذاب الله أو توقعا لنزوله، ليكون العذاب أشد وليكون العقاب أنكى وأشقى.

ولو أن أهل تلك القرى التي أرسل الله إليها نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعبيا، لو أنهم آمنوا بالله وبما دعاهم إليه الرسل واتقوا ما أنذروا به لفتح الله عليهم أبواب الرزق المبارك من كل جانب في السماء وفي الأرض، ولكنهم أبوا إلا الضلال، فلم يؤمنوا بالله معبودا لا شريك له، ولم يعترفوا بأن السراء والضراء من عند الله عز وجل، فأخذهم الله أخذا وببلا بكفرهم وتكبرهم عن اتباع الرسل.

لقد أمن أهل تلك القرى عذاب الله المباغت أن يأتيهم بياتا وهم نائمون، أو أن يأتيهم ضحى وهم في غفلة ساهون، لقد آمنوا عذاب الله أن يأتيهم فجأة وهم لا يشعرون، وما كان ينبغي لهم أن يأمنوا عذاب الله أبدا، إنه لا يأمن عذاب الله إلا القوم الخاسرون.

هذا، وقد أفاد استفهام (أمن) في مواضعه الثلاثة الإنكار والتوبيخ

والتعجب والتهديد والوعيد:

أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي لأهل تلك القرى الذين جاءهم الأنبياء المرسلون: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، لا ينبغي لهم أن يأمنوا عقاب الله تعالى وعذابه وقد اجترحوا ما يستحقون عليه العقاب والعذاب من كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم أولئك الأنبياء المرسلين، وتكبرهم عما دعاهم إليه، وتماديهم

في الغرور والعناد، وأفاد توبيخ أهل تلك القرى على أن يأمنوا العذاب والعقاب مع أنهم اقترفوا ما يستحقون عليه العذاب والعقاب.  
وأفاد التعجيب من أمنهم مع أن حالهم تستدعي أن يتخوفوا العذاب وأن يتوقعوا العقاب.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا (بطريق التعريض): التحذير والتهديد والوعيد لمشركى مكة بأن يأخذهم الله كما أخذ أهل القرى من قبلهم لإشراكهم بالله تعالى، وتكذيبهم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم، وتكبرهم عن اتباعه، وتماديهم في العناد والغرور، فليتعضوا بما أصاب غيرهم، وليحذروا أن يصيبهم ما أصاب المشركين المكذبين من قبلهم.

وقد صرح الزمخشري في تفسيره الكشاف بأن الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أفأمن)، والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أوأمن) حرفا عطف، وأن المعطوف عليه قوله تعالى (فأخذناهم بغتة) المذكور قبلها، وأن ما بين المعطوف والمعطوف عليه اعتراض.

وهذا يدل على أن الزمخشري لم يلتزم مذهبه وهو أن حروف العطف الواقعة بعد همزة الاستفهام تعطف على كلام مقدر بعد الهمزة يدل عليه السياق، ويدل أيضا على أن الزمخشري يذهب أحيانا مذهب سيبويه والجمهور وهو أن حروف العطف (الفاء والواو وثم) بعد همزة الاستفهام تعطف دائما على ما قبل الهمزة.

والمصدر المؤول من (أن يأتيهم) في قوله تعالى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون) في محل نصب مفعول به ل (أمن) و(بياتا) مصدر يجوز أن يكون ظرف زمان على تقدير مضاف أي وقت بيات، ويجوز أن يكون حالا من ضمير (يأتيهم) على تأويله باسم الفاعل أي بائتين، وهناك إعرابات أخرى، ولكن أفضل هذه الإعرابات أن يكون منصوبا على الظرفية الزمانية، ليجانس (ضحى) في الآية التي بعدها، وقوله (وهم نائمون) جملة في محل نصب على الحال، وصاحب الحال (هم) في يأتيهم، وربط جملة الحال بصاحبها الواو وهم في الجملة الحالية.

(ضحى) في قوله تعالى: (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا

ضحى وهم يلعبون) ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدره على الألف للتعذر، وقد حذفت هذه الألف لالتقاء الساكنين. ومن تذوقات المفسرين البلاغية ما ذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، قال: «وتكرر لفظ (أهل القرى) في قوله تعالى (إفأمن أهل القرى) وفي قوله تعالى (أوأمن أهل القرى) بعد قوله تعالى (ولو أن أهل القرى)، لأن في ذلك التكرار من التسميع والإبلاغ والتهديد والوعيد ما لا يكون في الضمير لو جاء (أفأمنوا) (أوأمنوا)، فإنه متى قصد التفضيم والتعظيم والتهويل جيء بالاسم الظاهر» اهـ بتصرف.

## الموضع الرابع

الموضع الرابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا  
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُوْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا  
 وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ  
 أَذُنَاتِهِمُ السَّاعَةَ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

الآيات: (١٠٥ - ١٠٧) من سورة يوسف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته منبثة في السموات والأرض لاتعد ولا تحصى، ففي كل خلق من مخلوقاته في السموات وفي الأرض حجة بالغة على أنه الخالق الواحد الأحد. وما أكثر ما يرى المشركون هذه الآيات، ولكنهم يرون عليها معرضين لا يفكرون فيها ولا يعتبرون.



وكثير من هؤلاء المشركين يؤمنون بالله فيقولون: الله خالقنا، وهو الذي  
يحيينا ويميتنا، ولكن إيمانهم يشوبه الشرك، فهم يتخذون الأصنام آلهة يعبدونهم  
من دون الله تعالى.

فلا ينبغي هؤلاء المشركين أن يأمنوا عذابا من الله ينزله بهم، فلا ينجو منهم  
أحد في الدنيا، أو تأتيهم الساعة فجأة وهم في غفلة لا يشعرون، فيكون  
مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير.

هذا، وقد جاء استفهام (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو  
تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب  
والتهديد والوعيد.

مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي هؤلاء المشركين أن يأمنوا عذاب الله جزاء  
على كفرهم واتخاذهم الأصنام آلهة يعبدونها من دونه.

ومفيدا توبيخهم على أمنهم عذاب الله أو مباغته الساعة، ومفيدا  
التعجيب من هذا الأمن، مع أنهم يرون الآيات الدالة على وحدانيته تعالى  
تملأ السموات والأرض فيعرضون عنها ويتكبرون ولا يؤمنون.

ومفيدا التهديد والوعيد بإنزال غاشية من عذاب الله تغشاهم أجمعين فلا  
تبقى على أحد منهم في الدنيا، أو بإتيان الساعة فجأة وهم على شركهم  
فيكون لهم في جهنم مستقر ومقام.

(وبغتة) في قوله تعالى: (أو تأتيهم الساعة بغتة) مصدر، وهو حال  
من الساعة، والمصدر إذا وقع حالا يؤول بوصف على رأي سيبويه والجمهور  
وهنا يؤول باسم الفاعل، ويكون التقدير: أو تأتيهم الساعة باغته.

ومن النحاة من يرى أن (بغتة) مفعول مطلق.

## الموضع الخامس

الموضع الخامس من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ  
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ  
فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ  
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

الآيات: (٤٥ - ٤٧) من سورة النحل.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أنه لا ينبغي لأهل مكة الذين أشركوا بالله تعالى وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأذوا وأذوا أصحابه سرا وعلائية، لا ينبغي لهم أن يأمنوا خسف الله بهم الأرض، أو إتيان العذاب إليهم بغتة أو إتيانه إليهم وهم يتخفون ويتوقعون مجيئه، أو إتيانه إليهم وهم يتقبلون في البلاد، فليسوا بمعجزين الله أن ينزل بهم أي نوع من أنواع العذاب في أي وقت يشاء، وعلى أي حال يكونون.

ومن رحمة الله تعالى ورأفته بهم أنه لم يجعل لهم العذاب مع استحقاقهم كل عذاب.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أفأمن الذين مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) الوارد في الآيات السابقة: أفا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.

أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي لأهل مكة وقد أشركوا بالله تعالى وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأذوه وأذوا أصحابه، لا ينبغي لهم أن يأمنوا خسف الله بهم الأرض، أو إتيان العذاب إليهم على حين غرة أو على تخوف وتوقع أو مسافرين في البلاد.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا توبيخ الله تعالى لهم على أن يأمنوا عذاب

الله تعالى وقد أشركوا به وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وآذوه وآذوا أصحابه المؤمنين.

وأفاد أيضا التعجيب من هذا الأمن الذي فقد دواعيه وأسبابه. ومع إفادة هذا الاستفهام الإنكار والتوبيخ والتعجيب أفاد تهديد الله سبحانه وتعالى إياهم وتوعدهم بإنزال العذاب بهم عقابا على هذا الإشراك والتكذيب والإيذاء.

هذا، وكلمة (السيئات) الواردة في هذا الاستفهام يجوز أن تكون مفعولا به لمكروا على تضمينه معنى فعلوا وعملوا، ويجوز أن تكون صفة لمصدر محذوف، والتقدير: مكروا المكرات السيئات. والمصدر المؤول من (أن يخسف) في محل نصب مفعول به لأمن.

## الموضع السادس

الموضع السادس من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ  
فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾  
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَجَدْتُمْ  
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ  
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ  
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ  
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا  
لَكُمْ عَلَيْنَابِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

الآيات: (٦٦ - ٦٩) من سورة الاسراء.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن ربكم أيها المشركون هو الذي يجرى لكم الفلك في البحر تحملكم إلى أماكن شتى تبتغون فيها الرزق وتلتمسون فيها الريح من فضله، إنه كان بكم رحما حيث هيا لكم ماتحتاجون إليه ويسر لكم الأسباب.

وإذا ما اضطرب الموج كالجبال، وبلغت القلوب الحناجر من الخوف، وأوشك البحر أن يبتلع الفلك، غاب عن بالكم آهتكم وأصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولم تجدوا مغيثا يغيثكم من ضرركم هذا غير الله، لاعتقادكم أنه لا يكشف الضر غيره.

فلما أنجاكم إلى البر عدتم إلى ما كنتم عليه من شرك وعبادة أصنام، ولم تشكروا لله نعمة النجاة فتخلصوا له العبادة، وهذا هو الإنسان كان ولا يزال بنعمة الله كفورا.

لا ينبغي لكم أيها المشركون أن تظنوا وقد أنجاكم الله من غرق البحر أنكم أفلتم من عذابه، فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، قادر على أن يخسف بكم جانب البر فإذا أنتم أموات في جوف الأرض من فوقكم صخور وتراب، وقادر على أن يرسل من السماء ريحا تحصبكم بحجارة، فلا تبقى منكم أحدا، قادر على أن يعذبكم بما يشاء دون أن تجدوا ناصرا ينصركم من دونه وحافظا يحفظكم من عذابه.

وكذلك لا ينبغي لكم — وقد كفرتم بنعمة النجاة من البحر وعدتم إلى عبادة الأصنام، لا ينبغي لكم أن تأمنوا أن يعيدكم في البحر تارة أخرى، فيرسل عليكم ريحا تقصف الفلك الذي أنتم فيه، ويجعلكم من المغرقين، دون أن تجدوا لكم ناصرا يحول بينكم وبين الغرق، أو تابعا يسأل الله تعالى تبعة هذا الإغراق.

وقد جاء استفهام (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد:

مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي لكم أيها المشركون، وقد عدتم إلى الإشراك بالله تعالى وعبادة الأصنام وكفرتم بنعمة الله عليكم إذ نجاكم من البحر،

لا ينبغي لكم بعد هذا أن تأمنوا أن يخسف الله بكم الأرض، أو أن يرسل عليكم ريحا حاصبا ترجمكم فلا تبقى على أحد منكم أبدا.  
ومفيدا توبيخهم على هذا الأمن من عذاب الله والتعجيب من هذا الأمن مع كفرانهم نعمة النجاة من البحر وعودتهم إلى عبادة الأصنام، وإعراضهم عن عبادة الله الذي أغاثهم ولا يجدون مغيثا سواه.  
ومفيدا التهديد والوعيد بأن يخسف الله بهم الأرض من تحتهم، أو أن يرسل عليهم من فوقهم ريحا حاصبا فلا تبقى ولا تذر، إذا ما استمروا على أصنامهم عاكفين.

والفاء في (أأمنتم) عاطفة على ما قبل همزة الاستفهام، وهذا هو رأى سيبويه والجمهور، وذهب الزمخشري إلى أنها عاطفة على فعل مقدر بعد الهمزة، وتقدير الكلام عنده: أنجوتم فأمنتم. والمصدر المؤول من (أن يخسف) في محل نصب مفعول به لأمنتم، و(جانبا) مفعول به ليخسف.

## الموضع السابع

الموضع السابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (أمن) ورد في قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ  
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ  
﴿١٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ  
تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا  
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ  
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

الآيات: (١٥ - ١٨) من سورة الملك.

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن الله عزّ وجلّ هو الذي خلق لعباده هذه الأرض وجعلها سهلة طيبة لاتعيا على الانتفاع بما فيها من خيرات وأرزاق ونعم. وقد أمر الله عباده بالسير في أرجائها طلبا للرزق الذي أعدّه لهم، وسعيا وراء الكسب مما أنعم به عليهم، وأخبرهم بأنهم سوف يرجعون إليه يوم القيامة ليجزي الشاكرين المؤمنين جزاء كريما، ويعاقب الكافرين المشركين عقابا أليما.

وقد هدّد الله تعالى المشركين بأن يخسف بهم الأرض فإذا هي من فوقهم تضطرب وتمور، أو أن يرسل عليهم ريحا ترميهم بحجارة فلا تبقى على أحد، سوف يعلمون العواقب المفزعة المروعة لإنذار الله تعالى إياهم في قرآنه الكريم، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم إن هؤلاء المكذبين من قريش ليسوا بأول من كذب، فقد كذب الرسل من قبلهم أمم كثيرة كعاد وثمود وقوم لوط، فكان إنكار الله عليهم عذابا مدّمراً لم يبق منه باقية.

وقد جاء استفهام (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد. مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي لكم أيها المشركون وقد كفرتم بالله وأشركتم به وعبدتم الأصنام من دونه، لا ينبغي لكم أن تأمنوا أن يخسف الله بكم الأرض بغتة فتموج بكم وتمور وتصبحوا في جوفها من الهالكين. ومفيدا توبيخهم على أن يأمنوا عذاب الله، ومفيدا التعجيب من هذا الأمن، مع أنهم أحقاء أن لا يأمنوا لأنهم يشركون بالله ويعرضون عن عبادته وهو الذي خلق هذه الأرض وذلّلها لهم، وجعلهم قادرين على أن يمشوا في مناكبها يكسبون من رزقه ويأكلون من فضله.

ومفيدا تهديدهم ووعيدهم بأن الله الذي خلق هذه الأرض وجعلها أرض رزق وكسب وأمن ومتاع ودعة قادر على أن يجعلها أرض نقمة وعذاب فيدمرهم من فوقها لمع البرق، أو يغيبهم في جوفها لمح البصر، فليتقوا عذاب الله وليحذروا عقابه.

هذا، و(مَنْ) الواقعة بعد أمتم اسم موصول في محل نصب مفعول به  
لأمتم، والمراد به هو الله سبحانه وتعالى، والمصدر المؤول من (أن يحسف)  
في محل نصب بدل اشتمال من (مَنْ)، ويجوز أن يكون هذا المصدر المؤول  
في محل جرب (مِنْ) مقدرة، أو في محل نصب على نزع الخافض.

### ٣ - آمن

أما الفعل الثالث من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (آمن)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

### الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) ورد في قوله تعالى:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾  
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾  
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ  
بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ  
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ لَقَدْ  
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ  
لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ  
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾  
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوّك  
يَكُلْ سَحَرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ  
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ  
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ



نَكُونُ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَتَقُولُوا لَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا  
 أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾  
 ﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا  
 يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا  
 هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبْرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاحِدِينَ ﴿١٢٠﴾  
 قَالُوا أَمْ نَارِيبُ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ  
 فِرْعَوْنُ أَمْ أَنتم بِيءَ قَبْلَ أَنْ أءَ اذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْوهُ  
 فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ  
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾  
 قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْءَ اَمْنًا  
 بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارَبْنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

الآيات: (١٠٣ - ١٢٦) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث رسله نوحا وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا إلى أقوامهم، ثم بعث من بعدهم موسى ومعه آيات الله الدالة على أنه رسول من رب العالمين، بعثه الله تعالى إلى فرعون مصر حين ذلك وإلى قومه وأشرف قومه وإلى بني إسرائيل الذين كانوا تحت حكمه، وقد خص فرعون وملؤه بالذكر لأنهم أصحاب الحل والعقد وتصريف الأمور وتديير شؤون الناس.

ثم كان من فرعون وملئه أن كذبوا موسى وكفروا بالآيات الدالات على صدقه، فظلموا أنفسهم إذ لم يؤمنوا بها، وسعوا في الأرض فسادا إذ منعوا الناس من الإيمان، فكانت عاقبة أمرهم أن أغرقهم الله في اليم، وجعلهم عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن يتدبر ويفكر.

أما تفصيل ما وقع بين موسى وفرعون فقد جاء موسى فرعون وقال :  
يا فرعون، إني رسول من رب العالمين، وحقُّ الله عليّ أن لا أقول إلا الحق،  
وقد جئتكم ببينة من ربكم شاهدة على أني رسول، فأذن لبني إسرائيل أن  
يخرجوا معي لأهديهم إلى دين رب العالمين، ولأرشدهم إلى أنه لا إله إلا  
الله لا شريك له وأن ألوهية غيره باطلة، وأن عبادة غيره ضلال.

قال فرعون مستخفًا زاريا: إن كنت صادقا فيما تقول وتزعم فأت بتلك  
الآية التي تبين دعواك وتثبت صدق رسالتك.

وبلا ريث وفي مثل لمح البرق ألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان  
مين، لاشك في ثعبانيته ولا ريب في حيوانيته، ونزع يده السمراء من جيبه،  
فإذا هي بيضاء ذات شعاع للناظرين.

بهت فرعون وملؤه، وغشيم صمت وذهول، فقد فجأهم موسى بما لم يكن  
ليخطر لهم على بال أو يدور في خيال، وزلزل عرش فرعون، وزلزلت  
مناصب الذين من حوله، وألقى الرعب في قلوبهم جميعا.

وسرعان ما أفاق فرعون وملؤه وأشراف قومه بما أصابهم من هول وذهول،  
وأحسوا بخطر موسى الداهم، وأخذوا جميعا يتبادلون الرأي والمشورة: ماذا  
نصنع بموسى! وكيف ندرأ خطره، ونحول بينه وبين الناس الذين لو رأوا منه  
مارأينا لافتتنوا به وصدقوه واتبعوه، ولأخرجونا نحن وأنت يا فرعون من هذه  
الأرض؟!

واستقر رأيهم آخر الأمر على أن موسى ساحر عليم، وأن الحديد بالحديد  
يفلح، ولا يدفع سحره إلا سحر مثله أو سحر أعظم منه، وأشاروا على فرعون  
أن لا يدع موسى يفلت من بين يديه، وأن يحول بينه وبين الناس، وأن يجمع  
له كل سحّار عليم، وأن يعقد بينه وبين السحرة مباراة سحرية على مرأى  
ومسمع من جموع الناس، ليتبين لهم أن موسى ساحر، وأنه ليس برسول كما  
يقول ويزعم.

ويرسل فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحّار عليم، ويتفق  
موسى وفرعون على اليوم والمكان اللذين ستقوم فيها المباراة بين موسى  
والساحرين.

وفي اليوم الموعد والمكان المحدود تجتمع حشود الناس من كل صوب وحدث، ويحضر فرعون وملؤه، ويقف السحرة صفوفًا منظمة مترابطة في جانب، ويقف في الجانب المقابل موسى وحده رابط الجأش رافع الرأس منتظم الأنفاس.

وقبل أن تبدأ المباراة يقول سحرة فرعون لفرعون وهو أشد ما يكون حاجة إليهم، يقولون ليطمئنوا إلى أنهم ليسوا عبيدا مسخرين في هذه المباراة: إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين؟

ويراها فرعون فرصة مواتية ليشد من أزرهم فلا يألوا جهدا في السحر، ولا يدخروا وسعا في المباراة، فيقول: نعم، إن لكم لأجرا، وإنكم لمن المقربين، وسوف يكون لكم عندي حظوة عظيمة ومقام كريم. ويلتفت السحرة إلى موسى وأعطافهم تهتز عجبا وخيلة مما أسمعهم فرعون ومثاهم، ويقولون: إما أن تلقى عصاك وتظهر سحرك أول، وإما أن نكون أول من ألقى.

أعطوا خيار البدء لموسى ثقة منهم بالنصر على كل حال، وليبينوا لفرعون وللناس أنهم أعز وأقوى.

ولكن موسى كان يرى أن الأمور بخواتمها، فاختار أن يكونوا هم البادئين، قال: ألقوا أنتم. فألقوا حبالهم وعصيهم، فسحروا أعين الناس، وألقوا في قلوبهم الرعب، وخيلوا إليهم أن حبالهم وعصيهم أفاع تضطرب وتسعى.

وأوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه فلقاها، فإذا هي حية تزدرد كل ما أتى به سحرة فرعون واسترهبوا به الناس فلم تبق منه شيئا. ظهر الحق وبطل سحر الساحرين، وتبين للناس المشاهدين أن السحرة قد غلبوا وأصبحوا أذلة صاغرين، وأيقن السحرة أن عصا موسى آية صادقة من آيات الله، وأنها ليست من السحر في شيء، فلم يتمالكوا أن خرّوا لله ساجدين، يقولون آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. أما فرعون وملؤه فقد بهتوا بما آلت إليه هذه المباراة، وفجأهم سجود السحرة مؤمنين بموسى وهارون ورب موسى وهارون.

قال فرعون ينكر ويوبخ : آمنتُم به قبل أن آذن لكم؟! قال هذا كأنما هم لا يزالون مسخرين بأمره، وكأنما الإيمان يحتاج إلى استئذان.

ثم قال ليصّد الناس عن الإيمان بموسى وقد ظهر لهم أن عصاه آية من آيات الله، وليبين أن السحرة ماغلبوا عن ضعف، وأن موسى لم ينتصر عن صدق وحق، وأن ماآلت إليه هذه المباراة كان أمرا دبر في ليل، ومكرا اتفق عليه السحرة وموسى من قبل.

قال للسحرة : إن هذا الغلب الذي أعطيتموه موسى، وإن هذا الانتصار الذي منحتموه عصاه، كان مكرا مكرتموه في المدينة من قبل أن تقوم هذه المباراة.

ثم قال يثير العصبية القومية لدى الأقباط، وليضرم نار الحقد والكراهية لبني إسرائيل : ولقد أردتم بمكركم هذا أن تخرجوا أهل هذه البلاد من أوطانهم، وأن تجعلوها ملكا خالصا لبني إسرائيل وموسى وهارون.

ثم ختم قوله بما يثير الرعب والفرع في قلوب السحرة لعلهم عن إيمانهم يرجعون، وليقطع الطريق على من خامر قلبه التصديق بموسى وعصاه، قال : لأقظعنّ أيها السحرة أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لأصلبنكم في جذوع النخل أجمعين.

قال فرعون ما قال، وما كان يدرى أن السحرة بإيمانهم هذا قد انتقلوا إلى دنيا غير دنياه، وإلى عالم آخر لا يدركه ولا يتذوقه ولا يستطيع أن يراه.

قالوا يا فرعون إنا إلى ربنا راجعون، لسنا براجعين إليك، وليس مصيرنا بين يديك، فالله ربنا هو الذي يحكم بيننا، وعنده الجزاء الحق، وهو أرحم الراحمين، وما هذه النعمة التي امتلأ بها صدرك، وهذا الحقد الذي انطلق به لسانك، إلا لأننا آمنا بآيات ربنا ورسله، وكنا بطاعتك وربوبيتك كافرين. وهذا انتهت المباراة السحرية بين موسى وسحرة فرعون، على أن قصة موسى وفرعون لم تنته بعد، وسيأتي ما تبقى منها عند الحديث عن همزة الاستفهام الداخلة على المضارع في قوله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) ... الآية (١٢٧) من سورة الأعراف.

هذا، ومن القراء السبعة من قرأ (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) بدون همزة استفهام في (آمنتم)، وعلى هذه القراءة يحتمل أن تكون (آمنتم) إخباراً محضاً، ويحتمل أن تكون استفهاماً على تقدير الهمزة لدلالة السياق عليها.

ومن القراء من قرأ (آآمنتم) بهمزة استفهام صريحة. وسواء أكانت همزة الاستفهام صريحة أم مقدرة، فقد أفاد هذا الاستفهام الإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.

أنكر فرعون على السحرة أن يؤمنوا برب العالمين قبل أن يأذن لهم بهذا الإيمان، فقد كان ذلك في رأي فرعون عصياناً وخروجاً على طاعته، ومما لا ينبغي أن يكون.

ووبخهم على ذلك الإيمان الذي أطاح بربوبيته أمام الناس، وحطم سلطانه وكبريائه، وتحدها جهارا وعلانية دون مبالاة به وبعقابه.

وهدهم وأوعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ثم تصليهم في جذوع النخل أجمعين.

وقبل أن أنتقل إلى الموضع الثاني من مواضع هذا الاستفهام أود أن أنبه على الأمور التالية:

١ - الفعل الذي دخلت عليه همزة الاستفهام وهو (آمن) فعل ماض أصله (أمن) على وزن أفعل وأكرم، فالهمزة الأولى زائدة والهمزة الثانية أصلية هي فاء الكلمة، وإذا اجتمع همزتان في أول الكلمة وكانت الثانية ساكنة قلبت الثانية من جنس حركة ما قبلها، وعلى هذا قلبت الثانية هنا ألفاً لتجانس الفتحة قبلها، فصار الفعل آمن.

٢ - و(آذن) في قوله (قبل أن آذن لكم) فعل مضارع على وزن أفعل وأعلم منصوب بأن، وأصل (آذن) (أأذن) بهمزتين: الأولى همزة المضارعة للمتكلم، والثانية أصلية هي فاء الكلمة، وبناء على القاعدة السابقة قلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفاً لتجانس الفتحة قبلها.

٣ - و(من خلاف) في قوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) جار ومجرور في محل نصب على الحال من أيديكم وأرجلكم،

ومعنى (من خلاف) أن تقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى، لبقى من فعل به ذلك متمكنا من المشي وهو يتوكأ على عصا من جهة الرجل المقطوعة.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى :

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ  
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعْنَ أَيْدِيَكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ  
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾

الآية (٧١) من سورة طه.

## الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى :

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ  
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَا تُقَطِّعْنَ أَيْدِيَكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبِنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

الآية (٤٩) من سورة الشعراء.

## الموضع الأول

وقد تقدم أن الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (آمن) قد ورد في قوله تعالى:

قَالَ

فَرَعُونَ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمَكْرُ مَكْرَتُمُوهُ

فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفِكُمْ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

الآيتان: (١٢٣ - ١٢٤) من سورة الأعراف.

وإذا أنعمنا النظر في المواضع الثلاثة المتقدمة وجدنا أن القائل لهذا الاستفهام: (ءآمنتم به قبل أن آذن لكم) هو فرعون، وأن المخاطب فيها بهذا الاستفهام هم سحرة فرعون الذين آمنوا برب موسى وهارون بعد أن تبين لهم أن عصا موسى التي ألقاها أمامهم فإذا حية تسعى - لم تكن سحرا من سحرهم الذي يعلمون، وإنما هي معجزة من عند الله رب العالمين.

ولما كانت الآيات المشتملة على الموضع الأول الواردة في سورة الأعراف، والآيات المشتملة على الموضع الثاني الواردة في سورة طه، والآيات المشتملة على الموضع الثالث الواردة في سورة الشعراء، لما كانت هذه الآيات في هذه المواضع الثلاثة تكاد تكون واحدة في معانيها الرئيسة اكتفيت بذكر الآيات المشتملة على الموضع الأول الواردة في سورة الأعراف، ولم أذكر الآيات المشتملة على الموضع الثاني في سورة طه ولم أذكر الآيات المشتملة على الموضع الثالث الواردة في سورة الشعراء.

على أن القصص القرآنية من حيث البلاغة والعبارة والأسلوب لا يغني بعضها عن بعض مهما تكررت وأعيدت وجاءت مفصلة حيناً، وموجزة حيناً، وحيناً بين بين.

وإنك لتحس وأنت تقرؤها على رغم تكرارها أنها جديدة في كل مرة كأن لم تقرأها من قبل، وهذا سر من أسرار البلاغة القرآنية.

والقول الذي تقدم عن الاستفهام في الموضع الأول من هذه المواضع الثلاثة يقال أيضاً عن الاستفهام في الموضع الثاني وعن الاستفهام في الموضع الثالث، فلا حاجة إلى الإعادة والتكرار.

## ٤ - بشر

أما الفعل الرابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (بشر)، وقد ورد في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا

لَا نُوَجِّلُ إِنَّآ نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن

مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ

فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

الآيات: (٥١ - ٥٦) من سورة الحجر.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخبر عباد الله خبر الملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً، قال سلام، إنا منكم خائفون، قالوا لا تخف، إنا نبشرك بغلام سيكون على جانب من العلم العظيم، قال إبراهيم - وقد فوجيء بهذه البشارة التي لم يكن يتوقع، وما كانت لتخطر له على بال - أتبشرونني بغلام وقد مسني الكبر وغشيتني غواشي الشيخوخة، وأصبحت امرأتي عجوزاً عاقراً؟!!! فإِذَا الَّذِي تَبَشِّرُونَنِي بِهِ أَيُّهَا الْأَضْيَافُ!!؟

قالوا بشرنك بالحق الذي لا مرية فيه ولا شك في إتيانه، فلا تكن من اليائسين من رحمة رب العالمين.

قال إبراهيم - وقد أفاق من ذهول المفاجأة السارة ومن فرحة البشارة الغامرة، وأدرك أن الأمر من عند الله - قال: ومن ذا الذي يقنط من رحمة الله؟! إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون.



هذا، وقد أفاد استفهام : (أبشرتموني على أن مسني الكبر) أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي، وأفاد الاستبعاد والتعجب، فقد أنكر ابراهيم عليه السلام في بداية الأمر هذه البشارة التي بُشِّر بها، واستبعدها، وتعجب منها، لأنه كان قد تقدمت به السن وأصابته الشيخوخة، وأصبحت امرأته عجوزا عاقرا جاوزت الفترة التي تحمل فيها النساء عادة وتضع، لقد أنكر واستبعد وتعجب لأن ذلك مما لم تجربه العادة، ولم يك مألوفا لدى الناس.

وفي قوله (على أن مسني الكبر) : (على) حرف جر و(أن) مصدرية تؤول هي والفاعل الذي بعدها بمصدر، وهذا المصدر في محل جر بعلى، و(على) ومجرورها في محل نصب على الحال من ياء المتكلم في (أبشرتموني) و(على) بمعنى مع، أى أبشرتموني مع مس الكبر إياي.

## ٥ - بعث

أما الفعل الخامس من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (بعث)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ  
الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ  
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم  
مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

الآيتان: (٩٤ - ٩٥) من سورة الإسراء.

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكرمتين أن المشركين من قريش لم يمنعهم أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يبعث الله إلى الناس رسولا يكون من البشر لا من الملائكة.

وقد جاء الرد على هذه الشبهة في الآية الثانية، فقد تضمنت: لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ساكنين فيها مطمئنين لبعث الله إليهم رسولا يكون من الملائكة، فلا بد من التجانس والتناسب بين الرسول ومن يرسل إليهم، كى يتأتى أن يفهموا عنه وأن يبلغهم ما أرسل به، فالملك لا يبعث إلا إلى ملائكة، وأما البشر فلا يبعث إليهم إلا بشر.

هذا، وقد أفادت همزة الاستفهام في (أبعث الله بشرا رسولا) أفادت الإنكار والتعجب، فقد أنكر الكافرون وتعجبوا أن يبعث الله إلى البشر رسولا يكون بشرا مثلهم، وما كان ينبغي (على زعمهم)، وإنه لأمر عجيب عندهم أن يبعث الله إليهم بشرا رسولا.

وفي قوله تعالى: (أبعث الله بشرا رسولا) جعل بعض المفسرين (رسولا) مفعولا به، و(بشرا) حالا منه، على قاعدة أن نعت النكرة إذا قدم عليها ينصب حالا.

وذهب بعضهم إلى أن (بشرا) هو المفعوله به، وأن (رسولا) نعت له.

## ٦ - جاء

أما الفعل السادس من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (جاء) وقد ورد في خمسة مواضع:

### الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جاء) ورد في قوله تعالى:

﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ  
هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ  
٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي  
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ  
لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ  
أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ  
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ  
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأذْكُرُوا لَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ  
﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ  
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ  
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ

أَتَجَدِّ لُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ  
 مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
 الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

﴿٧٢﴾

الآيات: (٦٥ - ٧٢) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم عاد واحدا منهم يعرفون صدقه وأمانته وشرف نسبه، أرسل إليهم هودا عليه السلام.

قال: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، فإنه ليس لكم من إله غيره، واتقوا الله واحذروا أن يحل بكم عقابه كما حل بقوم نوح من قبل.

قال أشراف قومه الذين أنكروا وحدانية الله تعالى وكذبوه رسولا إليهم: إنا لنراك ياهود في ضلالة عن الحق وبعد عن الصواب بترك ديننا وإنكارك آلهتنا ودعوتك إيانا أن نعبد الله وحده ونبذ الأصنام، وإنا لنظنك كاذبا في قولك إني رسول رب العالمين.

قال: يا قوم ليس بي ضلالة عن الحق ولا بعد عن الصواب، ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي كما أمرني ربي أن أبلغكم إياها، وإني لناصح لكم إذ أدعوكم إلى عبادة الله وترك ما عداه، وإني لأمين فيما أبلغكم عن الله، فلا زيد ولا نقص ولا تبديل، وما كان ينبغي لكم يا قوم أن تعجبوا من أن ينزل الله وحيه علي وأنا رجل من البشر مثلكم، كي أنذركم بأس الله وأحذركم من عقابه.

كان ينبغي لكم يا قوم أن تحمدوا الله أن بعث إليكم رجلا منكم يهديكم إلى الحق، وأن تذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء نوح في الأرض، وإذ خلقكم أطول منهم أجساما وأحسن قواما وأشد قوة، اذكروا نعم الله هذه واشكروه عليها بإخلاص العبادة له ونبذ ما عداه لعلكم تفلحون.

قال أشراف قومه منكرين موبخين مكذبين: أجتئنا يهود لنعبد الله وحده وندع عبادة الأصنام والآلهة التي كان يعبدها آباؤنا؟! إنا لن نتبعك على هذا ولن نؤمن بك، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب إن كنت من الصادقين فيما تقوله لنا وتهدنا به.

قال لهم هود: قد وقع عليكم من ربكم سخط وغضب، أتجادلونني في أصنام سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها، انتظروا حكم الله فينا وفيكم، إني معكم من المنتظرين. وينجي الله هودا والذين معه، ينجيهم الله برحمة منه، وهلك الذين كذبوا بآياته فلا يبقى منهم أحدا.

وقد جاء هذا الاستفهام: (أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب:

أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لك يهود أن تحيئنا تطلب منا عبادة الله وحده ونبذ عبادة أصنامنا والإعراض عن تلك الأصنام وأنت تعلم مبلغ تعظيمنا إياها ومدى حرصنا على التمسك بما ورثناه عن آباؤنا وأجدادنا. وأفاد التوبيخ توبيخ قوم هود - لعنهم الله - هودا عليه السلام على مجيئه إليهم داعيا إلى إفراده تعالى بالعبادة ونبذ الأصنام وعبادة الأصنام التي ورثوها عن آباؤهم الضالين.

أنكروا عليه ذلك ووبخوه عليه وتعجبوا أن يحيئهم يطلب منهم عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام التي ورثوها عن آباؤهم، إذ لم يكونوا يتوقعون منه ذلك.

ومما هو جدير بالملاحظة:

١ - أن هودا عليه السلام كان في محاورته قومه هيتنا ليتنا رفيقا شفيقا، يناديهم بلسان عذب وقلب رطب: يا قوم أنا واحد منكم، حريص على ما فيه خيركم وصلاحكم، أمين لا أقول لكم كذبا، وإنما أبلغكم ما يأمرني به الله الذي أنعم عليكم بهذه النعم التي أنتم فيها، فأخلصوا له العبادة، وانبذوا هذه الأصنام، واحذروا عقاب الله إن لم تؤمنوا بي رسولا ولم تستجيبوا إلى ما أدعوكم إليه.

٢ - ولكن قوم هود - لعنهم الله - كانوا في محاورتهم هودا عليه السلام جفاة أجلافا غلاظ القلوب، لم يشفع له عندهم أنه كان شريف النسب حليما حكيما حصيما لا يفيل رأيه، مترفعا عن سفاسف الأمور، مبرأ من كل عيب وذنس.

٣ - قالوا له إنا لنراك في سفاهة، ولم يقولوا سفيها، لأنهم يريدون أنه غارق فيها وأنها تحيط به من كل جانب.

وقالوا وإنا لنظنك من الكاذبين - والظن هنا بمعنى العلم واليقين - ولم يقولوا وإنا لنظنك كاذبا، لأن (كاذبا) تصدق على من يكذب مرة واحدة، أما (من الكاذبين) فتعني من الذين عرفوا بالكذب وأصبحوا مشهورين فيه، وصار الكذب ديدناً لهم وعادة.

٤ - لم تستفز هودا عليه السلام سفاهة أقوالهم ولا خشونة ألفاظهم ولا تحديهم إياه بأن يأتيهم بالعذاب إن كان من الصادقين، لم يزد في نهاية الحوار على أن قال في هدوء وسكينة فانتظروا إني معكم من المنتظرين. هذا، (وحده) في (أجئتنا لنعبد الله وحده) منصوب على الحال من اسم الجلالة (الله) على التأويل باسم المفعول أي موحداً بالعبادة مُفرداً بها.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جاء) ورد في قوله تعالى:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ  
الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ  
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾  
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مِثْلُ  
الَّذِي سَأَلْنَا عَنْهُ قَوْمَ شَالِبٍ ﴿٧٦﴾

قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ  
الْمَسْحُورُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَزَمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا  
وَتَكُونُ لَكُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الآيات: ( ٧٥ - ٧٨ ) من سورة يونس.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث من بعد الرسل الذين أرسلهم إلى أقوامهم بعد نوح - بعث موسى وهارون إلى فرعون وأشراف قومه بالآيات المعجزات الدالات على صدق ما يدعون إليه، ولكن فرعون وأشراف قومه استقبلوا دعوة موسى وهارون بالاحتقار والازدراء فقد كان موسى وهارون مثلهم من بنى البشر، وكانا من بنى إسرائيل المستعبدين لهم في مصر، فاستكبروا عن تصديقها والإيمان بما يدعون إليه، ولم يك هذا الاستكبار غريبا من فرعون وملئه، فقد كانوا قوما مجرمين اعتادوا الذنوب الجسام والآثام العظام.

وحين رأى موسى تكذيب فرعون وملئه له ولأخيه ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى، ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، فهت فرعون ومن كان في مجلسه من أشراف قومه، وأخذتهم الحيرة من كل جانب، واستولت عليهم دهشة ووجوم، ولكن عتوهم لم ينحطم، وكبرياءهم لم تنهزم، فما لبثوا أن قالوا: إن هذا لسحر مبين، فصاح موسى في وجوههم: ما هذا القول الذي تقولون؟! أتقولون لهذا الحق اليقين، وهذا الدليل المعجز المبين، أتقولون إنه لسحر مبين!! أهذا الذي ترونه بأعينكم دون تمويه، وتشاهدونه بأنفسكم دون خداع، أهذا سحر، وإن الساحر لا يفلح حيث أتى، وإن الساحر لا يفوز أبدا!

وخشي فرعون وأشراف قومه أن يعلم الناس بحجة موسى ومعجزته، فيؤمنوا به ويتبعوه، وتضيع السلطة والسلطان من فرعون وملئه، فلجئوا إلى اتهامه بما ينفر الناس منه ويبعدهم عن اتباعه، وتلمسوا ما يسوغ عنادهم وعتوهم وكفرهم بموسى وتكذيبهم إياه.

قالوا لقد جئتنا ياموسى لتصدنا عن دين آبائنا وأجدادنا الذي نشأنا فيه  
وشببنا عليه، ويكون لك ولأخيك العظمة والسلطان في أرضنا مصر، إنا  
لسنا بمؤمنين أنكما رسولان أرسلتما إلينا، إنا لسنا لكما بمؤمنين.  
وقد أفاد هذا الاستفهام : (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا  
وتكون لكما الكبرياء في الأرض) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب.  
أفاد إنكار فرعون وأشراف قومه على موسى عليه السلام أن يجيئهم  
ليصرفهم عن عبادة غير الله إلى عبادة الله تعالى وحده، وليكونوا بهذا أتباعا  
له، وليكون (في زعمهم) له ولأخيه هارون الكبرياء والعظمة والسلطان  
عليهم وعلى أرضهم.  
وأفاد توبيخ فرعون وأشراف قومه موسى عليه السلام على أن يجيئهم  
ليخرجهم من دين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، وليكون (في زعمهم) له  
ولأخيه الهيمنة والسلطان على أرضهم.  
وأفاد تعجب فرعون وملئه من أن يجيء موسى هذا المجيء وهو من قوم  
أذلاء مستعبدين يُدبِّحُ أبناءهم وتستحيا نساؤهم، إنه لمجيء ما كان ليخطر  
لهم على بال.

### الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى  
(جاء) ورد في قوله تعالى :

وَلَقَدْ

أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا  
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آتَيْنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ  
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا  
سُوءٍ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ  
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ



مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحَبِكُمْ بِعَذَابٍ  
وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا  
النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ  
مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا  
كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾  
قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ  
بَلِ الْقَوَافِئَ إِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَاهَا تَسْعَىٰ  
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا  
كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا  
قَالُوا أَمْ نَأْتِي رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْ نَأْتِيكُمْ لِقَابِ أَنْ  
لَكُمْ أَنَّهُ لَكِبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ فَلَا قِطْعَ أَيْدِيكُمْ  
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ  
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ  
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا أَمْنَابِرُ بِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا  
عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾

الآيات: (٥٦ - ٧٣) من سورة طه.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن فرعون كذب موسى عليه السلام وأبى  
أن يؤمن بآيات الله ومعجزاته، وقال في غطرسة وغضب: لقد جئتنا يا موسى  
بسحرك هذا تظن أنك تستطيع أن تحدع به هذه الأمة فيصدقوك ويتبعوك،

ويعملوك ملكا عليهم، وتخرجني من أرض مصر وتكون لك ولأخيك الكبرياء  
فيها والسلطة والسلطان.

هيات هيات أن تخدعنا وتخدع الناس من حولنا وأكون أنا وهؤلاء  
الخيرة من قومي مخرجين من أرضنا مبعدين!!

ثم قال بلهجة المتكبر المتعالي يتحدى موسى في مباراة سحرية منته نفسه  
الغلبة فيها: لنأتينك ياموسى بسحر مثل سحرك هذا، ولتعلمن أينا أعز  
وأقوى!! اجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولا أنت، وليكن في مكان  
سواء نصف بين الناس لا يتعيا على أحد الوصول إليه، وتكون المشاهد فيه  
واضحة أمام النظارة.

وتغمر الفرحة قلب موسى وهو يقول لفرعون دون أن تصيب لسانه حُسة  
عُهدت فيه ولكنه عرفت عنه: موعدنا يوم الزينة يافرعون يوم يمتشد الناس  
ضحى.

واختار موسى الموعد يوم العيد يوم يفرغ الناس من أعمالهم ويخلصون  
لأنفسهم ويحتشدون في الساحة الكبرى وسط المدينة في أبهى حُلل وأحلى  
حُلّي ينشدون المتع الجديدة، ويتلمسون المشاهد البديعة الفريدة، اختار موسى  
العيد ومكان الحشد ليشهد المباراة السحرية بينه وبين سحرة فرعون معظم  
الناس، فيروا كيف ينتصر الحق على الباطل، ويتبين لهم أنه من عند الله  
رسول، وأن دعوته حق وصدق، وأن لا مآرب له في سلطة وسلطان.

واختار موسى من يوم العيد ضجاءه، فنسمات الصباح لاتزال علية بليلة،  
وأشعة الشمس لاتزال هينة لينة، وهجيري الظهيرة لاتزال في قيلولتها لم  
تستيقظ بعد، فالناس نشاط وعيون وأذان وترقب واستطلاع.  
ماذا صنعت بنفسك يافرعون بعد أن حدد موسى الموعد الذي طلبت  
والمكان الذي وصفت!؟

مضى فرعون لطيطته، والملا من حوله يشدون عضده ويشيرون عليه،  
ويبعث في المدائن الدانية والقاصية أن يأتوه بكل سحّار عليم.  
وفي اليوم الموعد يوم الزينة والعيد، وشمس الضحى لا يزال في أجفانها  
بقايا فتور ونعاس، وهي تنظر إلى مافوق الأرض إلى الساحة الكبرى وسط

مدينة فرعون، وقد غصت بالجموع الغفيرة التي استيقظت هذا الصباح قبل أن تستيقظ شمسها، لتشهد الحرب السحرية التي ستدور بين سحرة فرعون وموسى، في ذلك اليوم وقف السحرة في وسط الساحة صفوفاً منظمة مرصوفة قد غرّتهم كثرتهم ورعاية فرعون لهم، ووقف موسى أمامهم وجهاً لوجه وحيداً، ولكنه رابط الجأش، رافع الرأس، واثق بنصر الله.

لم ينس موسى في هذا الموقف المهيب الرهيب أن ينذر ويعظ ويقول: أيها السحرة المجتمعون، لكم الويل والهلاك إن كذبتُم على الله وافترتُم، إنه سوف يسحّركم بعذاب منه فلا يبقى منكم باقية، الصدق الصدق فيما تقولون وتفعلون، إياكم والكذب والكيد والخداع، فما كان عاقبة الكذب إلا الخسار ولا عاقبة الكيد والخداع إلا البوار.

لم تذهب هذه العظة المنذرة ضياعاً وسدى، لقد وجدت آذاناً صاغية وقلوباً واعية لدى قليل منهم، على حين جعلها الكثير دبر أذنيه وتحت قدميه، واختلفوا فيما بينهم وتنازَعوا أمرهم، وأخذت الآراء تموج وتضطرب في أعماق هذا الخضم المائج بالسحر وأصحابه، وأخيراً غلبت الكثرة القلة، وظهر من يصيح بأعلى صوته وينادى: إن موسى وهارون لساحران يريدان أن يخرجاكُم من أرضكُم ويفقداكُم هذه الحياة الهنيئة التي لن تجدوا أفضل منها، وهذا النعيم المقيم الذي لن تجدوا خيراً منه، وأن يسلباكُم المناصب العالية الرفيعة التي سوف يبوئكُم إياها فرعون، وهذا الأمن والأمان والاستقرار.

لاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكُم، وأجمعوا كيدكُم، لاتختلفوا فتضعفوا وتلاقوا الذل والهوان من فرعون وملئه، والاحتقار والازدراء من هذه الجموع المحتشدة التي جاءت تنظر ماذا تصنعون.

قفوا صفّاً واحداً، وارموا عن قوس واحدة، فقد أفلح اليوم من طلب العلو وسعى له سعيه.

ثم صاحوا صيحة واحدة: يا موسى، إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى.

أعطوا موسى الخيار غروراً بأنفسهم واعتزازاً بكثرتهم، وظنهم أن الغلبة

ستكون لهم على كل حال.  
واختار موسى أن يكونوا أول من يلقي، لأن ذلك سيكون أكثر تبيانا  
لمعجزته، وأعمق تأثيرا في نفوس الناس، وأدعى إلى تصديقه واتباعه فيما  
يدعو إليه.

قال لهم موسى : ألقوا أنتم، فألقوا فإذا حباهم وعصيمم يخيل إليه من  
سحرهم أنها أفاع حية تضطرب وتموج وتسعى، فأوجس موسى في نفسه  
خيفة، لم يخف موسى من هذه الأفاعي، لأنه كان يعلم أنها أفاع كاذبة  
خادعة، ولكنه خاف من شيء آخر، خاف أن يتساوى في نظر الناس  
انقلاب حبال سحرة فرعون وعصيمم أفاعي وهي كذب وخداع وانقلاب  
عصاه حية وهي حق وصدق، حينئذ لا يظهر للناس انتصاره عليهم، بل ربما  
تظهر الغلبة لهم في أعين الناس، لكثرة أفاعيمم، وأنه ليس له إلا أفعى  
واحدة.

وماكاد هذا الخاطر الخفيف يعلق بنفس موسى ويمرّ بباله حتى سمع قوله  
تعالى يطمئن نفسه ويؤكد له النصر والغلبة : ( لا تخف إنك أنت الأعلى  
وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ  
حيث أتى).

وبنفس مطمئنة واثقة بنصر الله كل الثقة يلقي موسى عصاه التي كانت  
بيمينه، فإذا هي حية حقا وصدقا تلتقف أفاعيمم الكاذبة الزائفة واحدة إثر  
أخرى حتى لم تبقى منها باقية.

وهكذا تغيب عن الساحة الكبرى وعلى مشهد من فرعون وملئه، وعلى  
مشهد من تلك الآلاف المحتشدة، تغيب أفاعي السحر الكاذب، ويخيب كيد  
سحرة فرعون كما خاب كيد كل ساحر حيث أتى.

ترى ماذا فعل سحرة فرعون حين رأوا مارأوا، وماذا صنع فرعون وعناده  
وكبرياؤه؟! إن الناس لا يزالون قياما في أماكنهم يتطلعون ماذا يفعل فرعون  
بعد أن هزم كل سحار علم، وماذا يفعل السحرة بعد أن خاب سحرهم  
وضاع كيدهم وماصنعوا.

أما السحرة فقد بهتهم حية موسى وماصنعت، وأيقنوا — وهم أعلم

الناس بالسحر - أنها آية معجزة من عند الله شاهدة على صدق موسى وهارون، فخرّوا سجداً لله تعالى مؤمنين قائلين آمنا برب موسى وهارون. أما فرعون فكاد يتميز من الغيظ، ولكنه لم يتخل عن جبروته وكبره. قال للسحرة : آمنتُم لموسى قبل أن آذن لكم؟! (متى كان الإيمان يحتاج إلى استئذان يا فرعون؟!، أترك آذناهم لو استأذنوك؟! إنك لن تفعل). ثم قال للسحرة : إنكم لم تؤمنوا لموسى إلا لأنه كبيركم الذي علمكم السحر، أتحم له الفرصة كي ينتصر ويغلب، وماذا لك إلا أمر دبر في ليل ومكر مكرتموه في المدينة من قبل، لن أترككم بدون عقاب، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولأجعلنكم عبرة لكل من آمن بإيمانكم، ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى : أنا أم هذا الذي آمنتُم به.

وهذا الاتهام الكاذب الذي اتهم به فرعون السحرة المؤمنين، وهذا العقاب المروّع الذي توعدهم به، بهذا وذلك استطاع فرعون أن يثنى عزم كثير من المشاهدين عن الإيمان برب موسى وهارون كما آمن سحرة فرعون. وإذا كان فرعون قد نجح في صدّ كثير من الناس عن الإيمان باتهامه السحرة بالتآمر، وبتهديده المروّع بالتصليب في جذوع النخل وتقطيع الأيدي والأرجل، فإنه لم يدر ما فعل الإيمان بأولئك السحرة المؤمنين.

قال السحرة المؤمنون يردّون على فرعون وماقاله فرعون، دون أن يكون له في نفوسهم هيبة، أو في قلوبهم رهبة، أو أن يتلجلج لسان أو يتعثر بيان : قالوا : لقد كفرنا بك يا فرعون إلى غير رجعة، ولقد رأينا من البيئات ماجعلنا نؤمن بالله وحده لا شريك له، وإن أولئك السحرة الذين كنت تعدّهم عبيداً لك يرجون رضاك ويسألون قربك أصبحوا عبيداً لله الذي فطرهم، يسألونه أن يغفر لهم خطاياهم، ولا سيما خطيئة السحر الذي أكرهتنا عليه لإفساد دعوة موسى الصادقة الحقّة، افعل يا فرعون ماتريد، واقض ماأنت قاض، فلم يعد يهمننا فعلك وقضاؤك، فأنت وقضاؤك وظلمك إلى فناء في هذه الدنيا الفانية.

الذي يهمننا يا فرعون هو الآخرة الباقية الخالدة، هو حكم الله العدل

وقضاؤه الحق فيها، فهو الحكم الذي يدوم ولا ينقطع، والقضاء الذي لا يزول ولا يفنى، نسأله تعالى أن يغفر لنا خطايانا، وأن يعفو عن سيئاتنا، وأن يجعلنا من المقربين الأبرار.

وهكذا ينتهى ذلك اليوم المشهود.

هذا، وقد جاء استفهام (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب.

مفيدا الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لك يا موسى أن تجيئنا بهذا السحر مدعيا أنك رسول، لتخدعنا وتخدع هذه الأمة فيصدقوك ويتبعوك ويجعلوك ملكا عليهم فتنزح الملك منى وتخرجنى أنا وقومى من هذه الأرض التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا.

ومفيدا توبيخ فرعون لموسى على هذا المجيء الذي كان يقصد به في زعم فرعون انتزاع الملك منه وإخراجه هو وقومه من أرض مصر.

ومفيدا تعجب فرعون من هذا المجيء الذي جاءه موسى وهو الذي قد تربى في قصره وليدا، ولبث في ذلك القصر من عمره سنين، ثم هو من شعب يعيش ذليلا في ظل حكومة فرعون.

## الموضع الرابع

الموضع الرابع من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى (جاء) قد ورد في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ  
 ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٥٧﴾  
 فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ  
 ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِ الْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾  
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ  
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأنتَ فَعَلْتَ  
 هَٰذَا بِآلِ الْهَيْتِنَا يَا ابْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ  
 هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ  
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ  
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا  
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا  
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِ الْهَيْتِكُمْ إِن كُنتُمْ  
 فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾  
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِسِرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ  
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

الآيات: (٥١ - ٧١) من سورة الأنبياء.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أتى إبراهيم عليه  
 السلام رشده فيما يقول ويفعل وفيما يأتي ويذر من قبل أن يوتى موسى  
 وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين.  
 لقد أتى الله جل وعلا إبراهيم ذلك الرشد العظيم على علم منه تعالى

بأن إبراهيم يستحق ذلك الرشد وأنه به قين.

ولقد كان من ذلك الرشد أن قال إبراهيم لأبيه وقومه وهم مجتمعون في يوم عيد لهم أمام أصنامهم، قال لهم بلهجة العائب الزارى: ماهذه التماثيل التي تنحتها الأيدي ويصورها الصانعون، وأراكم لها عابدين وعليها عاكفين؟! فما كان جواب قوم إبراهيم إلا أن قالوا: إنا وجدنا آباءنا لها عابدين، وإنا على آثارهم مقتدون.

ظن القوم أنهم قد أجابوا إبراهيم إجابة له فيها مقنع وسداد ورشاد، ولكن إبراهيم حين رأى أنهم لم يفظنوا إلى أنهم يعبدون أشياء لا تحس ولا تعقل، ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، جبههم بالحق وفجأهم بما لم يكن ليخطر لهم على بال، وقال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم من قبل في ضلال مبين.

ماكان القوم يتوقعون أن يخرج إبراهيم على دين أبيه وقومه، وأن يطعن فيما أجمع عليه الناس من حوله، فأخذتهم الحيرة، واستولت عليهم الدهشة، وراحوا يسألونه على استبعاد وتعجب: أحيثنا يا إبراهيم بالحق والصدق أم أنت تمزح وتلعب ولا تعنى ماتقول؟!

قال إبراهيم: لست ممن يمزح ويلعب، ولقد جئتكم بالحق المبين الذي لا مرية فيه ولا ريب، لعلكم عن ضلالكم وضلال آباءكم ترجعون، فما هذه الأصنام التي تعبدونها آلهة، وأنى لها أن تكون آلهة وهي لا ترزق ولا تخلق ولا تقدر على شيء، فإلهكم إله واحد، هو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، وخلقكم وخلق آباءكم من قبل، فهو ربي وربكم ورب كل شيء، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا، إن كل من رزق عقلا قوما وفطرة سليمة يشهد على ما أقول، وأنا على ما أقول من الشاهدين.

كان قوم إبراهيم عما قال إبراهيم في صمم، فلم يفقهوه ولم يأبهوا له، ومضوا مسرعين إلى باب معبدهم يريدون الخروج إلى أماكن ههنا في العيد، لينالوا ما اعتادوا أن ينالوا من هو وعبث ومتع.

رأى إبراهيم قومه يتولون مدبرين عما دعاهم إليه، فلم يتمالك أن قال من غضب لدين الله، وغيظ من تلك التماثيل: تالله لأكيدن أصنامكم، قال



ذلك وقومه في زحمة الصراع والسباق على الخروج من المعبد، وفي ضجة التدافع وهممة المتدافعين، فلم يسمع قوله إلا الذين كانوا في مؤخرة القوم عازفين عن الإسراع أو عاجزين عن الصراع.

وألقي المعبد من كان فيه من عابديه وعاكفيه، ولم يبق فيه إلا إبراهيم وهذه التماثيل المنحوتة من حجر وخشب قد ملأت صدر المعبد وجناحيه، فال عليها إبراهيم ضرباً بفأس كانت بيمينه، يشد عضده إيمان قوي بالله، وشباب فما وترعرج على التوحيد وكرهية الشرك، وغيط شديد من هذه الأصنام، وقسم مؤكدا هو حريص على أن يبرّ به.

وسرعان ما أصبحت التماثيل كسراً مبعثرة وقطعا مُنثرة.

وألقى إبراهيم على كبير هذه التماثيل قائماً في وسط المعبد تاركاً فأسه معلقة في عنقه، أبقى عليه لأمر في نفسه، فقد كان يتوقع أن يعود القوم إلى المعبد ويسألوه عن فعل بأهتهم هذه مافعل.

وعاد القوم إلى المعبد فإذا تماثيلهم حطام وأهتهم ركام، فأخذتهم الحمية حية الجاهلية، وراحوا يتساءلون في سخط وغضب: من فعل هذا بأهتنا، وخرج على ديننا ودين آبائنا، وكان من المعتدين الظالمين؟!

رأوا أصنامهم صارت حطاماً، وتماثيلهم أمست مواطىء أقدام، رأوها لم تستطع أن تدفع عن نفسها ولا أن تمنع حماها، ومع ذلك ظلوا يزعمونها آلهة لهم، ويقولون من فعل هذا بأهتنا، فيالجهل وياللغباء، ويا للقلوب المظلمة المغلقة!!

قال قائلون منهم حين سمعوا رؤساء قومهم يتساءلون عن فعل هذا بأهتهم، قالوا سمعنا فتى عَمراً ليس بنى شهرة يقال له إبراهيم، سمعناه يذكر الآلهة بالسوء ويتهددها بالويل، وما كنا نظنه يفعل مايقول.

قال الرؤساء فأتوا به وقفوه نُصب أعين الناس لعلهم يشهدون مانحن به فاعلون.

وسرعان ماجاءوا بإبراهيم، جاء يمشى ثابت الخطو رابط الجأش، وعلى وجهه حزم وعزم وثقة واعتزاز بالله، قد أعد العدة من قبل لهذا الموقف حين ترك كبير آهتهم قائماً وترك الفأس معلقة في عنقه لعلهم إليه يرجعون، وهامهم

أولاء إلى إبراهيم يرجعون.

قال رؤساء القوم على مشهد من الناس ومسمع: أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم؟ قال إبراهيم زارياً يتهمكم: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوه واسألوا الآلهة من حوله، اسألوهم وسوف تقول لكم آهتكم من فعل هذا إن كانت تسمع أو تعقل أو تقدر أن تقول.

بهت إبراهيم الناس بما قال، وردت كلماته رؤساء القوم إلى أنفسهم، فقالوا بعضهم لبعض فيما بينهم: ما كان إبراهيم ظالماً فيما قال وفعل، وإنما لنحن الظالمون في عبادتنا أصناماً لا تسمع ولا تعقل ولا تقدر أن تقول، لم نستطع أن تدفع عن نفسها ولا أن تضر من آذاها، فما هي بصالحه أن تكون لنا آلهة.

لقد هزت كلمات إبراهيم الفطر النائمة، وأزالت شيئاً من غشاوة كانت على الأبصار، وأدخلت في قلوبهم الغلف شعاع نور وهداية، ولكن ذلك كان كالبرق الخاطف أضاء ثم توارى في ظلمات الليل.

وسرعان ما انقلبوا وعادوا إلى ضلالهم القديم، عادوا إلى التعصب للأصنام وعبادة الأصنام.

قالوا لإبراهيم لقد علمت أن آهتنا لا يسمعون ولا ينطقون، فكيف تطلب منا أن نسأهم لنعرف من طوح بهم وجعلهم فوق الأرض جذاذاً.

وجد إبراهيم الفرصة مواتية ليرمى بسهمه المصمى، فصاح في وجوههم: ويلكم! كيف تعبدون من دون الله أخشاباً وحجارة لا تضر ولا تنفع، هاهي ذى قد طوح بها وتركت من فوق الأرض مواطىء أقدام، ولم تستطع أن تدفع عن حماها، ولا أن تضر من آذاها، تبّاً لعبادتكم ولأصنامكم، وأف لكم ولما تعبدون من دون الله، إنكم قوم لا تفقهون شيئاً ولا تعقلون!!

ورأى الذين يتولون حوار إبراهيم وجداله أن إبراهيم قوي الحجة لا يغالب، شجاع لا يروّع، وأنه سوف يظل ينص على عبادة الأصنام، ويدعو إلى عبادة الله وحده، وأنه سيجد — لا محالة — على كثر الأيام أنصاراً وأتباعاً مؤمنين.

فأجمعوا أمرهم على إماتته والقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره، وقبل أن

تفلت أزمة الأمور من أيديهم، أجمعوا على أن الإمانة خير سبيل.  
قال الذين بأيديهم مقاليد الأمور بصوت واحد حاقده، قالوا للناس من  
حولهم حرّقوه فقد صبأ عن ديننا ودين آبائنا، وانصروا آهتكم إن أردتم أن  
تكونوا لها منتصرين.

اختاروا هذه الميتة لأنها أشد عذابا لإبراهيم، وأشد تهديدا ووعيدا لمن يهت  
أن يسير على دربه وخطاه، ولأنها لن تبقى له على أثر، فسوف يحور جسمه  
دخانا يضيع في آفاق السماء، ورمادا تذرّوه الريح في أرجاء الأرض.  
وتبارى القوم في جمع الحطب انتصارا لآهتهم، وانتقاما ممن خرج على  
دين آبائهم، وحرصا على أن تكون نارا عظيمة تحرق مايلقى فيها فلا يبقى  
له أثر.

واشتعلت نار القوم واتقدت، وكانت ألسنة اللهب تتعالى سايحة في  
السماء، وجاءوا بإبراهيم مقيدا وألقوه فيها وهم يظنون أنهم قد قدروا عليه  
وأماتوه، وما كانوا يدرون أن الموت والحياة بيد الله الذي دعاهم إبراهيم إلى  
عبادته وحده فأبوا إلا نفورا.

(يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) كانت هذه هي كلمة الله  
القادرة القاهرة النافذة التي دمّرت تدبيرهم، وجعلت عملهم هباء منثورا،  
ونصر الله بها رسوله إبراهيم، وجعلهم الأخسرين في الدنيا والآخرة.

هذا، وقد جاء هذا الاستفهام : (أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين)  
جاء استفهاما حقيقيا، يريدون به أن يجيبهم إبراهيم عما سأله عنه، ولكن  
استفهامهم هذا مع إفادته ترددهم بين أن يكون إبراهيم جادا معتقدا مايقول  
وأن يكون مازحا لاعبا لايعنى مايقول، كان استفهامهم مع إفادته هذا التردد  
يشوبه التعجب من قول إبراهيم لهم : (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال  
سبين) ويشوبه أيضا استبعادهم أن يقول إبراهيم هذا القول يريد به الجد  
والحق.

ولقد أجابهم إبراهيم بأنه قد جاءهم بالحق والصدق، وأنه يعتقد مايقول  
حين قال لهم : (ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على  
ذلك من الشاهدين)، وهذا يعنى أن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون

الله ليست أربابا، ولا تستحق العبادة، فالله وحده هو رب كل شيء، وخالق كل شيء، المستحق لأن نعبد مخلصين له الدين، وأن ذوي الفطر السليمة يعتقدون ذلك ويشهدون عليه، وأنا من المعتقدين الشاهدين.

## الموضع الخامس

الموضع الخامس من مواضع الهمزة الداخلة على الفعل الماضي (جاء) قد ورد في قوله تعالى:

﴿وَأذْكُرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ يَا لَأَحْقَابِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ ۚ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأُنِنَا  
 بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ  
 وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ٢٣  
 فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنَا  
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ تَدْمُرُ كُلَّ  
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٥﴾

الآيات: (٢١ - ٢٥) من سورة الأحقاف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر لقومه قصة هود وقومه عاد، ليعتبروا بها، ولتكون تسلية وتعزية له صلى الله عليه وسلم تهون عليه تكذيب قومه له. لقد أنذر هود عليه السلام قومه عادا الذين كانوا يسكنون في مكان يسمى بالأحقاف، وحذّره عذاب الله إن لم ينبذوا عبادة الأصنام ويفردوا

الله تعالى بالعبادة، ولقد جاء الرسل الذين أرسلوا قبله والذين سوف يرسلون من بعده، جاءوا جميعا منذرين مثل إنذاره.

قال هود لقومه : إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تتركوا عبادة الأصنام وتخلصوا العبادة لله وحده.

قالوا : أجهتنا يهود لتصرفنا عن عبادة أصنامنا إلى عبادة من تدعوننا إلى عبادته؟! ها نحن أولاء عاكفون على عبادة أصنامنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تقول وتنذر.

قال لهم هود : إنما العلم بإتيان العذاب عند الله وحده، وأنا أبلغكم ما أرسلنى الله به، ولكنى أراكم قوما تجهلون طريق النجاة، ولا تدرون أي ضرر سيحل بكم من جراء عبادتكم غير الله واستعجالكم عذابه.

ونظرت عاد فإذا سحب يعترض بين السماء والأرض سائر نحو أوديتهم، فاستبشروا وقالوا هذا سحب ممطرنا، ولكن سرعان ماخاب فألهم، فإذا بالسحاب الذي ظنوه ماطرهم ريح عاصفة فيها العذاب الذي استعجلوا به.

لقد دمرت تلك الريح كل شيء أمرها الله بتدميره، وأبقت على ما أمرها الله بالإبقاء عليه، وأصبحت عاد لا ترى إلا مساكنهم خاوية خالية! والله سبحانه وتعالى يجزى كل مشرك يكذب رسله كما جزى عاد بما كانوا يكفرون، فاعتبروا يا كفار مكة بما صنع الله بعاد.

هذا، وقد جاء استفهام : (أجهتنا لتأفكنا عن آلهتنا)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب.

مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي لك يهود أن تجهتنا داعيا إلى نبد الأصنام ونبد عبادتها، وإلى إخلاص العبادة لله وحده.

ومفيدا التوبيخ : توبيخ قوم هود — لعنهم الله — هودا عليه السلام — على أن يجيئهم داعيا إلى ترك آلهتهم وترك عبادتها التي ورثوها عن آبائهم.

ومفيدا التعجب : فقد كان هود معروفا بين قومه بشرف النسب وحسن الخلق وسداد الرأي، وكان قومه يتوقعون منه أن يكون أشدهم تعلقا بدين الآباء والأجداد، فكان عجيبا عندهم أن يجيئهم لينبذوا هذه الأصنام وليعرضوا عن عبادتها، وليخلصوا العبادة لله وحده.

## ٧ - جعل

أما الفعل السابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (جعل)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

### الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (جعل) ورد في قوله تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ

الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَسْتَوِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

الآية: (١٩) من سورة التوبة.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين ووبخهم أن يجعلوا الذين يقومون على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله، فهؤلاء وأولئك لا يستوون عند الله منازل وأعمالا، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا ممن لا يؤمن به وباليوم الآخر، وهو جل وعلا لا يوفق لصالح الأعمال من يكفر به ويحجده وحدانيته.

هذا، وقد أفاد استفهام: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله)، أفاد الإنكار والتوبيخ.

فقد أنكر الله عز وجل على الذين افتخروا بسقايه الحاج وعمارة المسجد الحرام في الجاهلية وهم على الشرك أن يجعلوا تلك السقاية والعمارة كالإيمان بالله واليوم الآخر، أنكر عليهم بمعنى ما كان ينبغي لهم ذلك.

ولقد وبَّخ الله عز وجل أولئك المشركين على هذا الجعل، لأن أعمال أهل الكفر محبطة وأعمال أهل الإيمان مثبته، ولا يستوى الذين هم وأعمالهم في جهنم والذين هم وأعمالهم في الجنة.

(وجعل) في هذا الاستفهام فعل ينصب مفعولين : المفعول الأول سقاية الحاج على تقدير مضاف أى أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبهذا التقدير تتم المقابلة وتكون الموازنة بين طرفين يدل كل منهما على ذات : الطرف الأول : أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، والطرف الثاني : مَنْ آمَن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله.

أما السقاية والعمارة بدون تقدير مضاف قبلها فهما مصدران يدلان على معنى المصدرية فلا يصلحان أن يكونا في مقابلة مَنْ آمَن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، لأن (مَنْ) تدل على ذات، أما المفعول الثاني ل (جعل) فهو الكاف في (كمن آمن) على اعتبار أن هذه الكاف اسم بمعنى مثل مضاف إلى مَنْ، أما على اعتبار أنها حرف جر جرّت ما بعدها فيكون المفعول الثاني الجار والمجرور (كمن) أو متعلق الجار والمجرور.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضى (جعل) ورد في قوله تعالى :

صَّ وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۚ  
 كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَُوا وَاوَلَاتِ حَيْنٍ مَنَّا ص ۚ وَعَجِبُوا  
 أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۚ  
 أَجْعَلِ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَاَحَدًا ۚ اِنَّ هٰذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ ۚ وَاَنْطَلَقَ الْمَلٰٓئِ  
 مِنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوْا عَلٰٓى اِلٰهَتِكُمْ ۚ اِنَّ هٰذَا الشَّيْءُ يَرٰدُ ۚ  
 مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ ۚ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اُخْتِلَاقٌ ۚ ۷ اءَنْزَلَ

عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ  
 ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ  
 مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾  
 جُنْدٌ مَاهُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

الآيات: ( ١ - ١١ ) من سورة ص.

تتضمن هذه الآيات الكريمة قسما من الله تعالى بالقرآن ذى الذكر والشهرة والشرف على أن محمدا من المرسلين، ولكن الذين كفروا أخذتهم عزة وتكبر وعناد وشقاق، فكذبوا محمدا وأنكروا أن يكون رسولا.

لقد أهلك الله أمما كثيرة من قبلهم كذبوا الرسل، واستغاثوا الله حين رأوا العذاب نازلا بهم، ولكن استغاثتهم ذهب أدرج الرياح، فقد جاءت حين لا ينفع النداء، وحين لا مناص ولا نجاء.

فليحذر الذين يشركون بالله تعالى، ويكذبون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فليحذروا أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالذين من قبلهم، إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب.

هم يعجبون، وليس فيما يعجبون منه عجب، يعجبون وينكرون أن جاءهم محمد رسولا منهم وأنزل عليه القرآن من بينهم، فإذا كان عجبهم أن محمدا لم يكن أعلاهم منزلة ولا أوسعهم شهرة ولا أكثرهم مالا، فهذه المقاييس الدنيوية لا تزن عند الله جناح بعوضة، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كان عجبهم وإنكارهم أن يكون بشرا مثلهم، فهذه سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم، بعث إلى كل أمة رسولا منهم، (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكا رسولا) (١)، ولو كنتم أيها المشركون ملائكة لنزل الله عليكم من السماء ملكا رسولا، ولكنكم كنتم بشرا فأرسل الله إليكم بشرا مثلكم، لتفهموا عنه ويفهم عنكم، وليتأتى له خلاطكم واطلاعه على شؤون حياتكم، وليتسنى لكم أن تتخذوا منه قدوة تقتدون بها في شؤون دنياكم وأخراكم.



تعجبون أيها المشركون من أن يدعوكم محمد إلى عبادة إله واحد قادر على كل شيء، ولا تعجبون من عبادة آلهة متعددة لا تنضر ولا تنفع ولا تحس ولا تعقل، إن هذا الذي أنتم فيه هو العجب العجيب.

لو كان في أشرافكم عقل يفكر وقلب يتدبر ما قالوا تفضيلاً وشقاقاً: سيروا أيها القوم على طريقتكم، واستمروا على عبادة أصنامكم، واصبروا على هذه العبادة، فإله التوحيد الذي يدعوكم إليه محمد إلا شيء يريد به إفساد دينكم والقضاء على أصنامكم، فما سمعنا بهذه الوحدانية في الملة الآخرة ملة النصارى، وما سمعنا بها في ملة آبائنا وآباء آبائنا من قبل، ماهذه الوحدانية التي جاءكم بها محمد إلا اختلاق، وما ادعأؤه إنزال القرآن عليه من بيننا إلا افتراء، وما محمد إلا ساحر كذاب.

يقول المشركون محمد ساحر، وهم على يقين من أن محمداً لم يتعلم السحر، وماخالط الساحرين، ولايقول لهم سحراً.

ويقول المشركون محمد كذاب، وهم على علم لايشوبه شك بأن محمداً أبعد الناس عن الكذب، لقد عرفوه من قبل أن ينزل عليه القرآن الصادق الأمين، فكيف يصير كذاباً بعد أن نزل عليه القرآن ذو الذكر؟!

ساحر كذاب!! يقولون هذا بالسنتهم وتكذبه قلوبهم، تقوله السنة الحسد الذي يأكل قلوبهم، وحب الرئاسة الذي ملك عليهم أقطار حياتهم، ويقولون التكبر والعناد والشقاق الذي كان يحيط بهم من كل جانب.

لقد أخذتهم الحيرة في هذا القرآن ماذا يقولون عنه: تارة يقولون افتراء، وتارة يقولون شعر شاعر، وتارة سحر ساحر، وتارة قول كاهن، وتارة هو أساطير الأولين.

إن هؤلاء المشركين لما يذوقوا عذاب الله بعد، ويوم يذوقونه سيذهب عنهم التكبر والعناد والشقاق، ويزول عنهم الشك في أن القرآن وحي أنزله الله من عنده على محمد، يومئذ يؤمنون بما كانوا يعجبون منه وينكرون، يومئذ يستغيثون وينادون ولات حين استغاثة ونداء.

علام التكبر والعناد والشقاق يامشركى مكة؟! وفيم الإنكار والتعجب ياكفار قريش؟! أعندكم خزائن رحمة الله فأنتم لها مالكون وبها تتصرفون،

وتصيبون بها من تشاءون، وتصرفونها عن تشاءون، وتصطفون للنبوة من تريدون؟! ليس عندكم شيء من ذلكم، وإنما هي عند الله العزيز الغالب الذي لا يغلب، الوهاب الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

ألكم يا كفار قريش ملك السموات والأرض وما بينهما؟! إن زعمتم ذلكم فهاهي ذى من فوقكم، فلتصعدوا في المعارج والمناهج، ولتأتوا بالوحي فتختصوا به من تشاءون!! إنكم يا كفار مكة أعجز من ذلكم وأحقر؟! لا تكترث يا محمد بهؤلاء المتكبرين المعاندين، فهم جند حقير من الأحزاب التي تكبرت على الرسل من قبلك، وقد قهر الله أولئك وأهلكهم، وعمما قريب يكون هؤلاء من المهلكين.

هذا، وقد جاء استفهام : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) جاء مفيداً الإنكار والتعجب.

الإنكار بمعنى لا ينبغي لمحمد أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً، فهم ينكرون عليه أن يبطل آلهتهم الكثيرة المختلفة وأن يحصر الألوهية في إله واحد هو الله تعالى.

ويفيد التعجب بمعنى أن المشركين قد عجبوا من قول محمد صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، فقد حصر الألوهية في إله واحد هو الله سبحانه وتعالى ونفاها عن غيره، فكان ذلك عجباً كل العجب في نظر أولئك المشركين، لأنه مخالف لما أطبق عليه أسلافهم من الشرك وتعدد الآلهة. و(جعل) في هذا الاستفهام : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) أخذ مفعولين :

المفعول الأول (الآلهة) والمفعول الثاني (إلهاً)، و(واحداً) صفة المفعول الثاني. و(جعل) هنا بمعنى صير، وليس تصبيراً في الخارج بل في القول والتسمية، كما في قوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) (١٩) الزخرف.

## الموضع الثالث

الموضع الثالث الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضي (جعل) ورد في قوله تعالى :

وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا

أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

الآية (٤٥) من سورة الزخرف.

تتضمن هذه الآية الكريمة :

إنك لو استقرت يا محمد شرائع الرسل من قبلك وكتبهم وأخبارهم ما وجدت فيها أننا قد أمرنا بعبادة آلهة من دوننا على لسان أحد من رسلنا، فلست بدعاً بين الرسل أن تدعو إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وأن عباده غير الله ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أفاد الإنكار بمعنى النفي أي ماجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، وما أمرنا بذلك ولا شرعناه.

والجار والمجرور (من دون الرحمن) في محل نصب مفعول أول لجعلنا، و(آلهة) منصوب على أنه مفعول ثان، وجملة (يعبدون) في محل نصب صفة لآلهة.

## ٨ - حسب

أما الفعل الثامن من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (حسب)، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

### الموضع الأول

الموضع الأول من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (حسب) ورد في قوله تعالى:

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي  
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

الآية (١٠٢) من سورة الكهف.

تتضمن هذه الآية الكريمة:

لا ينبغي للذين كفروا بالله أن يظنوا اتخاذهم الملائكة والمسيح ابن مريم أولياء من دون الله نافعاهم، لقد أعد الله جلّ وعلا لهؤلاء وأمثالهم منزلا ينزلون فيه يوم القيامة هوجهم، فبئس المأوى وبئس المصير.  
هذا، وقد جاء استفهام: (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني أولياء) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي لهؤلاء الكافرين الذين عبدوا الملائكة والمسيح بن مريم أن يظنوا أن هؤلاء المعبودين من دون الله قادرون على نفعهم.

ومفيدا التوبيخ: توبيخ هؤلاء الكافرين على اتخاذهم الملائكة والمسيح ابن مريم أولياء من دون الله، وعلى تركهم اتخاذ الله وليا لآلوتي غيره ولا معبود سواه.

والفاء في (أفحسب) عاطفة، عطفت مابعداها على ما قبل همزة، وهذا العطف على ما قبل همزة مذهب سيويه والجمهور، ومن المفسرين من ذهب

مذهب الزمخشري فجعل المعطوف عليه فعلا مناسباً مقدرًا بعد الهمزة، قدره الألويسي في تفسيره: اكفروا بي فحسبوا، وقدره ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: آمنوا عذابي فحسبوا، والتقدير بعد الهمزة تكلف بعيد لا يتطلبه معنى ولا يستدعيه سياق.

وفعل (حسب) الوارد في هذا الاستفهام نصب مفعولين: المفعول الأول المصدر المؤول من (أن يتخذوا)، والمفعول الثاني محذوف دل عليه السياق، والتقدير: أفحسب الذين كفروا اتخذهم عبادي أولياء من دوني نافعاهم. ومن العلماء من يرى أن المصدر المؤول من (أن يتخذوا) سد مسد المفعولين، والفعل المضارع في (أن يتخذوا) نصب مفعولين أيضا: المفعول الأول: عبادي، والمفعول الثاني: أولياء، (ومن دوني) جار ومجرور في محل نصب على الحالية من أولياء، والذي سوغ مجيء الحال من النكرة تقدمه عليها.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (حسب) ورد في قوله تعالى:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

الآية: (١١٥) من سورة المؤمنون

تتضمن هذه الآية الكريمة:

لا تظنوا أيها الأشقياء المنكرون للبعث أن الله تعالى قد خلقكم تلهيا بكم، ولا تظنوا كذلك أنكم لا تردون إليه أحياء بعد مماتكم، فالله جلّ وعلا قد خلقكم لتعبده، وسوف تردون إليه ليجازيكم على أعمالكم. هذا، وقد جاء استفهام (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

الإنكار بمعنى لا تظنوا ولا ينبغي أن تظنوا أن الله جل وعلا قد خلقكم  
دونما ناية وبلا فائدة، وأنكم لا ترجعون إليه أحياء بعد الممات ليجازيكم  
على أعمالكم.

وأفاد التوبيخ على تركهم عبادة الله تعالى وعلى انصرافهم إلى ما  
لا يرضيه عز وجل ظناً منهم أن البعث وما بعد البعث من ثواب وعقاب لن  
يكون.

والفاء في (أفحسبتم) عاطفة، عطفت مابعداها على ما قبل الهمزة، ويرى  
الزحششري وأتباعه أن المعطوف عليه مقدر بعد الهمزة، وقد قدره الألويسي في  
تفسيره : ألم تعلموا شيئا فحسبتم، ولا يخفى ما في هذا التقدير من تكلف  
وتعسف.

وحسب في (أفحسبتم) متعدية إلى مفعولين، والمصدر المؤول من أنَّ  
والفعل الذي بعدها في محل نصب سد مسد المفعولين، و(ما) التي بعد أنَّ  
زائدة كافة كتفت أنَّ عن العمل، و(عبثا) يجوز أن تكون حالا من (نا)  
في خلقناكم فتؤول باسم الفاعل، أي أفحسبتم أنما خلقناكم عابثين، ويجوز  
أن تكون مفعولا لأجله، أي للعبث.

و(أنكم إلينا لا ترجعون) : (أنَّ) مصدرية تؤول هي وفعل (ترجعون)  
بمصدر معطوف على المصدر المؤول من (أنما خلقناكم)، وتقدير الكلام مع  
تأويل المصدرين . أفحسبتم خلقنا إياكم عبثا وعدم رجوعكم إلينا.

### الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي  
(حسب) ورد في قوله تعالى :

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيَّاكُمْ آمَنَّا وَهُمْ لَا  
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾

الآيتان : ( ٢ - ٣ ) من سورة العنكبوت

قيل : نزلت الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين في جماعة من المؤمنين كانوا بمكة، وكان كفار قريش يؤذونهم على إسلامهم، فكانت صدورهم تضيق بذلك، وربما استنكر أن يُمكن الله الكفار من المؤمنين. وجاءت الآية الثانية معلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده المؤمنين ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

ومعنى الآية الأولى عام باق في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وإن نزلت في مناسبة خاصة. وتتضمن هاتان الآيتان الكريمتان :

لقد ظنّ الناس الذين آمنوا بالله ورسوله فأذاهم المشركون على إيمانهم، ظنوا أن يكتفى منهم بقولهم آمنا، وأن يتركوا فلا يمتحنوا بما يتبين به حقيقة هذا الإيمان.

ليس افتتان المؤمنين في مكة على إيمانهم بدعا من الأمر، وإنما هو سنة الله في الذين آمنوا من قبل، ليظهر الله الذين صدقوا من الذين كانوا كاذبين.

هذا، وقد جاء استفهام : (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ.

مفيدا الإنكار بمعنى لا ينبغي لأولئك المؤمنين الذين عذبوا على إيمانهم أن يظنوا أنهم يتركون دونما اختبار في إيمانهم بمجرد قولهم آمنا. ومفيدا توبيخهم على ظنهم ذلك الظن، فالله سبحانه وتعالى له التصرف التام في خلقه، وعلى المؤمنين أن يصبروا على ابتلاء الله إياهم دونما تدمير ودونما استنكار.

(وحسب) في هذا الاستفهام بمعنى ظنّ فتأخذ مفعولين، والمصدر المؤول من (أن يتركوا) في محل نصب سدّ مسدّ هذين المفعولين، والمصدر المؤول من (أن يقولوا) في محل جر بلام التعليل المقدرة، أو في محل نصب على نزع الخافض، وجملة (وهم لا يفتنون) في محل نصب على الحال من واو الجماعة في (أن يتركوا).

## ٩ - خرق

أما الفعل التاسع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (خرق)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ

أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا

مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِئِنَّا عَدَاءٌ لَّكَ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا

هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ

الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ

فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّ عَلَيَّ إِثْرُهُمَا

قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ

عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ

فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا

لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا

تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ

قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾



✦ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ  
 سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا  
 ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَا  
 أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ  
 قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي  
 وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَالًا تَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا  
 السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا  
 وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمُ  
 فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا  
 ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا  
 ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ  
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا  
 أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ  
 عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

الآيات : ( ٦٠ - ٨٢ ) من سورة الكهف

روى أن سبب هذه القصة التي تضمنتها هذه الآيات الكريمة أن موسى  
 عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل، فقبل له : أي الناس أعلم؟ قال :  
 أنا!! فأوحى الله تعالى إليه أن يسير على ساحل البحر حتى يبلغ مجمع  
 البحرين، وهناك في المكان الذي يفقد فيه الحوت يجد الرجل الذي هو  
 أعلم منه.

ويعزم موسى على السفر، ويأمر فتاه يوشع — وكان خادماً له يتبعه  
 ويأخذ عنه العلم — أن يستعد للرحيل، وأن يأخذ معه حوتا يكون لهما زاداً.

قال موسى لفتاه يوشع وقد بدأ الرحلة: سوف أظل أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فإما أن أجد الرجل على مقربة ودون نصب، وإما أن أمضي حقبا وسفرا ناصبا قبل أن أعثر عليه وألقاه.

وبلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، وهناك وجدا صخرة كبيرة شاهقة، فجلسا يستريحان في ظلها، وسرعان ماغلب النوم على موسى فنام، أما يوشع فقبل أن ينام رأى الحوت في مكنته يضطرب ثم يتخذ سبيله في البحر سربا، وينام يوشع على أن يخبر موسى خبر الحوت وماكان من أمره حين يستقيظان، ويستيقظان، ويواصلان الرحلة، ويتجاوزان ملتقى البحرين، ويقطعان شوطا بعيدا عن تلك الصخرة، ويحس موسى بالجوع والتعب فيقول لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولكن يوشع يقول أسيفا معتذرا: أتذكر ياموسى إذ بلغنا مجمع البحرين وأوينا إلى تلك الصخرة نستريح وننام، هنالك نسيت الحوت، نسيت أن أذكر لك ماكان من شأنه، وماأنسانى ذكره وقت الرحيل عن الصخرة إلا الشيطان، هنالك ياموسى أحيا الله الحوت فاتخذ سبيله في البحر عجبا.

لم يأس موسى ولم يغضب لفقدان الزاد والحوت، بل صاح يقول: ذلك ما كنا نبغى يا يوشع، فالرجل الذي ننشده سنجده في ذلك المكان الذي نسينا فيه الحوت واتخذ سبيله في البحر عجبا.

وسرعان مادب النشاط والعزم في موسى وفتاه يوشع فارتدا على آثار أقدامها قصصا قبل أن تضيع سافيات الرياح وأمواج البحر الممتدة آثار تلك الأقدام فيضلا الطريق إلى تلك الصخرة.

ويصلان الصخرة مكان فقدان الحوت، وإذا بها يعثران على الرجل الذي كانا ينشدانه، عثرا على الخضر عليه السلام، وكان عبدا من عباد الله آتاه الله النبوة وعلمه خيب أمور أوحى بها إليه.

لم يترك موسى وقته يضيع سدى، فسرعان ماقال للخضر في تواضع وتلطف: أتراك آذنا لى أن أصاحبك على أن تعلمنى مما علمك الله هدى ورشدا.

قال الخضر وهو يتوقع أن تكون هذه المصاحبة شاقة على موسى عسيرة:

إنك لن تستطيع معي صبرا، وأنتى لك أن تصبر على أشياء تراها رأي العين منكرة وأنت لا تحيط بمنافعها خبرا.

ويستمع موسى إلى إجابة الخضر تحذر وتنذر وتؤكد له أن هذه الصحبة لا طاقة له بها، وسوف يعيل لها صبره وتكون فوق احتماله، ولكنه مع ذلك يصبر عليها ويقول: ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا.

وعد موسى أنه سوف يصبر على مصاحبة الخضر، وأنه سوف يطيع أوامره طاعة مطلقة، ولكنه احتاط لنفسه فقيّد الصبر والطاعة بمشيئة الله تعالى.

ويوافق الخضر على أن يتبعه موسى ويصحبه بعد أن وعد الصبر والطاعة، ولكنه يشترط ويقول: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

ويسكت موسى ولا يحير جوابا، ويبدءان الرحلة يسيران على الشاطئ، وأمواج البحر تترامى عند أقدامها لاغبة ناصبة، والخضر يرمى ببصره حادًا بعيدا في عرض البحر، ولم يلبث غير قليل حتى رأى سفينة تعلق بها الأمواج وتهبط، فيلوح بيده مشيرا إليها أن تقترب.

ويركبان السفينة، وقبل أن تستقر قدما موسى على متنها يخرقها الخضر ويحدث فجوة فيها.

قال موسى وقد أسرع إليه الغضب: أتخرق السفينة ياخضر قبل أن نستقر فيها وتجري بنا في البحر بسلام؟! أتريد أن تغرق أهلها وتلقي بهم في اليم؟! لقد جئت ياخضر أمرا عظيما عجيبا منكرا!!

لم يفاجأ الخضر بما قال موسى، ولم يزد على أن تبسم وقال في هدوء وسكينة: ألم أقل يا موسى من قبل إنك لن تستطيع معي صبرا؟! لقد وعدتني أن تصبر، فأين صبرك الذي وعدت؟!!

ويصحو موسى من حُميا غضبه، ويقول وهو ينحو باللائمة على نفسه: لا تؤاخذنى بما نسيت.

ويعفو الخضر ويصفح، ويتركبان السفينة ومن فيها، وينطلقان على سيف البحر يمشان في صمت وسكينة.

كان موسى يمشى صامتا يعاتب نفسه أن أخلف وعده، هاهى ذى

السفينة قد تركاها تركب البحر موجة بعد موجة دون أن تغرق أو يغرق من فيها كما كان يخشى أو يتوقع، لاجابة به إلى أن يعيد الاعتذار، فقد عفا الخضر عنه وانتهى الأمر.

كان الخضر هادىء البال طيب النفس بتنفيذ ما أمر الله، لقد انتهى من خرق السفينة، وهاهو ذا يمشى على الشاطئ، ينتظر تنفيذ أمر آخر. أغلب الظن أنها نزلا من السفينة غير بعيد من قرية كان غلمانها يخرجون إلى شاطئ قريب من تلك القرية يلهون ويلعبون، وعلى حين فجأة يلتقيان غلاما منهم لا يزال في رونق الصبا وضحوه الشباب فيسرع إليه الخضر ويقتله.

قال موسى وقد ضل عنه صبره ووعده، وسالت نفسه حسرات مع دم القتل الذي كان يسيل: أتقتل نفسا زكية طاهرة لم تقترف إثما وما اجترحت خطيئة ولا أودت بحياة نفس بريئة؟! لقد جئت ياخضر شيئا نكرا!!

بقي الخضر هادئا وادعا ساكن الجوارح غير لسان يقول في لهجة لائمه ونبرة عاتبة وصوت كان أقوى وأجهر من ذي قبل: ألم قل لك أنت ياموسى: إنك لن تستطيع معى صبيرا.

ويعود موسى إلى نفسه وتعود نفسه إليه، لقد استحيا أن يعتذر بالنسيان مرة أخرى، ولو اعتذر لما كان من الكاذبين.

قال موسى والندم يضرسه بأنياه: إن سألتك عن شيء بعد هذه أو خالفتك في أمر فلا تجعلني صاحبا لك، ولك العذر كله في أن تفارقني دون أن يكون لى عليك معتب وملام.

ويستأنف الخضر وموسى انطلاقهما وفي نفس كل منها العزم على شيء: أما الخضر فقد اعتزم مفارقة موسى إن أنكر عليه شيئا أو سأل شيئا بعد ماقد مضى، ولاسيا أن موسى قد جعله في حل من هذه المفارقة واعتذر في قطع هذه الصحبة.

وأما موسى فقد اعتزم أن يأخذ نفسه بالصبر والصمت والإغضاء عما يفعل الخضر، وأن لايسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا، لقد اشترط

الخضر عليه هذا من قبل ولكنه لم يلتزمه ولم يعمل به، فلا ينبغي له أن يفترط وأن يضيع، فهذه آخر فرصة تفرص.

ويستأنفان انطلاقهما، وينتهي بهما السير إلى قرية، فاخذا يجوبان طرقاتها والأزقة، ويطرقان أبواب مساكنها باباً باباً لعلها يجدان ما يدفعان به عادية الجوع وينقعان به غلة الظمأ، ولكنها لم يلقيا من أهلها إلا الرد والرفض ووجوها عابسة واستقبالا كرها.

وبعد أن أعيأهما المسير ويشا من المسألة وجدا جدارا يريد أن ينقض وهم أن يسقط، فأقامه الخضر وسوى بناءه.

لقد ضيَّع الجوع والظمأ والإعياء ما اعتزمه موسى من الصمت والصبر والإغضاء، فقال للخضر وقد ضل عنه عاقبة ما يقول: لو شئت لاتخذت على إقامة هذا الجدار أجرا، فقد رأيت الشح الذي استقبلنا به أهل هذه القرية، واللؤم الذي عاملونا به، وأنت تعلم مدى حاجتنا إلى بلغة من طعام وشربة من ماء.

كانت مؤاحذة موسى للخضر قد خلت من العنف ولم تذهب مذهب الشطط، ولكن رد الخضر كان حازما حاسما، فقال دون تريث وتلبث: هذا فراق بيني وبينك؛ فلاصحبة بعد هذه، ولا حاجة إلى عذر جديد، وسوف أبين لك عاقبة ما تعجلت في إنكاره ولم تسطع عليه صبورا.

أما السفينة التي خرقها فكانت لمساكين يعملون في البحر، ينفقون أجر ما تحمّل من بضائع وأناسي على تكاليف عيش ومؤونات حياة، وهو لا يكاد يكفى حاجة أويست خلة، وكان على طريقهم في البحر ملك ظالم يتصيد كل سفينة صالحة ويأخذها غصبا، فأردت أن اعيبها ليزهد ذلك الملك الظالم في اغتصابها، ولتسلم لأصحابها، أولا ترى أن خرقها كان خيرا لهم وأبقى؟! أما الغلام الذي قتلته فكان كافرا، وكان أبواه مؤمنين، فخشنا اذا ما اشتد عوده وبلغ أشده أن يشتط عليها فيكلفهما ضلالا وكفرا، فقتلته ابتغاء أن يرزقها رهبا خيرا منه طهارة ونقاء، ودينا وصلاحا، وبرا ورحمة، أو ماترى أن قتله كان خيرا لوالديه وأحسن عقبى؟!!

وأما الجدار الذي أقمته فكان لغلامين يتيمين صغيرين في هذه المدينة

التي استطعنا أهلها فأبوا أن يضيفونا، وكان تحت ذلك الجدار كنز لها خبأه أبوهما، وكان أبا صالحا، فأراد ربك أن يبلغ ذاك الصغيران اليتيمان سن الرشد والقدرة على حسن التصرف فيستخرجا كنزهما وينتفعا به، ولولا إقامتي ذاك الجدار وتسويتي بناءه لانقض وتساقط وصار نهبا للضياع، وفات اليتيمين الصغيرين ما أراد به أبوهما الصالح حين خبأه وأخفاه وأقام هذا الجدار من فوقه، أو ماترى أن إقامة الجدار كانت أبر وأحسن عاقبة وأتقى. لم أفعل ياموسى ما فعلته عن رأي ارتأيته واجتهاد اجتهده، وإنما كان ذلك كله بأمر الله.

وافترقا، أما الخضر فلا يعلم طريقه إلا الله، وأما موسى فقد رجع أدراجه. هذا، وقد أفاد استفهام (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ) أفاد الإنكار والتعجب.

أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لك ياخضر أن تخرق هذه السفينة فتعرضها للغرق، وتعرض من فيها للموت، لقد جئت في فعلتك هذه أمرا عظيما وخطأ جسيما.

وأفاد تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا الخرق والتخريب وارتكاب هذا المنكر الذي لم يكن يتوقعه موسى من الخضر، فقد كان يتوقع منه أن يعلمه مما علمه الله رسدا، وإذا به يفاجأ بشيء بعيد عن الرشد فيما ظن موسى وحسب. والفعل المضارع في (لتغرق) الوارد في هذا الاستفهام منصوب بأن مضمرة جوازا بعد اللام، وهذه اللام قيل إنها لام العاقبة، وقيل إنها لام العلة.

(وأن) المضمرة بعد اللام والفعل المضارع الذي دخلت عليه في تأويل مصدر، وهذا المصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور يتعلقان بفعل (أخرقتها)، والتقدير: أخرقتها لإغراق أهلها.

أما استفهام (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) فقد أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لك ياخضر أن تقتل نفسا طهرت من الذنوب وبرئت من الآثام، ولم ترتكب جريمة قتل فتؤخذ بها.

ويفيد تقبيح قتل هذه النفس الزكية التي لاتزال في رونق الصبا

وزهرة الشباب، والتي لا يدور بخلد أحد أن تكون قد قتلت نفسا أخرى بغير حق فتقتل بها وتلقى من جراء ذلك هذا القصاص.

ويفيد تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا القتل الظالم، وهو الذي حرص موسى على صحبته ليعلمه مما علمه الله رشداً، فأين الرشد في قتل هذه النفس الزكية بغير نفس، لقد كان ذلك فيما بدا لموسى شيئاً نكراً لم يستطع عليه صبراً.

والجار والمجرور (بغير نفس) يتعلقان بفعل (أقتلت)، ويجوز أن يتعلقا بمحذوف صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أقتلت نفساً زكية قتلاً كائناً بغير نفس.

وقد جوز بعضهم أن يكون (بغير نفس) في محل نصب على الحال من فاعل (أقتلت) أي أقتلت نفساً زكية حال كونك ظالماً، أو على الحالية من المفعول، أي أقتلت نفساً زكية حالة كونها مظلومة، وإعراب الجار والمجرور على أنها حال بعيد جداً.

## ١٠ - أذهب

أما الفعل العاشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أذهب) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَهَبْتُمْ طَبِيبَتِكُمْ  
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ  
بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَنْفُسُونَ ﴿٢٠﴾

الآية : (٢٠) من سورة الأحقاف

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا بالله سوف يقال لهم يوم يعذبون في نار جهنم: لقد استوفيتم طبيباتكم ولذاتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها حتى لم يبق منها شيء، واليوم ليس لكم إلا عذاب الإذلال والاحتقار والإهانة جزاء استكباركم في الدنيا عن الإيمان بالله وعن اتباع الرسل، وجزاء ما كنتم ترتكبونه من أنواع الفسوق والعصيان.

هذا، وقد قرأ معظم القراء السبعة: (أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا) بهمزة واحدة هي همزة أفعل، وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الكلام إخباراً، ويحتمل أن يكون استفهاماً حذف منه همزة الاستفهام للدلالة السياق عليها.

وقرأ بعض القراء السبعة (أذهبتم) بهمزتين: الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة أفعل الزائدة، وعلى هذه القراءة وعلى تقدير همزة الاستفهام في القراءة الأولى يفيد هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى الإخبار أى قد أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها.

ويفيد توبيخ الكافرين على انغماسهم في اللذات والشهوات والمعاصي في حياتهم الدنيا، وعلى انصرافهم عن الإيمان بالله وطاعته واتباع رسله.



## ١١ - رأى

أما الفعل الحادي عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (رأى)، وقد ورد ذلك في أربعة وثلاثين موضعا، وقد جاءت هذه المواضع الأربعة والثلاثون على أربعة أساليب:

١ - الأسلوب الأول : رأيت.

٢ - الأسلوب الثاني : رأيتم.

٣ - الأسلوب الثالث : رأيته.

٤ - الأسلوب الرابع : رأيتمكم.

وقد ذهب سيبويه وجماعة من النحاة<sup>(١)</sup> إلى أن رأيت في أساليبها الأربعة إذا جاءت بمعنى أخبرني كانت علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول مفرد منصوب يأتي بعدها ويكون هو المستخبر عنه، والمفعول الثاني جملة استفهامية هي مناط الاستخبار ومتعلقه ومصبه ومورده.

وقد التزم أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط رأي سيوبه هذا، وقد التزمته أنا أيضا تبعا لأبي حيان في حديثي عن (رأيت) في أساليبها الأربعة السابقة وفي مواضعها الأربعة والثلاثين، ففسرتها بمعنى أخبرني، أخبروني، وأعربتها على أنها علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول مفرد منصوب يأتي بعدها، والثاني جملة استفهامية، وإذا لم يذكر أحدهما أو لم يذكر كلاهما قدرت ما لم يذكر.

وتفسير (رأيت) بمعنى أخبرني تفسير معنى لا تفسير إعراب، لأن أخبرني تتعدى ب (عن)، تقول أخبرني عن زيد، أما رأيت فتتعدى بنفسها إلى مفعولها.

(١) البحر اخط لأبي حيان الأندلسي ج ٤ ص ١٢٦.

والآن إلى بيان مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى): أما همزة الاستفهام التي دخلت على الفعل الماضي (رأى) وجاءت على أسلوب (أرأيت) فقد وردت في عشرة مواضع:

## ١ - أرأيت الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى  
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا  
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾  
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا  
هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ  
الْحُوتَ وَمَا أَنَسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ  
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا  
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ  
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

الآيات : ( ٦٠ - ٦٥ ) من سورة الكهف

سبق أن تحدثت عما تضمنته هذه الآيات والآيات التي بعدها المشتملة على قصة موسى والخضر عليهما السلام، وذلك في حديثي عن الفعل التاسع من الأفعال التي دخلت عليها همزة الاستفهام وهو (خرق).

وقد اختلفت آراء العلماء في معنى (أرأيت) الواردة في هذه الآية :  
(أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا  
الشیطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً).

فقد ذكر أبو حيان في تفسيره البحر المحیط عند تفسيره هذه الآية أن أبا  
الحسن الأخفش ذهب إلى أن (أرأيت) هنا ليست بمعنى أخبرني، لأنها  
لا تكون كذلك إلا إذا جاء بعدها مفعول به صريح يكون هو المستخبر عنه،  
ومن بعده جملة استفهامية هي مناط الاستخبار ومتعلقه، و(أرأيت) في هذه  
الآية ليست كذلك، فهي — في رأيه — قد خرجت عن معناها بالكلية،  
فهي لا تعمل ولا تنصب مفعولاً به ولا مفعولين، وإنما هي بمعنى أما أوتنبه.  
ولم يرتض أبو حيان هذا الرأي وقال إنه إخراج لأرأيت عن معناها  
بالكلية، أما الزمخشري فقد رأى في تفسير الكشاف أن (أرأيت) هنا بمعنى  
أخبرني، وكان المعنى على رأيه: أخبرني أي شيء دهاني إذ أوينا إلى  
الصخرة، أو أخبرني عما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة.

ونقل الألوסי في تفسيره وصاحب الفتوحات في حاشيته على الجلالين،  
نقلاً عن أبي حيان جواز أن تكون (أرأيت) هنا بمعنى أخبرني وقد حذف  
مفعولها اختصاراً، والتقدير: أرأيت أمرنا إذ أوينا إلى الصخرة ماعاقبته.  
وأبو حيان في هذا الرأي قد اتبع مذهب سيبويه في أن (أرأيت) إذا  
كانت بمعنى أخبرني فهي علمية تنصب مفعولين: الأول مفرد منصوب يأتي  
بعدها يكون هو المستخبر عنه وهو هنا (أمرنا) والثاني جملة استفهامية هي  
مناط الاستخبار ومتعلقه، وهي هنا (ماعاقبته).

وذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن (أرأيت) في هذه الآية بمعنى  
أعرفت أو أشاهدت فهي متعدية إلى مفعول به واحد يدل عليه السياق.  
أما استفهام (أرأيت) في هذا الموضع فقد أفاد التنبيه والتعجب،  
التنبيه: على معنى أن يوشع يريد بهذا الاستفهام أن ينبه موسى للحالة  
العجيبة التي سيذكرها بعد، وكأنه يقول له: استمع جيداً، وتنبه لما أذكره  
لك، فهو شيء عجيب.

وأفاد التعجب: على معنى أن يوشع نفسه قد تعجب كيف نسي أن

يذكر لموسى بعد أن استيقظا من نومهما عند الصخرة، أن يذكر له ما كان من الحوت، وأنه قد حيي واتخذ سبيله في البحر عجبا، فمثل ذلك لا ينسى ولا ينبغي أن يقع فيه نسيان.

وقد ذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن استفهام (أرأيت) هنا يفيد التعجب على معنى أن يوشع أراد بهذا الاستفهام أن يحمل موسى على التعجب من نسيانه (نسيان يوشع) أن يذكر له ما كان من الحوت مع أن ذلك مما لا ينبغي أن ينسى.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا  
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا  
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرْتُدُّهُ  
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

الآيات : ( ٧٧ - ٨٠ ) من سورة مريم

ذكر أن هذه الآيات الكريمة نزلت في العاصي بن وائل السهمي : فقد عمل له خبّاب بن الأرت عملا، وتقاضاه أجر ماعمل، فقال العاصي : لا أنصفك حتى تكفر بمحمد.

قال خباب : لا أكفر بمحمد حتى يبيتك الله ويبعثك.

قال العاصي : أو مبعوث أنا بعد الموت.

قال خباب : نعم.

قال العاصي : فانت إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد، وعند ذلك

أفضيك دينك.

فالعاصي بن وائل هو المراد ب (الذي كفر بآياتنا).

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة :

أفرايت يا محمد هذا الذي كفر بالقرآن الكريم وبالْحجج الدالة على السبعث، وقال مستهزئا متعنتا: لأوتين مالا وولدا، أو بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الله تعالى فادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا، أم اتخذ من عالم الغيب عهدا أن يؤتى ذلك .

ليرتدع عن قوله الكاذب!! فليس الأمر كما قال، فهو لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهدا، إنه مجرم كاذب كفارا!

سنحفظ عليه قوله هذا، فنجازيه به في الآخرة، ونزيده عذابا فوق عذاب، ونسلبه ما أعطيناه في الدنيا من مال وولد، ولسوف يأتينا يوم القيامة فردا ذليلا لامال ولا ولد ولا عشيرة.

وقد جاء استفهام (أفرايت) في هذه الآية الكريمة، جاء مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه.

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا الكافر الغريبة ومن جرأته الوقحة القبيحة، فقد كفر بآيات الله الدالة على البعث، وكفر بيوم القيامة، وقال هازئا مقسما أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا، كأنما اطلع الغيب فعلم ذلك، أو اتخذ عند الرحمن عهدا بأنه يعطيه مالا وولدا.

وجاء مفيدا التنبيه على قصة هذا الكافر، وما حدث منه، وما قاله، فذلك شيء غريب جدير بأن يتعجب منه، وأن يكون فيه معتبر لمن أراد أن يتذكر.

هذا، ومما هو جدير بالتنبيه أن المفسرين، حين يقولون إن رأيت بمعنى أخبرني أو إن رأيتم بمعنى أخبروني لا يريدون أن هذا هو المعنى الحقيقي المراد، وإنما هم يشيرون إلى الأصل في استعمالها وأنها حينئذ علمية، وأنها تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم مفرد يأتي بعدها ويكون هو المستخبر عنه، والمفعول الثاني جملة استفهامية هي متعلق الفعل ومناطه ومورده.

ففي هذه الآية (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) لا يصح أن يقال إن (أفرايت) بمعنى أخبرني ويكون هذا المعنى هو المراد

لأنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى يطلب من محمد صلى الله عليه وسلم أن يخبره عن الذي كفر بالآيات وأقسم أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولداً، وهذا المعنى لا يضح ولا يكاد يضح لأن الله سبحانه وتعالى منزّه عن أن يستفهم استفهاماً حقيقياً أو أن يستخبر عن شيء ما، فالله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

أما المعنى المراد من استفهام (أرأيت) في هذه الآية الكريمة فهو التعجب والتعجب والتنبه وقد سبق بيانه.

وهكذا في كل استفهام وفي كل صورة من صور (أرأيت) يكون المعنى المراد هو ما يدل عليه السياق ويدركه التذوق السليم الناضج لأساليب الكلام.

أما إعراب (أفأرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً).

ف (أرأيت) علمية تنصب مفعولين : المفعول الأول هو اسم الموصول (الذي) وجمله (كفر بآياتنا) صلة الموصول لاجلها من الإعراب، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية (أطلع الغيب). واللام في (لأوتين مالا وولداً) واقعة في جواب قسم محذوف، و(أوتين) فعل مضارع مبني للمجهول، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وهو في محل رفع لتجرده من الناصب والجازم، وقيل إذا بنى الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب ولا جازم فلا محل له، ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، و(مالا) مفعول به، و(ولداً) معطوف على (مالا). وجمله (لأوتين مالا وولداً) واقعة جواب قسم محذوف لاجلها من الإعراب، والقسم المحذوف وجوابه في محل نصب مقول القول، وجمله (قال لأوتين مالا وولداً) معطوفة بالواو على جملة (كفر بآياتنا) فهي مثلها لاجلها من الإعراب، لأنها صلة الموصول.

و(أطلع الغيب) الهمزة حرف استفهام، و(اطلع) فعل ماضٍ متعد بنفسه هنا، والغيب مفعول به وليس منصوباً على نزع الخافض، وأصل (أطلع): (أإطلع) بهمزتين: الأولى مفتوحة وهي همزة الاستفهام، والثانية مكسورة وهي همزة الوصل، وفي مثل هذا يستغنى عن همزة الوصل المكسورة

فتحذف تخفيفاً لأن اجتماع همزتين في أول الكلمة على هذا النحو ثقيل،  
 (وَأَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) : (أَمْ) متصلة عاطفة، و(اتَّخَذَ) فعل ماضٍ  
 وهو هنا متعدي إلى مفعول به واحد وهو (عهداً)، و(عند) ظرف مكان  
 متعلق باتَّخَذَ، وجملة (اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) معطوفة على (أُطْلِعَ الْغَيْبَ)  
 فهي داخلة في حيز الاستفهام.

و(اتَّخَذَ) على وزن افتعل، وأصلها، إِتَّخَذَ بهمزتين: الأولى همزة وصل  
 مكسورة، والثانية ساكنة هي فاء الكلمة، فاجتمع في أول الكلمة همزتان:  
 الأولى متحركة والثانية ساكنة، فوجب قلب الثانية ياء لتجانس حركة  
 ما قبلها، فصارت الكلمة إِتَّخَذَ، فأبدلت الياء تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال  
 وأدغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة اتَّخَذَ بتاءين: التاء الأولى هي  
 التاء التي أبدلت من الياء المبدلة من الهمزة، والتاء الثانية هي تاء  
 الافتعال.

### الموضع الثالث

الموضع الثالث من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

الآية (٤٣) م سورة الفرقان

تتضمن هذه الآية الكريمة: أرأيت يا محمد حال هؤلاء المشركين كيف  
 يختار الرجل منهم الإله الذي يعبده بحسب ما تهوى نفسه وتحب، يعبد أحدهم  
 الحجر فإذا رأى حجراً آخر أحسن من الأول شكلاً وصورة رمى باله الأول  
 في الأرض واتخذ الثاني إلهاً يعبده من دون الله.  
 لست يا محمد وكيلاً على هذا المشرك ولا كفيلاً حتى تردده إلى الإيمان  
 وتخرجه من الشرك، وإنما عليك البلاغ.

وقد جاء استفهام (أرأيت) في هذه الآية الكريمة مفيدا التعجب والتعجيب والتنبيه.

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا المشرك الذي يتخذ إلهه حجرا لا يسمع ولا يعقل ولا يضر ولا ينفع، ثم هو يعبث بهذه الأحجار الآلهة فيرمى بها في الأرض إلهها إثر إله تبعا لما تهواه نفسه ويزين له هواه.

ومفيدا التنبيه لحال هذا المشرك الغربية الدالة على الجهل والغباء وغروب التفكير وعزوب التعقل، التنبيه لحال عبادته الحجارة واتخاذها آلهة من دون الله الواحد القهار، ثم استبداله بعضها ببعض بحسب ماتشتهيه نفسه وتلذذ به عينه.

أما إعراب استفهام (أرأيت) في هذه الآية الكريمة :

فقد جاء في تفسير الجلالين أن (أرأيت) بمعنى أخبرني، وبناء على ذلك هي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (مَنْ) في (من اتخذ إلهه هواه) وهو المستخبر عنه، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (أفأنت تكون عليه وكيلا) وهي متعلق الاستفهام ومناطه، وهمزة الاستفهام في (أفأنت) مؤكدة لهمزة الاستفهام في (أرأيت) وليست استفهاما جديدا، والفاء في (أفأنت) واقعة في جواب اسم الموصول (من)، وكثيرا ما يعامل اسم الموصول معاملة الشرط فيكون له جواب مقترن بالفاء.

(واتخذ إلهه هواه) : اتخذ فعل ماض تعدى إلى مفعولين في هذه الآية الكريمة: المفعول الأول (إلهه)، والمفعول الثاني (هواه) من غير تقديم ولا تأخير بين المفعولين لاستوائهما في التعريف، وهذا هو رأي أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، وذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى التقديم والتأخير بين المفعولين، فيكون (إلهه) هو المفعول الثاني وقد قدم للناية به، ويكون هواه هو المفعول الأول.

وعلى الإعراب الذي اختاره أبو حيان يكون المعنى: جعل إلهه الشيء الذي يجب أن يكون إلهها، أي مجرد الشهوة وليس لاستحقاقه الألوهية، وعلى إعراب الزمخشري يكون المعنى: جعل هواه كأنه إله، فهو لا يأتي عملا إلا إذا كان وفاقا لشهوته.



## الموضع الرابع

الموضع الرابع لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ  
إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾  
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿٢٠٧﴾

الآيات : (٢٠٤ - ٢٠٧) من سورة الشعراء

كان المشركون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم أشرا وبطرا واستهزاء: يا محمد، إلى متى تعدنا بالعذاب ولا تأتينا به؟! ظنا منهم أن العذاب غير كائن ولا لاحق بهم، فهامهم أولاء يُمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، ويعيشون حياة طويلة بلا عذاب، فنزل قوله تعالى: (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخا لهم وسخرية بهم وتعجبا من استعجالهم العذاب، وليس هناك من عاقل يستعجل عذابا، ثم قال تعالى بعد ذلك ما يتضمن:

هب أن الأمر كما يعتقدون، فمتعناهم في الحياة الدنيا زمانا طويلا في أمن ودعة، وعمرناهم أعمارا طويلا في سلامة وأمن، وأملينا لهم السنين المديدة، ثم جاءهم بعد هذا ما يوعدون من العذاب الأليم، فأى شيء أغنى عنهم هذا التأخير الذي أخرناه في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به في الحياة الدنيا؟! لقد جنى عليهم التأخير، فزادوا فيه إثما على إثم وجرما على جرم.

أما إعراب هذا الاستفهام : (أفأرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون) :

فقد جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان وفي تفسير أبي السعود وفي تفسير الألوسي وفي تفسير الجلالين - جاء فيها أن (أرأيت) هنا بمعنى

أخبرني، وبناء على هذا تكون علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول — وهو المستخبر عنه — ضمير محذوف يعود على اسم الموصول (ما) في قوله (ما كانوا يوعدون)، على أساس أن المسألة هنا من باب التنازع، فقد تنازع الفعلان: فعل (أرأيت) وفعل جاءهم، تنازعا اسم الموصول في قوله (ما كانوا يوعدون)، فالفعل الأول وهو (أرأيت) يطلب هذا الموصول على أنه مفعوله، والتقدير: أفرأيت ما كانوا يوعدون، والفعل الثاني وهو (جاءهم) يطلبه على أنه فاعل له، والتقدير: جاءهم ما كانوا يوعدون، فأعمل الثاني في التنازع فيه، وأعمل الأول في ضمير التنازع فيه وحذف ذلك الضمير، وجملة (كانوا يوعدون) صلة الموصول (ما) والعائد محذوف، والتقدير: ما كانوا يوعدونه.

أما المفعول الثاني ل (أرأيت) — وهو متعلق الاستفهام ومناطه — فالجملة الاستفهامية: (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون). و(ما) الأولى في هذه الجملة الاستفهامية اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لأغنى بمعنى أي شيء أغنى ما كانوا يمتعون، و(ما) الثانية اسم موصول في محل رفع فاعل لأغنى، وجملة (كانوا يمتعون) صلة لاجل لها من الإعراب، والعائد محذوف تقديره (به)، ويجوز في (ما) الأولى أن تكون مفعولا مطلقا، وفي الثانية أن تكون مصدرية، وعلى هذا يكون التقدير: أي إغناء أغنى عنهم تمتيع الله إياهم أو كونهم ممتعين.

أما جواب الشرط في قوله تعالى: (إن متعناهم سنين) فمحذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية الواقعة مفعولا ثانيا، والتقدير: إن متعناهم سنين لم يغن عنهم تمتعهم.

أما استفهام (أفرأيت) في هذه الآيات الكريمة فقد جاء مفيدا التعجب والتعجيب من حال هؤلاء المشركين الذين كانوا يستعجلون عذاب الله استهزاء وسخرية حين طالت آجالهم فظنوا أن ليس هناك عذاب.

وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التنبيه على أن تمتيع الله تعالى هؤلاء المشركين بحياة طويلة آمنة وادعة لا ينجيهم من عذابه تعالى ولا يغني عنهم شيئا، فعذابه تعالى واقع بهم لا محالة، ولكن الله — جلت حكمته — تارة

يعجل العذاب، وتارة يُنظر ويمهل ولكنه لا يهمل.  
والخطاب في (أفرايت) ليس مقصورا على الرسول صلى الله عليه وسلم،  
بل هو عام يشمل كل من يصلح أن يكون مخاطبا حتى المجرمين.

## الموضع الخامس

الموضع الخامس لاستفهام (أرايت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ  
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

تتضمن هذه الآية الكريمة :

أفرايت يا محمد من اتخذ إلهه ماتهواه نفسه، وخذله الله عن سبيل الهدى  
والرشاد على علم سابق منه تعالى بأنه لا يهتدي ولو جاءتته كل آية، وختم  
على سمعه فلا يسمع آيات كتاب الله فيتدبرها، وختم على قلبه فلا يفهم  
مافي كتاب الله من النور والهدى، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به  
حجج الله فيستدل بها على أنه لا إله إلا هو.

من كان على هذه الصفات فلن يهتدي، ولن يستطيع أحد من بعد الله  
أن يهديه إلى الحق وطريق الرشده.

أفلا تتذكرون أيها الناس وتتعظون وتعتبرون فتعلموا أن من فعل الله به  
هذا الفعل فلن يهتدي أبدا، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا.

وقد جاء استفهام (أفرايت) في هذه الآية الكريمة مفيدا التعجب

والتعجيب والتنبيه :

مفيدا التعجب والتعجيب من حال هذا المشرك يترك عبادة الله الواحد  
الخالق الرازق القهار إلى عبادة الأصنام التي لا تفهم ولا تعقل ولا تنصر

ولا تنفع، ثم هو لا يستقر به الحال على معبود واحد، تراه اليوم يعبد حجرا فإذا رأى في الغد حجرا آخر أحسن انتقل إلى هذا ورمى بالأول في الأرض، وهكذا ينتقل من معبود إلى معبود بحسب ما يختار هواه الأرعن، وتزينه له نفسه الأمانة بالسوء، لقد ضل طريق الهدى والنور، فهو لا يسمع آيات الله فيتبين فيها الحق والرشد، ولا يبصر خلائقه العظيمة فيستدل بها على وحدانيته، وليس له قلب يعقل أو يفقه، فأنى له التذكر والتدبر فيدرك أن الله لا إله إلا هو، وأن هذه الأصنام التي يعبدها من دونه ضلال وباطل.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه لحال هذا المشرك الغبي الضال، يعبث بأهله وينتقى منها ويختار كما يشاء هواه وتشتهي نفسه، ويصم أذنيه ويغمض عينيه ويغلق قلبه عما في هذا الكون الواسع الرائع من آيات وخلائق تشهد بربوبية الله تعالى ووحدانيته، وأنه وحده الذي يستحق العبادة.

إن حال هذا المشرك لجديرة بأن ينبه لها، وجديرة بأن تثير التعجب وتبعث على الاستغراب، وأن يكون فيها ذكرى الأولى الألباب.

وفي تفسير البحر المحيط وتفسير الجلالين أن (أفرايت) هنا بمعنى أخبرني، فهي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول - وهو المستخبر عنه - اسم الموصول (من) في قوله تعالى (من أتخذ إلهه هواه)، وجملة أتخذ إلهه هواه صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وجملة (أضله الله على علم) صلة ثانية للموصول معطوفة بالواو على الصلة الأولى، وجملة (ختم الله على سمعه وقلبه) صلة ثالثة معطوفة بالواو على الصلة الأولى، وجملة (جعل على بصره غشاوة) صلة رابعة معطوفة بالواو على الصلة الأولى، والجار والمجرور (على علم) في صلة الموصول الثانية في محل نصب حال من لفظ الجلالة (الله) أضله الله وهو (تعالى) يعلم أن هذا المشرك لا يهتدى ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من الضمير المفعول به في (أضله)، والمعنى أضل الله هذا المشرك وهو (أي المشرك) يعلم الحق.

أما المفعول الثاني ل (أفرايت) - وهو متعلق الاستفهام ومناطه - فقد جعله أبو حيان في تفسيره البحر المحيط محذوفا يدل عليه قوله تعالى (فإن

يهديه من بعد الله)، والتقدير عنده: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة أيتهدى. وفي حاشية الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين من يرى رأيا آخر فيجعل الجملة الاستفهامية: (فمن يهديه من بعد الله) هي المفعول الثاني وهي متعلق الاستفهام ومناطه، وعلى هذا تكون الفاء في هذه الجملة واقعة في جواب اسم الموصول، وكثيرا ما يقرن جواب اسم الموصول بالفاء تشبيها له بالشرط، ولعل هذا الرأي أفضل من رأي أبي حيان لأنه لا تكلف فيه، ولأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج.

## الموضع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ

﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يُرِي ۖ ﴿٣٥﴾

الآيات (٣٣ - ٣٥) من سورة النجم.

ذكر أن هذه الآيات نزلت في رجل أسلم فلقبه من يعيره بإسلامه وبترك ملة آبائه، فقال الرجل: إني خشيت عذاب الله في الآخرة، فقال المعير: ارجع- إلى دين آبائك وأنا أحمل عنك كل عذاب يكون عليك إن اعطيتني كذا وكذا، فارتد الرجل وأعطى المعير قليلا مما وعد ثم أمسك وشح.

وقد تضمنت الآية الأخيرة من هذه الآيات الثلاث: كيف يرتد هذا الرجل الذي أسلم عن إيمان وهو لا يعلم الغيب، ولا يعلم أن ماضنه له صاحبه من حمل أوزاره يوم القيامة حق؟!

وقد جاء استفهام (أفرأيت) هنا مفيدا التعجب والتعجب والتنبيه: أفاد التعجب والتعجب من حال هذا الرجل: يسلم عن رضا وطواعية، ثم يرتد

عن الإسلام إلى الكفر من غير ما سبب سوى أنه عُيِّر بترك ملة الآباء والأجداد، ثم إنه يصدق بضمان صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، مع أنه لا يعلم الغيب ولا يعلم أن ضمان صاحبه حق، ثم هو يعد بأن يعطى صاحبه مالاّ مسمىّ جزاء هذا الضمان الباطل، فيكذب، ولا يفى بما وعد. وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التنبيه على حال هذا الرجل المرتد: إسلام رضا وطواعية، ثم ردة طائشة تقوم على جهالة الجاهلية، وقبول ضمان لادليل على صحته وصدقه، ثم وعد لا يعقبه وفاء، إنها لحال جديرة بأن ينبه عليها، حال مثيرة للتعجب والاستغراب، باعثة على التذكر والتدبر والتفكير. وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان وتفسير الجلالين أن (أرأيت) هنا بمعنى أخبرني، فهي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول - وهو المستخبر عنه - اسم الموصول (الذي تولى)، أما المفعول الثاني - وهو متعلق الاستخبار ومناطه - فهو الجملة الاستفهامية: (أعنده علم الغيب فهو يرى).

## الموضع السابع والثامن والتاسع

أما الموضع السابع والثامن والتاسع لاستفهام (أرأيت) ففي قوله تعالى:

أَرَأَيْتَ

الَّذِي يَتَّبِعُ ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۚ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۙ أَوْ أَمَرَ

بِالْقَوِيِّ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ

الآيات : ( ٩ - ١٤ ) من سورة العلق

جاء في تفسير الألووسي ( ج ٣٠ ص ١٨٣ ) : « أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة أن أبا جهل حلف باللات والعزى لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليطنّ على رقبته وليعفرنّ وجهه، فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يصلى ليفعل، فا فجاهم منه إلا

وهو ينكص على عقبه ويتقى بيديه، فقيل له مالك؟ فقال: إن بينى وبينه  
لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا  
منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، وأنزل الله تعالى (كلا إن الإنسان  
ليطغى) إلى آخر السورة (سورة العلق) «أ.هـ.

وكان من ضمن هذه الآيات التي نزلت الآيات المتقدمة المشتملة على  
استفهام (أرأيت): (وأرأيت) هنا في آياتها الثلاث بمعنى أخبرنى فهي  
علمية تنصب مفعولين: أما (أرأيت) الأولى: (أرأيت الذي ينهى عبدا  
إذا صلى) فمفعولها الأول - وهو المستخبر عنه - اسم الموصول (الذي  
ينهى)، ومفعولها الثاني - وهو متعلق الاستخبار ومناطه - محذوف يدل  
عليه (ألم يعلم بأن الله يرى)، والمعنى والتقدير: أرأيت الذي ينهى (وهو  
أبو جهل) عبدا إذا صلى (وهو الرسول صلى الله عليه وسلم) ألم يعلم ذلك  
الناهى أن الله يراه فيحاسبه.

وعبر عن أبى جهل باسم الموصول (الذي ينهى) ليشمل كل ناه عن  
الصلاة، وعبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ب (عبدا) - وهي نكرة  
تدل على التعظيم - لتشمل كل منهى عن الصلاة، وعبر عن النبي بصيغة  
المضارع التي تدل على الحال والاستقبال لبيان أن ذلك النهي جدير بأن  
يستحضر ويظل عالقا بالأذهان لغرابته وأنه مما لاينقضى التعجب منه.

أما (أرأيت) الثانية: (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى)  
فمفعولها الأول - وهو المستخبر عنه - ضمير محذوف يعود على الذي ينهى -  
وهو أبو جهل - ومفعولها الثاني - وهو متعلق الاستخبار ومناطه - محذوف  
أيضا يدل عليه (ألم يعلم بأن الله يرى).

والضمير المستتر في (كان) وفي (أمر) يعود على الذي ينهى وهو أبو  
جهل، وهذا رأي جماعة من المفسرين منهم الزمخشري وأبو السعود والأوسى،  
وعلى هذا الرأي قال البيضاوى في تفسيره: «والمعنى أخبرنى عمن ينهى  
بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه أو  
أمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقدده .. (ألم يعلم بأن الله  
يرى) ويطلع على أحواله من هداه أو ضلاله» أ.هـ.

وذهب مفسرون آخرون منهم الطبرى وابن كثير وابن عاشور إلى أن الضمير المستتر في (كان) وفي (أمر) يعود على (عبدا) وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا رأى أشار البيضاوى في تفسيره بقوله: «وقيل: المعنى: رأيت الذي ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى أمر بالتقوى» أ.هـ.

أما (أرأيت) الثالثة: (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) ففعلها الأول — وهو المستخبر عنه — محذوف اختصارا يعود على الذي ينهى وهو أبو جهل، ومفعولها الثاني — وهو متعلق الاستخبار ومناطه — الجملة الاستفهامية: (ألم يعلم بأن الله يرى).

أما الشرط الواقع بعد (أرأيت) الثانية والشرط الواقع بعد (أرأيت) الثالثة فجوابها محذوف يدل عليه الجملة الاستفهامية (ألم يعلم بأن الله يرى).

والمراد بقاء الخطاب في (أرأيت) في آياتها الثلاث الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من يصلح أن يكون مخاطبا. وقد جاء استفهام (أرأيت) في آياتها الثلاث مفيدا التعجب والتعجب والتنبيه والتهديد والتوعد.

التعجب والتعجب من حال أبي جهل، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهدى ويأمر بالتقوى، ويدعو إلى عبادة الرازق الخالق، وإلى نبذ عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع، فكان ينبغى لأبي جهل أن يستجيب إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤمن به ويصدقه، ولا سيما أنه قد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أمينا صادقا مستقيما، ولكن أبا جهل يكذب الأمين ويظل يعبد الأصنام، وزيادة في الكفر والعناد والجهالة حاول أن يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة في المسجد الحرام حول الكعبة عند المقام، وهو يعلم أن الله تعالى يراه ويعلم فعله وأنه قادر على الانتقام منه.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: التنبيه لحال تبعث على التعجب وتثير الاستغراب، وتدعو إلى التدبر والتبصر، حال أبي جهل — وما أكثر آباء



الجهل — فقد وقف إلى جانب الباطل وهو يعلم أنه باطل، وترك جانب الحق وهو يعلم أنه حق، وعبد الأصنام وهو يراها لا تسمع ولا تعقل ولا تنصر ولا تنفع، وأعرض عن عبادة الله الواحد القهار، وكذب من يعلم صدقه وامانته وكان عليه أن يصدقه ويؤمن به.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التهديد والتوعد: تهديد أبي جهل وتوعده بأن الله تعالى ليس بغافل عما يفعل، فهو يراه وسوف ينتقم منه وينزل به العذاب الأليم.

ويدخل مع أبي جهل في هذا التهديد والتوعد أمثاله الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويحولون بين المسلمين وإقامة الصلاة.

## الموضع العاشر

الموضع العاشر من مواضع استفهام (أرأيت) ورد في قوله تعالى:

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي  
يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾

الآيات : ( ١ - ٣ ) من سورة الماعون

وتتضمن هذه الآيات الكريمة :

أعلمت الذي يكفر باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب من هو، وعلى أي صفة يكون؟! إن لم تكن قد علمته فذلك الذي يدع اليتيم عن حقه في خشونة، ويرده عن طعامه الذي يستحقه في غلظة، ولا يحث نفسه ولا غيره على إطعام المساكين طعامهم دون مئة وتناول، ذلك الذي يكفر باليوم الآخر وما في اليوم الآخر، ولو كان قد آمن به، وبما يقع فيه مافعل الذي قد فعل من قسوة وغلظة وإمساك يد وشح.

والتاء في (أرأيت) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل هي عامة تشمل كل من يصلح أن يكون مخاطبا.

و(أرأيت) قيل هي من الرؤية البصرية فتأخذ مفعولا واحدا، وقيل هي بمعنى أخبرني فهي علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول: اسم الموصول (الذي يكذب بالدين)، وهو المستخبر عنه، والمفعول الثاني — وهو متعلق الاستخبار ومناطه — جملة استفهامية مقدرة والتقدير: أعلمت الذي يكذب بالدين من هو.

وقُدِّرَ المفعول الثاني جملة استفهامية، لأن (أرأيت) التي بمعنى أخبرني لم يأت مفعولها الثاني مصرّحا به في القرآن الكريم إلا جملة استفهامية، فكان أن قُدِّرَ هنا جملة استفهامية طرداً للأسلوب على نمط واحد وطريقة واحدة. والمراد ب (الذي يكذب بالدين) قيل هو شخص معين، وذكروا أشخاصا بأسمائهم، وقيل — وهو الحق — إنه على عمومه، فيشمل كل من كان مكذبا بالدين.

وقد اختلفت آراء العلماء في استفهام (أرأيت الذي يكذب بالدين)، فذهب ابن خالويه في كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) إلى أنه للتقرير والتنبيه، وذهب الفخر الرازي في تفسيره، والبيضاوي في تفسيره إلى أنه للتعجب، وقال أبو السعود في تفسيره إنه للتشويق والتعجب. والذي يبدو لي أن استفهام (أرأيت) هنا يفيد التشويق والتعجب والتعجب والتنبيه.

يفيد التشويق على معنى تشويق المخاطب وإثارة تطلعه واستشرافه إلى معرفة جواب هذا الاستفهام، حتى إذا جاءه الجواب تمكن منه فضل تمكن.

ويفيد التعجب والتعجب من حال الذي يكذب باليوم الآخر، فهو يدفع اليتيم عن طعام هو حقه، ولا يبحث غيره على إطعام المسكين طعاما يستحقه، يفعل فعل من لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا.

ويفيد التنبيه: تنبيه المخاطب لأمر جدير بالتأمل والتبصر، وهو حال المكذب باليوم الآخر الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويحرمه طعاما يستحقه ويقف منه موقف المتكبر المتعالي الذي لا يبالي بحال هذا المسكين، ولا يحض نفسه ولا الناس من حوله على إطعامه، يفعل ذلك كأنما هو لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا، وهذا مما ينبغي للمؤمن أن يتقيه ويحذر منه.

## ٢ - أَرَأَيْتُمْ.

الأسلوب الثاني من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى) هو (أرأيتُمْ)، وقد ورد هذا الأسلوب في واحد وعشرين موضعاً:

### الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرأيتُمْ) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَّرَفَ الْآيَاتِ  
ثُمَّ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾

الآية (٤٦) من سورة الأنعام

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:  
أخبروني أيها المشركون إن ذهب الله بسمعكم فأصمكم، وذهب بأبصاركم فأعماكم، وختم على قلوبكم فأماها، فصرتم لا تفقهون حجة، ولا تفهمون حديثاً، أي إله غير الله يستطيع أن يرده إليكم ما أخذ الله منكم. ما أعجب أمرهم يا محمد!! نتابع عليهم الحجج الكثيرة، ونضرب لهم الأمثال المختلفة، ولكنهم مع هذا كله يعرضون عن الاعتبار والادكار والإنابة إلى الله الواحد القهار.

هذا، و(أرأيتُمْ) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو السمع والأبصار، ومتعلق الاستخبار ومناطه هو الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم به)، وتقدير الكلام: أخبروني أيها المشركون عن سمعكم وأبصاركم من إله غير الله يأتيكم بها إن أخذها الله منكم.

أما إعراب (أرأيتُمْ) فرأى هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على سمعكم وأبصاركم، و(سمعكم وأبصاركم) متنازع

فيه بين (أرأيتم) و(أخذ)، فأعمل الثاني في الظاهر، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير. أما المفعول الثاني ل (أرأيتم) فهو الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم به). وأما جواب الشرط (إن أخذ) فحذوف لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم فأخبروني من يأتيكم بها.

أما إعراب (من إله غير الله يأتيكم به) فـ (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(إله) خبره، و(غير الله) صفة للخبر، وجملة (يأتيكم به) في محل رفع صفة ثانية للخبر، والضمير (به) يعود على مفعول أخذ المذكور سابقاً، وقد أفرد هذا الضمير وذكر لأنه أجرى مجرى اسم الإشارة: (ذاك).

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيداً للتقريع والتوبيخ والتهديد والتنبيه: تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم الأصنام، وعلى إعراضهم عن عبادة الله المنعم عليهم بالسمع والأبصار والأفئدة.

وتهديدهم بأن يأخذ الله منهم هذه النعم التي أنعم الله بها عليهم، أن يأخذها منهم جزاء كفرهم، ولن تستطيع أصنامهم أن ترد عليهم هذه النعم، فالأخذ والعطاء بيد الله وحده.

وتنبيههم على أنه ليس هناك إله غير الله يقدر على أن ينعم عليهم بهذه النعم، وأن يأخذها منهم حين يشاء، فالتعلق بغيره لا ينفع ولا يشفع.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ

الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

الآية (٥٠) من سورة يونس

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:

أخبروني أيها المشركون الذين تستعجلون العذاب، أخبروني عن عذاب

الله إن أتاكم ليلاً وأنتم نائمون غافلون، أو نهاراً وأنتم في طلب المعاش مشغولون، أي شيء تستعجلون منه أيها المجرمون وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل؟! فالعذاب كله مرّ المذاق، تفرغ منه القلوب وتنفر منه الطباع، والمجرمون أحق بأن يخافوا العذاب على إجرامهم، وأن يهلكوا فرعاً من ذكره ومن مجيئه وإن أبطأ عليهم، فكيف تستعجلونه أيها المجرمون؟! (وَأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه عذاب الله، ومتعلق

الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (ماذا يستعجل منه المجرمون).  
أما الإعراب ف (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (عذاب الله).

وقد تنازع (أرأيتم) و(أتاكم) (عذاب الله)، فالفعل الأول وهو (أرأيتم) يطلب (عذاب الله) على أنه مفعول به، والفعل الثاني وهو (أتاكم) يطلبه على أنه فاعل، فأعمل الفعل الثاني في هذا الاسم الظاهر وهو عذاب الله وارتفع على الفاعلية، وأعمل الفعل الأول في ضمير هذا الاسم الظاهر وحذف هذا الضمير.

والمفعول الثاني ل (أرأيتم) هو الجملة الاستفهامية: (ماذا يستعجل منه المجرمون)، والرابط الذي ربطها بالمفعول الأول هو ضمير (منه)، و(بياتاً) و(نهاراً) منصوبان على الظرفية الزمانية متعلقان بأتاكم.

وإعراب (ماذا يستعجل منه المجرمون): (ما) استفهامية في محل رفع مبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي خبره، وجملة (يستعجل منه المجرمون) صلة، وقد حذف الضمير العائد على الموصول، والتقدير: ما الذي يستعجله من العذاب المجرمون، ويجوز أن تكون (ماذا) كلمة واحدة وتكون حينئذ في محل نصب مفعولاً مقديماً، ويكون التقدير: أي شيء من العذاب يستعجل المجرمون.  
وجواب الشرط (إن أتاكم) محذوف دلّ عليه ما قبله وهو أرأيتم ومعمولها، والتقدير: إن أتاكم عذابه فأخبروني ماذا تستعجلون منه أيها المجرمون.

هذا، وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف: «وجواب الشرط (إن أتاكم عذابه) محذوف، وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه» أ.هـ.

وقد ردّ أبو حيان في تفسيره البحر المحيط قول الزمخشري هذا وقال :  
« وما قدره الزمخشري غير سائغ، لأنه لا يقدر الجواب إلا مما تقدمه لفظاً أو  
تقديرًا، تقول أنت ظالم إن فعلت، فالتقدير: إن فعلت فأنت ظالم، وكذلك  
(أي مما تقدمه تقديرًا) (وإنما إن شاء الله لهتدون) التقدير: إن شاء الله  
نهتد» أ.هـ.

وقال الزمخشري أيضا عند تفسيره هذه الآية: « ويجوز أن يكون (ماذا  
يستعجل منه المجرمون) جوابا للشرط، كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني»  
أ.هـ.

وقد ردّ أبو حيان هذا الرأي أيضا بقوله: « وأما تجويزه أن يكون ماذا  
جوابا للشرط فلا يصح، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما فلا بدّ فيه من  
الفاء، والمثال الذي ذكره وهو: إن أتيتك ماذا تطعمني، هو من تمثيله لامن  
كلام العرب» أ.هـ.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا تقرير المشرّكين وتوبيخهم على  
استعجالهم العذاب مع أنهم قوم مجرمون، فهم أحقّاء أن يخشوه وأن يفزعوا من  
ذكره، فكيف يستعجلونه.

وأفاد أيضا تهديد المشرّكين بأن الله تعالى قادر على أن ينزل بهم العذاب  
في أي وقت يشاء.

### الموضع الثالث

الموضع الثالث لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ  
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَمْ يَأْتِ الْكُفْرَافَ  
تَفْتَرُونَ

الآية (٥٩) من سورة يونس

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله  
عليه وسلم أن يقول للمشرّكين مايتضمن.

أخبروني أيها المشركون عما خلق الله لكم من رزق فحرّمتم بعضه على أنفسكم وحلّلتهم بعضه لها، الله أذن لكم أن تحرّموا ما حرّمتم من هذا الرزق، وأن تحلّوا ما حلّلتهم منه، أم لم يأذن الله لكم فأنتم تكذبون على الله وتفترون. (وأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (الله أذن لكم أم على الله تفترون).

أما إعراب (أرأيتم) فهي علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما)، والجملة بعد (ما) صلته، والعائد محذوف، والتقدير: ما أنزله الله، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (الله أذن لكم)، والرباط الذي ربط جملة المفعول الثاني بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: الله أذن لكم فيه.

(وقل) الثانية توكيد لفظي للأولى، و(أم) الظاهر فيها أنها متصلة عاطفه، والتقدير: الله أذن لكم فيه أم لم يأذن.

وجوّز الزمخشري في كشافه أن تكون (أم) منقطعة بمعنى بل أنفترون على الله، أي أنتم تفترون على الله.

وجملة (فجعلتم منه حراما وحلالا) معطوفة على جملة (أنزل الله لكم من رزق)، و(حراما) مفعول ثان لجعلتم، والمفعول الأول هو (منه) باعتبار معناه أي بعضه، والتقدير: فجعلتم بعضه حراما وجعلتم بعضه حلالا.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا تقريع المشركين وتوبيخهم على تحريمهم بعض ما رزقهم الله، وتحليلهم بعضا آخر، يفعلون ذلك من عند أنفسهم، ثم ينسبونه إلى الله تعالى كذبا وافتراء.

## الموضع الرابع

الموضع الرابع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾  
 أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلِيمٍ

﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا  
مِثْلَنَا وَمَا نَرْنِكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا  
إِذَا كَانُوا لَكَ مِنَ الرَّاغِبِينَ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ  
﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَأْتِيَتْكُمْ رَحْمَةٌ  
مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُمْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مَكُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ  
﴿٢٨﴾

الآيات : ( ٢٨ - ٢٥ ) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل نوحا إلى قومه فقال لهم: إني رسول الله إليكم أخوفكم من عذاب الله وعقابه، وأبين لكم أن لا تعبدوا إلا الله، وأن لا تشركوا به شيئا، وإني لأخشى عليكم أن يعذبكم الله عذابا أليما يوم القيامة إن لم تؤمنوا به وحده وتخلصوا له العباداة. فقال الكبراء والأشراف الذين كفروا بالله من قوم نوح وجحدوا أنه نبي مرسل: ما نراك يانوح إلا بشرا آدميا مثلنا، فكيف أوحى إليك من دوننا؟! وما نراك اتبعك إلا أراذلنا، وما كان اتباعهم لك عن تروٍّ وتدبر وإنعام نظر، وإنما كان رأيا عارضا ابتدرهم أول مادعوتهم، ثم ما نرى لكم بعد أن تركتم عبادة الأوثان وصرتم إلى عبادة الله، ما نرى لكم فضلا علينا يغرينا باتباعكم ويحبب إلينا دينكم الجديد، وما نظنكم إلا كاذبين فيما تدعونه لأنفسكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الآخرة التي تحدثون عنها وتصفون.

وقد ردّ نوح على قومه ردًّا رفيقا لينا بعيدا عن الفظاظة والغلظة، فذلك أبعث على تخفيف مافي قلوبهم من حقد وغل وعداوة، وادعى إلى ترقيق قلوبهم وحسن إصغائهم وتخليهم عن التمادى في العناد والمكابرة، قال: يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني النبوة من عنده رحمة منه تعالى بى وبكم، أنلزمكم قبولها وأنتم لها كارهون؟!، لا، لا نفعل ذلك، بل نكل أمركم إلى الله عز وجلّ يقضى فيكم بما يشاء، إنه الهادى إلى سواء السبيل.



هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)، والتقدير: أخبروني عن البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكم قبولها وأنتم لها كارهون.

و(أرأيتم) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (بينة)، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) وجواب (إن) الشرطية محذوف دلّ عليه وأغنى عنه ما تقدّمه وهو (أرأيتم) ومفعولها، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فأخبروني عنها أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

وإعراب (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون): الهمزة حرف استفهام، ونلزم مضارع ألزم وهو متعد إلى مفعولين: المفعول الأول ضمير المخاطبين (كمو) والمفعول الثاني الضمير (ها) العائد على (بينة)، وجملة (أنتم لها كارهون) في محل نصب على الحال من ضمير المخاطبين (كمو). والجملة الاستفهامية كلها سبق القول إنها المفعول الثاني لأرأيتم.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا للإنكار بمعنى النفي على معنى أن النبوة التي آتاه الله تعالى إياها رحمة به وهم لا يلزمهم قبولها ولا يكرههم على الإيمان بها، وإنما عليه أن يبلغهم إياها، والله تعالى وحده هو الذي يتولى حسابهم، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

### الموضع الخامس

الموضع الخامس لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ  
يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ  
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ  
﴿١١﴾ قَالُوا لَئِن صَاحِدْكَ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ  
نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٢﴾

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي  
مِنهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي

غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

الآيات : ( ٦١ - ٦٣ ) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أرسل النبي صالحا إلى قومه ثمود فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وليس هناك من إله يستحق العبادة غيره ، هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، تنحتون من جبالها البيوت ، وتشيدون في سهولها القصور ، وتغرسون فيها الشجر ، وتنتون فيها الزرع ، وتجنون ثمرا طيبا ورزقا كثيرا . فاستغفروا الله بالإيمان به وإخلاص العبادة له واتباع ما أرسلت به يغفر لكم ذنوبكم ، ثم توبوا إليه بترك ما يكرهه من الأعمال إلى ما يحبه ويرضاه يتب عليكم ، إن الله قريب ممن يخلص له العبادة ويرغب إليه في التوبة ، يجيب له إذا مادعاه .

قالت ثمود : لقد كنا يا صالح من قبل أن تقول لنا اعبدوا الله مالكم من إله غيره نتوسم فيك سداد الرأي وحسن الخلق وشرف النسب ، ونرجى أن تكون فينا السيد المطاع الذي يحمى العشيرة ، وينصر الآلهة ، ويعبد ما كان يعبد آباؤنا ، أما بعد هذا القول الذي تقول ، وهذه الدعوة التي تدعو ، فلن تكون الفتى المرجو للشدائد والسيد المطاع في العشيرة . ما كان ينبغي لك يا صالح أن تنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا ، وأن تأمرنا أن نعبد إلهها واحدا لا شريك له ، إنا لفي شك مما تدعوننا إليه ، وإنا لنظنك من الكاذبين .

ولكن صالحا رد على قومه ردا لينا بعيدا عن الفظاظ والغلظة ، دون أن يستفزه مافي جوابهم من جفوة وتكذيب .

قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه النبوة فن ذا الذي يدفع عني عقابه إن أنا عصيته فلم أبلغكموها واتبعتكم فيما تدعونني إليه من الكفر ، إنكم لا تزيدونني في اتباعكم غير تضييع وتحسير .

والتعبير بحرف الشك (إن) في قول صالح لقومه: (إن كنت على بينة من ربي)، وفي قول نوح لقومه في الآية السابقة: (إن كنت على بينة من ربي)، وفي قول شعيب لقومه في الآية التالية: (إن كنت على بينة من ربي)، تعبير هؤلاء الأنبياء بهذا الحرف (إن) الذي كثيرا ما يستعمل في شك المتكلم في الفعل الواقع بعده، تعبير هؤلاء الأنبياء بهذا الحرف في مخاطبتهم لأقوامهم مع أنهم كانوا على يقين من أنهم على بينة من ربهم، لأنهم كانوا يخاطبون قوما جاحدين، ففيه رعاية لحسن المحاوره، واستنزال عن العناد والمكابرة، واستدراج لطيف هؤلاء المشركين لعلمهم يذكرون.

(وَأرأيتُمْ) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (فمن ينصرنى من الله إن عصيته)، والتقدير: أخبروني عن البينة من ربي إن كنت عليها فمن ينصرنى من الله إن عصيته فلم ابلغكموها وكتمتها عنكم.

أما إعراب (أرأيتُمْ) ف (رأى) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على بينة، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: (فمن ينصرنى من الله إن عصيته)، والرابط الذي ربط المفعول الثاني بالأول ضمير محذوف مقدر، والتقدير: فمن ينصرنى من الله إن عصيته بكتمانها.

وكون الجملة الاستفهامية هذه هي المفعول الثاني لأرأيتُمْ رأي نقله صاحب الفتوحات الإلهية في حاشيته على الجلالين، وعلى هذا الرأي تكون الفاء الداخلة على الجملة الاستفهامية زائدة للتوكيد، وعلى هذا الرأي أيضا يكون جواب الشرط (إن كنت) محذوفا دل عليه ما قبله، وهو (أرأيتُمْ) ومفعولها، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فأخبروني عنها من ينصرنى من الله إن عصيته بكتمانها.

وقد ذهب أبو حيان في تفسيره البحر المحيط إلى أن الجملة الاستفهامية: (فمن ينصرنى من الله إن عصيته) واقعة في جواب الشرط، وليست هي المفعول الثاني لأرأيتُمْ، وفي رأيه أن المفعول الثاني محذوف دل عليه هذه الجملة الاستفهامية وقدره: أَعْصِيهِ فِي تَرْكِ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَيِّنَةِ.

أما الرأي القائل: إن الشرط والجملة الاستفهامية الواقعة في جوابه يسدان مسدّ مفعولي رأيتم، فقد رده أبو حيان في تفسيره وقال: إن الشرط وجوابه لا يقعان ولا يسدان مسدّ مفعولي رأيتم.

وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أن (أرأيت) إذا جاء بعدها الشرط وجاء بعد الشرط جملة استفهامية مقترنة بالفاء كما في هذه الآية تكون بمعنى أما ولا يكون لها مفعولان ولا مفعول واحد.

وقد رده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط هذا الرأي بأنه إخراج لأرأيت عن مدلولها بالكلية.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا التنبيه: تنبيه صالح قومه على أن الله تعالى قد آتاه النبوة وأصبح على بينة من ربه فلا يستطيع بعد هذا إلا أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده وأن ينههم عن عبادة الأصنام، وأنه إن لم يفعل ذلك فقد عصى الله تعالى وكان عاقبة أمره خسرا.

## الموضع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

﴿٨٢﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ  
شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ  
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ  
أَوْفُوا بِالْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا  
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾  
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ

نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُونَ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ  
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ  
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الآيات : ( ٨٤ - ٨٨ ) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم  
 مدين أخاهم شعيبا فقال : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له وانبدوا عبادة  
 الأصنام، فالكم من إله يستحق العبادة غير الله، ولا تنقصوا الناس حقوقهم  
 إذا كلمتم لهم أو وزنتم، إنى أراكم في سعة من العيش وكثرة من المال  
 تغنيكم عن التطفيف في الميزان والمكيال.

وإنى أخاف عليكم من جراء عبادتكم الأصنام وهذا التطفيف أن ينزل  
 الله بكم عذاب يوم يحيط بكم من كل جانب فلا ينجو منه أحد.  
 وياقوم أوفوا الكيل والميزان حقهما بالعدل والقسط، سواء أكان الكيل  
 والوزن لكم أم كان عليكم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم سواء أكانت هذه  
 الأشياء مما يكال أو يوزن أو يزرع أو يعد أم كانت غير ذلك، وياقوم  
 لا تسعوا في الأرض مفسدين مصالح الآخرين، هذه البقية التي تبقى لكم  
 من الكسب الحلال - وإن قلت - خير لكم من كثير تبقونه لأنفسكم  
 بالتطفيف، خير لكم عند الله ثوبا وأحسن عقبي إن كنتم مؤمنين.

وياقوم ماأنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما  
 علي أن أبلغكم رسالة ربي وأن أنصح لكم بما يرضى الله تعالى، وقد فعلت  
 وأعدرت حين أنذرت.

قال قوم شعيب : أصلاتك يا شعيب تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا  
 وأجدادنا من الأصنام، وتأمرك أن لا نتصرف في أموالنا كما نشاء؟! إنك

لأنت الحليم الذي لا يتسفه الغضب، وإنك لأنت الرشيد الذي لا يركبه الجهل والطيش!! وما كنا لنتوقع أن تأمرنا بأن نخرج على دين آباءك وأجدادك، وأن تنهانا عما نهيت فلا نربح في تجاراتنا إلا القليل.

قال لهم شعيب : يا قوم أرايتم إن كنت نبيا مرسلا من الله تعالى إليكم لأدعوكم إلى عبادته تعالى وحده وأنهاكم عن عبادة الأصنام، وأحذركم من التطفيف وكسب أموال الناس بالباطل، ورزقني الله رزقا حلالا طيبا، أيجق لى بعد ذلك أن أكتم الرسالة وأن أترك تبليغ ما أمرنى ربي عز وجل أن أبلغكموه، وأن أضل ضلالكم فأعبد ماتعبدون وأكسب الحرام كما تكسبون، لا، لايجق لى ذلك، إني أخاف الله رب العالمين، فإ كنت لأنهاكم عن أمر اركبه وآتيه، وما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه إلا إصلاحكم وإصلاح أموركم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وما توفيقى فيما أحاول من هذا الاصلاح إلا من الله، فهو المعين على ذلك، وعلى الله أتوكل وإليه أنيب.

هذا، وأرايتم بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو البينة، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية مقدرة، والتقدير: أخبروني عن البينة الواضحة والنبوة الصادقة التي آتانيها الله أيجق لى أن لا أبلغكموها وأن لا أعمل بمقتضاها؟!.

(ورأى) في (أرايتم) هنا علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على بينة، والمفعول الثاني محذوف أيضا وهو جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق، والتقدير: أيجق لى أن أكتمها وأن لأبلغكموها.

أما جواب الشرط (إن كنت) فمحذوف، وقد دلّ عليه وأغنى عن ذكره ما تقدم عليه وهو أرايتم ومفعولاهما، والتقدير: إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا فأخبروني عنها أيجق لى أن أكتمها وأن لأبلغكموها. وقد جاء استفهام (أرايتم) هنا مفيدا التنبيه: تنبيه شعيب قومه على أن النسبة التي آتاه الله إياها، وأن الرسالة التي أمره الله بتبليغها — وهي أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإلى ترك عبادة الأصنام، وإلى الكف عن تطفيف الكيل والميزان — لايجق له أن يكتمها وأن يترك تبليغها، وأن يضل ضللا كالذي ضلوا.

## الموضع السابع

الموضع السابع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ  
 نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا  
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ۖ قَالَهُمْ لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ  
 تَدْعُونَ لَهَا بِأَنْعَامٍ وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا قَائِلُونَ ۗ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُفْرِكُمْ ۖ إِنَّكُمْ  
 عَلَىٰ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُن لَّآبَاءُ آبَاءِنَا  
 وَلِأَبَائِنَا الْأَبَاءِ ۖ قَالُوا أَتُحِبُّونَ آلَ آبَائِكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّونَ  
 آلَهُمْ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ۖ إِنْ كُنَّا نَحِبُّهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ آلَهُمْ لَئِن لَّمْ يَكُنِ  
 لَنَا آلٌ لِّمَنْ نَحِبُّهُمْ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ آلٌ لِّمَنْ تَحِبُّونَ لَئِن لَّمْ يَكُنْ  
 لَكُمْ آيَاتٌ فَتُنذَرُونَ ۗ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ فَتُنذَرُونَ  
 لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ فَتُنذَرُونَ ۗ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ  
 آيَاتٌ فَتُنذَرُونَ ۗ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ فَتُنذَرُونَ ۗ

الآيات : ( ٦٩ - ٨٢ ) من سورة الشعراء

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقص على قومه المشركين نبأ ابراهيم - عليه السلام - الذي تضمنته هذه الآيات الكريمة، وقد تضمنت:

قال ابراهيم لأبيه وقومه : أي شيء تعبدون؟ قالوا: نعبد أصناما فننزل على عبادتها عافيين.

قال ابراهيم : أتسمع هذه الأصنام التي تعبدونها دعاءكم إذ تدعون؟ وهل تستطيع هذه الأصنام أن تنفعكم أو تضركم إن أرادت لكم النفع أو أرادت بكم الضر؟

قالوا : هم لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا شيئا ولا يضرنا، ولكننا عبدناهم لأننا وجدنا آباءنا من قبلنا يعبدون، فاتبعناهم واقتدينا بهم وفعلنا

مثل ما كانوا يفعلون.

قال ابراهيم : أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها أنتم وآبائكم الأولون أتستحق العبادة وهي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع؟!  
إنها عدو لى وأنا بريء مما تعبدون، ولا أعبد إلا رب العالمين الذي خلقنى فهو يهدينى، والذي هو يطعمنى ويسقبنى، وإذا مرضت فهو يشفينى، وهو الذي يميتنى ثم يحيينى، وهو الذي أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الحساب.

إن الذي يفعل هذه الأفعال هو الذي يستحق أن يكون إلهًا يعبد، أما أصنامكم هذه التي اتخذتموها آلهة فلا تستحق العبادة، إنها لا تملك نفعا ولا ضرا ولا تستطيع شيئا.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه هو اسم الموصول، (ما كنتم تعبدون)، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق، والتقدير: أخبرونى عن الأصنام التي تعبدونها أنتم وآبائكم الأقدمون أتستحق أن تعبد وهي لا تسمع ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع.

و(أرى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما كنتم تعبدون)، والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها: أيستحقون أن تعبدوهم وهم لا يسمعون، ولا يعقلون ولا ينفعون ولا يضررون.

وقد أفاد استفهام (أرأيتم) هنا التنبية: تنبيه ابراهيم عليه السلام أباه وقومه على أنهم يعبدون آلهة لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع، ولذلك فهو لا يحبها، وإنما يجب أن يعبد إلهًا قادرًا على كل شيء هو رب العالمين، نبههم على ذلك لعلهم يتبينون أنهم على خطأ وأن آباءهم من قبلهم كانوا قوما خاطئين.

ولا يخلو هذا الاستفهام من تودد وملاطفة واستدراج للوصول إلى الغرض وهو الإيمان بالله والإعراض عن عبادة الأصنام، وقد كان هذا سبيل الأنبياء نوح وصالح وشعيب في الآيات المتقدمة حين خاطبوا أقوامهم ب (أرأيتم).



## الموضع الثامن

الموضع الثامن لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

الآية (٧١) من سورة القصص.

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:  
أخبروني أيها المشركون عن الليل إن جعله الله عليكم مستمرا متوصلا  
لا يعقبه نهار إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده تبصرون فيه  
معايشكم ويصلح فيه نباتكم وثماركم.  
أفلا تسمعون هذا الكلام سماع فهم وتدبر فتدركوا أن لا إله يستحق  
العبادة إلا الله.

(وَأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو الليل، ومتعلق الاستخبار  
ومناطه هو الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده).  
وتقدير الكلام: أخبروني - أيها المشركون - عن الليل إن جعله الله عليكم  
مستمرا لا ينقطع إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده تصلح به  
حياتكم.

(وَأرأى) في (أرأيتم) هنا علمية نصبت مفعولين: المفعول الأول ضمير  
محذوف يعود على الليل، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية: (من إله  
غير الله يأتيكم بضياء)، والرباط الذي يربط هذه الجملة الاستفهامية  
بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده.  
(وجعل) إذا كانت بمعنى (صير) أخذت مفعولين ويكون (الليل) هو  
المفعول الأول، ويكون (سرمدا) هو المفعول الثاني، وإذا كانت بمعنى خلق  
وأنشأ أخذت مفعولا به واحدا هو الليل، ويكون (سرمدا) حالا منه.

وجواب الشرط (إن جعل) محذوف دل عليه وأغنى عنه رأيتم ومفعولها، والتقدير: إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة فأخبروني عنه من إله غير الله يأتكم بضياء بعده.

وإعراب (من إله غير الله يأتكم بضياء): (مَنْ) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(إله) خبره، و(غير الله) صفة أولى لإله وجملة (يأتكم بضياء) في محل رفع صفة ثانية لإله، وقد سبق أن هذه الجملة الاستفهامية كلها في محل نصب مفعول ثانٍ ل (رأى) في (أرأيتم).

واستفهام (أرأيتم) في هذه الآية الكريمة يفيد التوبيخ: توبيخ المشركين على عبادتهم غير الله وعلى تركهم عبادة الله الذي يعلمون أنه هو الذي يأتيهم بالضياء بعد الليل ليبتغوا فيه من فضله.

ويفيد أيضاً التنبيه: تنبيه المشركين على أن الله وحده هو الذي يقدر على أن يأتي بالنهار بعد الليل ليبتغوا فيه من فضله، وأن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله لا تقدر على ذلك، فعليهم أن يسمعوا آية الله هذه وأن يتدبروها فينصرفوا عن عبادة الأصنام، ويجعلوا عبادتهم خالصة لله الذي أنعم عليهم بهذه النعمة العظيمة.

## الموضع التاسع

الموضع التاسع لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ  
فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾

الآية (٧٢) من سورة القصص

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:

أخبروني أيها المشركون عن النهار إن جعله الله عليكم مستمراً متواصلاً

لا يعقبه ليل إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه وتستريحون من عناء طلب المعاش الذي كان في النهار، أفلا تبصرون في اختلاف الليل والنهار عليكم رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا أن العبادة لا تجب إلا لمن أنعم عليكم بذلك، ولن هو القادر عايه.

(وَأرأيتُمْ) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو النهار، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه)، وتقدير الكلام: أخبروني — أيها المشركون — عن النهار إن جعله الله عليكم سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل بعده تسكنون فيه.

أما إعراب (أرأيتُمْ) وما بعدها فقد سبق مثله في الموضع الثامن وأما استفهام (أرأيتُمْ) هنا فيفيد التوبيخ: توبيخ المشركين على عبادتهم غير الله، وعلى تركهم عبادة الله الذي يعلمون أنه هو الذي يأتيهم بالليل من بعد النهار ليجدوا فيه السكينة والطمأنينة، فالله وحده هو الذي يستحق العبادة.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على أن الله وحده هو الذي يقدر على أن يأتيهم بالليل من بعد النهار ليسكنوا فيه ويزوقوا طعم الراحة، فعليهم أن يبصروا آية الله هذه وأن يتدبروها، فيعرضوا عن عبادة الأصنام، ويخلصوا العبادة لله الذي أنعم عليهم بهذه المنة الكبرى.

## الموضع العاشر

الموضع العاشر لاستفهام (أرأيتُمْ) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ  
أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ  
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ الْآغْرُورًا ﴿٤٠﴾

الآية (٤٠) من سورة فاطر

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن:

أخبروني - أيها المشركون - عن هؤلاء الذين تزعمونهم شركاء لله وتدعونهم من دونه، أخبروني أي شيء من الأرض استبدوا بخلقه، أم لهم شركة مع الله في خلق السموات، أم أن الله تعالى آتاهم كتابا من عنده فهم على حجة وبرهان منه بأنه تعالى قد اتخذهم شركاء له. إن رؤساء الكفر والشرك حين يقولون لأتباعهم إن هذه الأصنام التي نعبدها شفعاء لنا عند الله، حين يقولون لهم ذلك إنما يقولون أباطيل تغرّ وتخدع.

و(أرأيتم) بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه شركاؤهم الذين يدعونهم من دون الله، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، وتقدير الكلام: أخبروني عن هؤلاء الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ماذا خلقوا من الأرض.

و(أرى) في (أرأيتم) علمية تتعدى إلى مفعولين: المفعول الأول (شركاءكم)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، وعلى هذا الإعراب تكون جملة (أروني) معترضة بين المفعولين لتأكيد الكلام وتقويته، ويحتمل أن يكون (أرأيتم) و(أروني) قد تنازعا الجملة الاستفهامية فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف.

وإعراب (ماذا خلقوا من الأرض): (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(ذا) بمعنى الذي في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة (خلقوا من الأرض) صلة الموصول، والعائد ضمير محذوف تقديره: خلقوه، و(من الأرض) جار ومجرور في محل نصب حال من الضمير المحذوف. ويجوز في (ماذا) أن تكون كلمة واحدة، فهي اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لخلقوا.

واستفهام (أرأيتم) في هذه الآية الكريمة يفيد التنبيه والتوبيخ: تنبيه المشركين على خطئهم في اتخاذهم الأصنام شركاء لله، فالاستفهام يلفت أنظارهم إلى أن هذه الأصنام لم تكن شركاء لله تعالى في خلق شيء من

الأرض، ولا في خلق شيء في السموات، ولم ينزل كتاب من عند الله تعالى يثبت هذه الشركة، فأنى يكونون شركاء لله تعالى؟! ويفيد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هؤلاء المشركين وتقريرهم على اتخاذهم الأصنام شركاء لله تعالى وهم لا يقدرون على شيء، مع أن الله عز وجل على كل شيء قدير.

### الموضع الحادي عشر

الموضع الحادي عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ  
أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ  
اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الآية : (٣٨) من سورة الزمر

تتضمن هذه الآية الكريمة : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يعبدون الأصنام : من خلق السموات والأرض، ليقولن خلقهن الله. وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن : أخبروني - أيها المشركون - عن هذه الأصنام التي تدعونها من دون الله وتعبدونها، هل هن قادرات - إن أرادني الله بضر - أن يكشفن ذلك الضر، وهل هن قادرات - إن أرادني الله برحمة - أن يمسن عنى تلك الرحمة.

وإذا كانت هذه الأصنام لا تملك نفعا ولا ضرا، فالله الذي خلق

السموات والأرض القادر على كل شيء هو وحده الذي يستحق العبادة، وهو حسبي في إصابة الخير ودفع الضر، وعليه وحده يتوكل المتوكلون. (وأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه (ماتدعون من دون الله) ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته)، وتقدير الكلام: أخبروني — أيها المشركون — عن هذه الأصنام التي تدعونها من دون الله، هل كاشفات الضر عنى إن أرادنى الله بضر، وهل هن ممسكات الرحمة عنى إن أرادنى الله برحمة.

(ورأى) في (أرأيتم) علمية تتعدى إلى مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) في (ماتدعون من دون الله) والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته)، والرباط الذي يربط المفعول الثاني بالمفعول الأول ضمير (هنّ) العائد على (ما) وقد أنث بالنظر إلى المعنى المراد من (ما) وهو الأصنام، وكثيرا ما كانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة.

وجواب الشرط: (إن أرادنى الله بضر، أو أرادنى الله برحمة) محذوف يدل عليه ويغنى عن ذكره (أرأيتم) ومفعولاها، وتقدير هذا الجواب: فأخبروني عن هذه الأصنام هل هن كاشفات ضره أو ممسكات رحمته.

واستفهام (أفأرأيتم) هنا يفيد التنبيه والتوبيخ: يفيد تنبيه المشركين على خطئهم في اتخاذهم الأصنام آلهة تعبد من دون الله، فالاستفهام يلفت أنظارهم إلى أن أصنامهم التي يعبدونها لا تدفع ضرا ولا تجلب نفعا، وإذن فهي لا تستحق العبادة ولا الألوهية، وأن الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله وحده.

ويفيد تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم أصناما لا قدرة لها على الخير ولا على الشر، على حين يكفرون بوحداية الله تعالى وإخلاص العبادة له وهو القادر على كل شيء القاهر فوق عباده.

## الموضع الثاني عشر

الموضع الثاني عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ  
بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

الآية (٥٢) من سورة فصلت

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المكذبين بالقرآن الكريم ما يتضمن: أرأيتم — أيها المشركون — إن كان هذا القرآن الذي تكذبون به قد جئتكم به من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر ولا اتباع دليل، أرأيتم أحدا أضل منكم، لأحد أضل منكم أيها المكذبون الذين أبعدم في الشقاق وأوغلتم في العداوة.

(و(أرأيتم) بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هم المخاطبون المكذبون بالقرآن، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (من أضل ممن هو في شقاق بعيد). وتقدير الكلام: أخبروني — أيها المشركون — عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به — من أضل منكم.

(و(رأى) في (أرأيتم) هنا علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول — في رأى أبى حيان — محذوف، وتقديره: أرأيتم أنفسكم، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (من أضل ممن هو في شقاق بعيد)، والرباط الذي ربط المفعول الثاني بالمفعول الأول هو اسم الموصول (مَنْ) الذي خلف الضمير، إذ المعنى فأخبروني من أضل منكم.

أما جواب الشرط (إن كان) فمحذوف يدل عليه ويغنى عن ذكره (أرأيتم) ومفعولها، والتقدير: إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به فأخبروني عن أنفسكم من أضل منكم.

ويفيد استفهام (أرأيتم) هنا توبيخ المشركين وتقريعهم على كفرهم بالقرآن أن يكون من عند الله دوفا تبصر وتدبر، ودوفا دليل عقلي أو نقلي. ويفيد أيضا تنبيه المشركين على أن إنكارهم أن يكون القرآن من عند الله لم يكن مبنيًا على دليل عقلي أو نقلي أو ناشئا عن بعد نظر وطول تدبر، وإنما كان ضلالا وعنادا.

### الموضع الثالث عشر

الموضع الثالث عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٤﴾

الآية (٤) من سورة الأحقاف

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:

أخبروني — أيها المشركون — عن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله، أخبروني أي شيء خلقوا من الأرض فيكون لكم بذلك حجة في عبادتكم إياها، أم كان لهذه الأصنام مشاركة في خلق السموات فيكون لكم بذلك حجة في تلك العبادة!!؟

ائتونى — أيها المشركون — بكتاب من عند الله جاء قبل هذا القرآن يشهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله، أو ائتونى ببقية من علم الأولين ثبت ذلك.

إن كنتم — أيها المشركون — صادقين فيما تدعون فهاتوا برهانكم فإن الدعوى بدون دليل لا تغنى من الحق شيئا.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه (ماتدعون من دون الله) ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)،



والمعنى: أخبروني - أيها المشركون - عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، أي شيء خلقت من الأرض فاستحقت به أن تعبد.

(ورأى) في رأيتم علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) في (ماتدعون من دون الله)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، وأروني جملة معترضة بين المفعولين مؤكدة لأرأيتم، لأنها على معنى واحد، فأرأيتم بمعنى أخبروني، وأروني بمعنى أخبروني.

ويجوز في (أروني) أن لا تكون معترضة، وحينئذ تكون المسألة من باب التنازع: فأرأيتم وأروني تنازعا الجملة الاستفهامية: (ماذا خلقوا من الأرض)، فأرأيتم يطلبها على أنها مفعوله الثاني، وأروني يطلبها كذلك على أنها المفعول الثاني له، فأعمل الفعل الثاني، وأضمر في الأول وحذف. وقد مرّ إعراب (ماذا خلقوا من الأرض) في الموضع العاشر.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا للتقريع والتوبيخ ومفيدا التنبيه: تقريع المشركين وتوبيخهم على عبادتهم غير الله مع علمهم أن الأصنام وغير الأصنام مما يعبد من دون الله ليست على شيء تستحق به أن تعبد، فهي لم تخلق شيئا في الأرض ولا شيئا في السماء، ولم ينزل بصحة عبادتها كتاب من عند الله، ولم يؤثر عن الأولين ما يثبت صحة تلك العبادة.

وقد نبّه هذا الاستفهام المشركين ولفت أنظارهم إلى أن هذه الأصنام التي يعبدونها لم تخلق شيئا في الأرض ولا شيئا في السموات، ولم تثبت صحة عبادتها في كتاب منزل ولا في علم أثر عن الأولين، فكيف تصح عبادتها، وبأي شيء تستحق هذه العبادة!!؟

الذي يستحق العبادة هو الذي خلق الأرض والسموات وحده، والذي أنزلت الكتب من لدنه تثبت وحدانيته جلّ وعلا.

## الموضع الرابع عشر

الموضع الرابع عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفَّرْتُمْ بِهِ  
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

الآية (١٠) من سورة الأحقاف

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين الكافرين بالقرآن ما يتضمن: أخبروني — أيها الكافرون — إن كان هذا القرآن من عند الله وكذبتُم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى إسرائيل على التوراة التي هي مثل القرآن في أنها من عند الله، فأمن هذا الشاهد بالقرآن أنه من عند الله، واستكبرتم أنتم عن الإيمان به، أخبروني من أظلم منكم؟! إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين يظلمون أنفسهم فيكذبون بالقرآن ومن أنزل عليه القرآن. والمراد ب (شاهد شاهد من بنى إسرائيل) عبد الله بن سلام في أكثر الآراء.

(وَأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية محذوفة أيضا، والتقدير: أخبروني عن حالكم — إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتُم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم — أَلستم ظالمين. (وَأرأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين، وقد حذف لدلالة المعنى عليهما، وتقديرهما: أرأيتم حالكم... أَلستم ظالمين، فحالكم هو المفعول الأول، والجملة الاستفهامية: (أَلستم ظالمين) هي المفعول الثاني. وجواب الشرط (إن كان) محذوف يدل عليه ويغنى عن ذكره قوله تعالى: (إن الله لا يهدي القوم الظالمين)، وقدره أبو حيان: فقد ظلمتم.

وفي جواب الشرط هذا آراء أخرى ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط وذكرها صاحب الفتوحات الإلهية في حاشيته على تفسير الجلالين. وجيء في الشرط (إن كان من عند الله) بحرف (إن) الذي من شأنه أن يدخل على الشرط غير المجزوم بوقوعه، جيء به مراعاة لحال المخاطبين على نحو ما سبق بيانه في الموضع الخامس في قول الأنبياء: نوح وصالح وشعيب لأقوامهم: (إن كنت على بينة من ربي) مع أنهم كانوا على يقين من تلك البينة.

واستفهام (أرأيتم) هنا يفيد توبيخ المشركين على كفرهم بالقرآن أن يكون من عند الله، مع أنه قد شهد شاهد عظيم الشأن من علماء بني إسرائيل على كتاب آخر مماثل للقرآن وهو التوراة بأنه من عند الله وآمن هذا الشاهد بأن القرآن من عند الله.

وكانت شهادة علماء بني إسرائيل حجة لأن هؤلاء المشركين كانوا يثفون فيهم ويصدقونهم.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على أن كفرهم بالقرآن لا يقوم على حجة، وفيه مخالفة لشهادة شاهد من بني إسرائيل الذين كانوا يظنون فيهم الصدق.

## الموضع الخامس عشر

الموضع الخامس عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ  
 الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُهُ  
 ضَبْرًا ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ  
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾

الآيات: (١٩ - ٢٣) من سورة النجم.

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآيات الكريمة ماملخصه : كان للمشركين العرب أصنام وطواغيت كثيرة يعظمونها ويتخذون لها البيوت والحجاب والسدنة، ويطوفون بها، ويجعلونها أندادا وشركاء لله تعالى، ويعبدونها من دونه عز وجل، وقد أفرد القرآن الكريم هذه الأصنام الثلاثة: اللات والعزى ومناة، أفردها بالذكر لأنها كانت أشهر من غيرها، وقد أنث المشركون هذه الأصنام وسموها بأسماء الإناث وجعلوها بنات الله سبحانه وتعالى، وقد قرع الله تعالى هؤلاء المشركين ووبخهم بما يتضمن: أتجعلون لله أولادا وتجعلون هؤلاء الأولاد إناثا، والإناث في زعمكم نوع مذموم، وتختارون لأنفسكم النوع الذي تستحسنونه وتفضلونه وهو الذكور، ولو كانت هذه القسمة بينكم وبين مخلوقين مثلكم لكانت قسمة جائزة فيها جهالة وسفاهة، فكيف وقد جعلتموها بينكم وبين ربكم.

ثم قال تعالى منكرا عليهم ما ابتدعوه من الكذب والافتراء والكفر في عبادة الأصنام وتسميتها آلهة، قال تعالى ما يتضمن: ما اللات والعزى ومناة إلا أسماء حجارة سميتموها أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم، ما أنزل الله بألوهيتها من حجة وسلطان، وإنما تعمدون في ذلك على حسن ظنكم بآبائكم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل من قبلكم، وعلى حب أنفسكم للرئاسة وتعظيم آباءكم الأقدمين، ولقد أرسل الله إليكم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ولكنكم لم تتبعوها ولم تهتدوا بهديها. أ.هـ.

(وَأرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو اللات والعزى ومناة، ومتعلق الاستخبار ومناطه هو الجملة الاستفهامية: (الكم الذكر وله الأنثى)، والمعنى: أخبروني — أيها المشركون — عن هذه الأصنام الثلاثة، كيف جعلتموهن بنات الله، والبنات في زعمكم معرة وذم، ثم خصصتم أنفسكم بالنوع الأفضل فيما تزعمون وهم الذكور، والله سبحانه وتعالى منزّه عن الولد ذكرا كان أم أنثى!!؟

إن هذه القسمة لو كانت بينكم وبين مخلوقين أمثالكم لكانت قسمة جائزة فيها ظلم وسفاهة، فكيف وقد جعلتموها بينكم وبين ربكم ذي الجلال والإكرام.

(رأى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول: اللات وماعطف عليها، والمفعول الثاني: الجملة الاستفهامية: (ألكم الذكر وله الأنثى) — وهذا رأى أبى حيان في تفسيره البحر المحيط، والرابط الذي يربط المفعول الثاني بالمفعول الأول قوله (الأنثى)، لأن المعنى: ألكم الذكر وله هنّ أى تلك الأصنام، فأغنى هذا الإسم الظاهر عن الضمير، وإنما أوثر هذا الاسم الظاهر لوقوعه رأس فاصلة روعي فيها الفواصل الأخرى. وهناك آراء أخرى كثيرة في تقدير المفعول الثاني المحذوف ذكرها الأولوسي في تفسيره روح المعاني.

واستفهام (أرأيتم) هنا جاء مفيدا للإنكار والتوبيخ: فالله سبحانه وتعالى ينكر على المشركين ويعيبهم ويوبخهم أن يجعلوا اللات والعزى ومناة بنات الله، مع أن البنات في زعمهم مذمومات يستنكفون منهن، فكيف يخصون الله خالقهم بهن، ويخصون أنفسهم بمن هو أفضل في زعمهم وهم الذكور مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الولد سواء أكان ذكرا أم أنثى.

### الموضع السادس عشر

الموضع السادس عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا  
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ أَمْ نَحْنُ  
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾  
عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشَأَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ  
عَلَّمَتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

الآيات: (٥٧ — ٦٢) من سورة الواقعة.

تتضمن هذه الآيات الكريمة الردّ على أهل الزيغ والإلحاد الذين كانوا يكذبون بالبعث، (وكانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون).

والردّ الذي تضمنته هذه الآيات: أن الله سبحانه وتعالى قد خلقكم أيها الكافرون ابتداء بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، والذي يقدر على البدء يقدر على الإعادة، فهلا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى. أخبروني عن المنّي الذي تريقونه في الأرحام أنتم تخلقونه وتنشئونه أم الله؟ ولا مفرّ من أن تقروا بأن الله هو خالق هذا المنّي، فكيف تنكرون قدرته على البعث؟!

والله هو الذي يصرف الموت بينكم كيف يشاء، فيجعل لموت كل إنسان موعدا لا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يستطيع أحد أن يغلب الله تعالى على هذا التصريف فيطيل عمر من يقصر الله عمره، أو يقصر عمر من يطيل الله عمره، أو يهرب من الموت فيكون من الخالدين. والله تعالى قادر على أن يمتكم وينشئ بدلا منكم آخرين أمثالكم، وقادر على أن يغيركم خلقا وخلقًا وينشئكم في صفات لا تعلمونها ولا تحظرونكم على بال.

ولقد علمتم النشأة الأولى وهى خلق آدم من طين، فهلا تذكرون وتعتبرون فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى قادر على أن يعيدكم أحياء من بعد المات والفناء.

هذا، و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه (ماتنون)، ومعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون). والمعنى: أخبروني عن المنّي الذي تمنونه في الأرحام أنتم تخلقونه أم الله. وإعراب (أرأيتم ماتمون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون): (رأى) في (أرأيتم) علمية تأخذ مفعولين: المفعول الأول اسم الموصول (ما) وجملة (تمنون) صلته، والعائد ضمير محذوف، والتقدير: ماتمون، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية (أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)، و(أنتم) مبتدأ، وجملة (تخلقونه) خبره، و(أم) عاطفة متصلة، وقد اعترض على كونها متصلة بأن المتصلة هي التي تعطف المفردات، وهنا جاء بعدها جملة من مبتدأ وخبر، وأجيب عن هذا بأن (الخالقون) جاء توكيدا للفعل السابق وهو (تخلقون)، وجاء أيضا لمراعاة الفواصل، فلو قيل أنتم تخلقونه أم نحن لاكتفى به وتم المعنى المراد، وعلى هذا فالجملة بعد أم في تأويل المفرد.

وجوّز بعض العلماء أن تكون (أم) منقطعة بمعنى بل، والكلام معها يفيد التقرير، والمعنى: بل نحن الخالقون، وفي رأبي أن هذا لا يخلو من بعد وتكلف، وهو خلاف المعنى المتبادر.

واستفهام (أرأيتم) هنا يفيد التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعولها وهو: أخبروني مَنْ خالق النبي الذي تمنونه في الأرحام: أنتم أم الله. ولما كانت إجابتهم عن السؤال معلومة لا يشك فيها، وهي أن الله هو الخالق — استغنى عن ذكرها.

ويفيد هذا الاستفهام أيضاً توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم البعث، وتكذيبهم بقدره الله تعالى عليه، مع أنهم يعترفون بأنه تعالى هو الذي خلقهم وأنشأهم أول مرة، وكان مقتضى اعترافهم هذا أن يؤمنوا بالبعث، لأن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإعادة.

### الموضع السابع عشر

الموضع السابع عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ

﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

حُطًا مَّا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ

﴿٦٧﴾ الآيات : (٦٣ — ٦٧) من سورة الواقعة

يرد الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين ينكرون البعث فيقول لهم ما يتضمن: أخبروني عن البذر اليابس الميت الذي تبتذرونه في الأرض التي تحرثون، أنتم تنسبونه وتجعلونه زرعاً حياً نامياً يزهر ويرق، أم نحن؟ فإذا أقررتم بأن الله هو الذي يفعل ذلك — ولا محيص لكم عن هذا الإقرار — فكيف تنكرون قدرته تعالى على إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم أحياء!!؟

لو يشاء الله لجعل هذا الزرع الأخضر اليانع حطاما لاخير فيه، فتصيبكم الحسرة والندم مما نزل به، وتظنون على ذلك تقولون إنا لمهلكون، قد ذهب الذي بذرناه في الأرض سدى من غير عوض، وحرمنا ما كنا نرجوه من رزق وغلal و طعام!!

و(أرأيتم) هنا بمعنى اخبروني، والمستخبر عنه البذر الذي يبذرونه في الأرض التي يحرثون، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون).

والمعنى: أخبروني — أيها المشركون — عن البذر الذي تبذرونه في الأرض التي تحرثون، أنتم تنبتونه وتجعلونه زرعاً أخضر ينمو ويرق ويعجب أم الله؟

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعولها، وهو أخبروني عن البذر اليابس الميت الذي تلقونه في الأرض التي تحرثونها، مَنْ ينبت لهكم فيجعله زرعاً حياً نامياً زاهياً، أنتم أم الله؟

ولما كانت الإجابة عن هذا السؤال معلومة لايشك فيها، وهي اعترافهم بأن الله جلّت قدرته هو الذي يفعل ذلك — استغنى عن ذكر هذه الإجابة.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التوبيخ: توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم البعث وتكذيبهم بقدرة الله عزّ وجلّ على إحيائهم بعد الموت، مع أنهم يشاهدون الدلائل والبراهين تملأ عليهم أبصارهم، ومنها هذا البذر الذي يلقونه في الأرض ميتا يابسا فيجعله الله تعالى زرعاً حياً نامياً زاهياً.

وإعراب (أرأيتم) ومفعولها قد مضى مثله في قوله تعالى في الموضع السادس عشر (أفرأيتم ماتمنون. أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون).



## الموضع الثامن عشر

الموضع الثامن عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى :

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ  
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ  
﴿٧٠﴾

الآيات : ( ٦٨ - ٧٠ ) من سورة الواقعة.

يخاطب الله جلّ وعلا في هذه الآيات الكريمة المشركين الذين كانوا ينكرون البعث، يخاطبهم بما يتضمن: أخبروني عن هذا الماء الذي تشرَبون، أنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزلتموه من السحاب أم نحن المنزِلون؟

إنّا نحن الخالقون المنزِلون، وهذا مالا سبيل إلى إنكاره، ولو شئنا لأمسكناه عنكم أو جعلناه ملحا زعاقا لا تنتفعون منه في شرب ولا زرع ولا في شيء غير ذلك.

فهلا تشكرون الله الذي أنشأ لكم هذا الماء وأنزله عليكم عذبا فراتا سائغا تشرَبون منه وتحيون وبحيابه كل شيء حي.

فهلا تشكرون الله وتنبذون هذا الكفر الذي أنتم فيه وهذا الشرك الذي أنتم عليه، وهلا تعترفون بقدرة الله تعالى على أن يخلقكم مرة ثانية كما تعترفون بأنه الذي يخلق الماء في السحاب وينزله عليكم فيكون سببا في حياتكم وحياة ماحولكم من زرع وحيوان ونبات!!

(وَأَرَأَيْتُمْ) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه الماء الذي يشربونه، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزِلون)، والمعنى: أخبروني أيها المشركون الذين تنكرون البعث وقدرة الله على هذا البعث، أخبروني عن هذا الماء الذي تشرَبونه عذبا فراتا فيكون به حياتكم، أنتم أنشأتموه في السحاب وأنزلتموه منه أم نحن المنشئون المنزِلون؟!

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التقرير والتوبيخ: التقرير على معنى طلب الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرأيتم) مع مفعولها وهو: أخبروني عن الماء الذي تشربونه، أنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزتموه من السحاب أم نحن المنزلون؟  
ولما كانت الإجابة عن هذا السؤال معروفة لايشك فيها وهي اعترافهم بأن الله تعالى هو الذي يفعل ذلك — استغنى عن ذكر هذه الإجابة.  
ويفيد هذا الاستفهام توبيخ هؤلاء المشركين على إنكارهم قدرة الله تعالى على بعثهم بعد الممات، على حين يعترفون بقدرته تعالى على خلق الماء في السحاب وإنزاله عليهم فيكون سببا في حياتهم.  
وقد سبق إعراب مثل هذا الاستفهام في قوله تعالى في الموضع السادس عشر: (أرأيتم ماتمنون. أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون).

## الموضع التاسع عشر

الموضع التاسع عشر لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ  
نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ  
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

الآيات : ( ٧١ — ٧٤ ) من سورة الواقعة

في هذه الآيات الكريمة يردّ الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين ينكرون البعث ويكذبون بقدره الله تعالى عليه، يردّ عليهم بما يتضمن: أخبروني — أيها المشركون — عن هذه النار التي تخرج من الشجر الأخضر بحك بعضه ببعض، أنتم أنشأتم شجرتها وخلقتم النار التي فيها أم نحن المنشئون الخالقون؟

نحن جعلنا تلك النار تذكرا وتبصرة لمن يذكر ويعتبر ويفكر، فيدرك أن القادر على أن يجعل النار تخرج من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على أن

يجعل الأموات أحياء يوم القيامة.  
ونحن جعلناها أيضا نافعة ومتاعا لأولئك الذين هم في أشد الحاجة إليها،  
أولئك الذين يعيشون في القفار بعيدين عن حياة الحضر والاستقرار.  
وبعد أن ذكر الله جلّ جلاله الأمور الأربعة السابقة وهي: (أفرايتم  
ماتمنون، أفرايتم ماتحرون، أفرايتم الماء الذي تشربون، أفرايتم النار التي  
تورون). هذه الأمور المتضمنة أمر خلقهم والنعم التي بها قوام حياتهم، هذه  
الأمور الدالة على قدرته تعالى على بعث الأموات أحياء يوم القيامة، بعد  
ذلك أمر رسوله صلى الله عليه وسلم (وكل من كان له أسوة حسنة برسوله  
مأمور كذلك) أمره بالاستمرار والمداومة على تنزيه الله تعالى عن كل  
ماليليق بجلاله وكماله، وعمّا يزعمه الكافرون من الأنداد والشركاء والعجز  
عن البعث، فقال تعالى: (فسبح باسم ربك العظيم).

(وأرايتم) هنا بمعنى أخبروني والمستخبر عنه النار التي يورونها، ومتعلق  
الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن  
المنشئون).

وقد أفاد استفهام (أرايتم) التقرير والتوبيخ: التقرير بمعنى طلب  
الاعتراف بالإجابة عن السؤال الذي تضمنته (أرايتم) مع مفعولها وهو:  
أخبروني عن النار التي تخرج من الشجر الأخضر، أنتم أنشأتم شجرتها  
وخلقتم النار فيها أم نحن الخالقون المنشئون؟

ولما كانت إجابتهم عن هذا السؤال معلومة لا يشك فيها، وهي الاعتراف  
بأن الخالق المنشئ هو الله — استغنى عن ذكرها.

ويفيد هذا الاستفهام التوبيخ أيضا: توبيخ المشركين على إنكارهم  
البعث وتكذيبهم بقدرة الله تعالى على إحيائهم بعد مماتهم مع اعترافهم بقدرة  
الله تعالى على إخراج النار من الشجر الأخضر الرطب المضاد لها، وهو من  
الدلائل العظيمة على انفراده تعالى بالخلق والإنشاء.

أما بيان إعراب (أرايتم) ومفعولها هنا فقد مضى مثله في قوله تعالى  
(أفرايتم ماتمنون. أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) في الموضع السادس  
عشر.

## الموضع العشرون

الموضع العشرون لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِىَ

أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

الآية (٢٨) من سورة الملك

يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من آمن به، يدعون عليهم بالهلاك، فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما يتضمن:

أخبرونى — أيها الكافرون — إن أهلكنى الله تعالى ومن آمن بى فأماتنا أو رحنا فأخر آجالنا — من ذا الذي يستطيع أن يجيركم من عذاب الله الأليم، ومن ذا الذي يستطيع أن يمنعكم من عقابه جزاء كفركم.

(وَأرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبار ومناطه الجملة الاستفهامية: (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)، والتقدير: أخبرونى — أيها الكافرون — عن أنفسكم من يحميكم من عذاب الله الأليم إن أماتنى الله ومن معى أو رحنا فأخر آجالنا.

و (رأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين، وهما هنا محذوفان دل عليها الشرط وجوابه، وتقديرها: أرأيتم أنفسكم أينجيكم أحد من العذاب إن أهلكنا الله أو أبقانا. أما الجملة الاستفهامية: (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) فقد أعربها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط واقعة في جواب الشرط: (إن أهلكنى الله)، وقد اعترض في حاشية الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين، اعترض على هذا الرأي بأن ترتب الجواب على الشرط فيه بعد.

والذي يبدو لى — والله أعلم — أن الجملة الاستفهامية: (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) هي المفعول الثاني لأرأيتم، وأن الرابط الذي

يربطها بالمفعول الأول هو الضمير الذي أقيم الاسم الظاهر (الكافرين) مقامه، والتقدير: أرايتم أنفسكم من يجيركم من عذاب الله الأليم، وتكون الفاء على هذا زائدة للتوكيد، ويكون جواب الشرط محذوفاً دل عليه وأغنى عن ذكره (أرايتم) ومفعولها، والتقدير: إن أهلكنى الله ومن معي أو رحمتنا فأخبرونى عن حالكم أي فائدة لكم في ذلكم وهل ينجيكم هذا من العذاب.

وقد أفاد استفهام (أرايتم) هنا التنبيه والإنكار والتوبيخ: أفاد تنبيه المشركين على أن إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن به لا تفيدهم شيئاً ولا تحميهم من عذاب كفرهم، وأن عليهم بدل هذا الدعاء أن يوحدوا الله وأن يؤمنوا برسوله.

وأفاد الإنكار على المشركين وتوبيخهم أن يدعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن به بالهلاك، وأن يتربصوا به ريب المنون، مع أن هذا الهلاك لا ينفعهم بِنافعة، ولا يحميهم من عذاب الله تعالى جزاء كفرهم، ولا يضر برسول الله صلى الله عليه وسلم، والإنكار هنا بمعنى لا ينبغي ولا يصح.

## الموضع الحادى والعشرون

الموضع الحادى والعشرون لاستفهام (أرايتم) ورد في قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

الآية (٣٠) من سورة الملك

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن:  
أخبرونى أيها المشركون عن مائكم إن أصبح متوارياً في جوف الأرض، لا تستطيعون أن تنالوا منه شيئاً، أخبرونى من يأتيكم بماء ظاهر تراه العيون، وتشربون منه وتحيون.

و(أرأيتم) هنا بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه محذوف، ومتعلق الاستخبار ومناطه جملة استفهامية محذوفة، والتقدير: أخبروني عن مائكم — إن أصبح غائرا في جوف الأرض — مَنْ غير الله يستطيع أن يأتيكم بماء ظاهر تراه العيون ومنه تشربون.

و (رأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (ماؤكم)، وتكون المسألة من باب التنازع: تنازع (أرأيتم) و(أصبح)، تنازعا (ماؤكم) ففعل أرأيتم يطلبه على أنه مفعول به، وفعل أصبح يطلبه على أنه اسم لأصبح، فأعمل الثاني في (ماؤكم)، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير.

وأما المفعول الثاني ل (رأى) العلمية فجملة استفهامية محذوفة دلّ عليها جملة جواب الشرط (فمن يأتيكم بماء معين) وتقدير المفعولين: أرأيتم ماءكم (إن أصبح غائرا) أيستطيع أحد غير الله أن يأتيكم ببدل منه.

وقد جاء استفهام (أرأيتم) هنا مفيدا التنبيه والتوبيخ: أفاد تنبيه المشركين على أن الله تعالى هو وحده الذي يأتيهم بالماء الذي منه يشربون ويحيون، وأن الأصنام لا تستطيع ذلك، فكان عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى وأن يفرّده بالعبادة.

وأفاد توبيخ هؤلاء المشركين على تركهم عبادة الله الذي يأتيهم بالماء الذي منه يشربون ويحيون، وتوبيخهم على عبادتهم أصناما لا تستطيع أن تأتيهم بالماء إن أصبح ماؤهم غورا.

### ٣ - أرايتك

الأسلوب الثالث من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (رأى) هو (أرايتك) وقد ورد هذا الأسلوب في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
 قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي  
 كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ  
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ  
 جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْتَطَعْتَ  
 مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ  
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا عَدَّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا  
 غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى  
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

الآيات : (٦١ - ٦٥) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله جلّ وعلا أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر أن يسجد وقال منكرا متعجبا: أسجد وقد خلقتني من نار لهذا الذي خلقتني من طين؟! إنني لن أسجد ولن أكون من الساجدين!! أخبرني عن آدم هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له، أخبرني: لم كرمته عليّ؟! بينما لئن أخرتني حيا إلى يوم القيامة لأستولين على ذريته ولأقودهم إلى الضلال وارتكاب المعاصي، ولن ينجو من إغوائى إلا قليل.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله أعطى الله جلّ وعلا إبليس ما طلب ومنحه الحياة إلى يوم القيامة، وأتاح له أن يذهب في الأرض يفسد من يقدر على إفساده من بنى آدم على أن جهنم جزاؤه وجزاء أتباعه، وعلى أنهم جميعا سوف

يلقون فيها من ألوان العذاب وضروب العقاب شيئا كثيرا وجزاء موفورا.  
لقد أتاحت لك فرصة إفساد بنى آدم يا إبليس، فاسرح وامرح كيف  
تشاء، وناد فيهم بأعلى صوتك داعيا إلى المعاصي، وبُثَّ فيهم جندك  
وأعوانك في كل مكان، وسوف تجدهم يخفون إليك زرافات ووحدا،  
ويقبلون على ما حرم الله عدد الحصى والتراب وأمواج البحار.  
شاركهم يا إبليس في أموالهم بتضييعها في الشهوات الآثمة واللذات  
المحرمة واختراع أسباب الهلاك والدمار.

شاركهم يا إبليس في أموالهم بأكلهم الربا بالباطل واكتسابها بغير حق.  
شاركهم يا إبليس في أولادهم بالزنا والوآد والانحراف عن دين الله الحق  
وقتل بعضهم أولاد بعض ظلما وعدوانا.  
تفنن يا إبليس في أساليب الغواية، فما أقدرك على هذا التفنن! واخذع  
من تستطيع خداعه، فما أقدرك على الخداع!

عدهم يا إبليس وعودك الخالصة، ومنتهم أمانتك المستعذبة، فما كانت  
وعودك إلا كذآبا، وما كانت أمانيك إلا سرايا.

اسرح وامرح يا إبليس في بنى آدم كيف تشاء وأنى تشاء، وسوف تجد  
لك أنصارا وأعوانا في كل مكان، وأتباعا من ذرية بنى آدم كثيرا لا يُعدون  
ولا يحصون، ولكنك سوف تجد أمامك قلعة حصينة ممنة لا تفتح ولا تخضع،  
تعا عليك وعلى جندك وأشياعك، تلك هي عباد الله المخلصون الذين تمسكوا  
بجبل الله المتين، وأخلصوا له الدين، وعلى رهبهم يتوكلون، وكفى بربك  
وكيلا.

هذا، و(أرأيتك) هنا — في رأي كثير من المفسرين — بمعنى أخبرني،  
فهي علمية تأخذ مفعولين: مفعولها الأول اسم الإشارة (هذا) وهو المستخبر  
عنه، واسم الموصول بعده نعت له، أما مفعولها الثاني — وهو متعلق  
الاستخبار ومناطه — فجملة استفهامية مقدرة يدل عليها صلة الموصول،  
والتقدير: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لم  
كرمته عليّ.



وقد ذهب الى جعل الجملة الاستفهامية المقدرة هي المفعول الثاني ل (أرأيتك) جماعة من المفسرين منهم الزمخشري والبيضاوى والجلال السيوطي والألوسى وابن عاشور، كل منهم في تفسيره، وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: إن ما ذهب إليه الزمخشري هو الصحيح.

والتاء في (أرأيتك) ضمير المخاطب فاعل، والكاف — عند البصريين — حرف خطاب لا محل له من الإعراب مؤكداً لمعنى التاء قبله، وهو من التوكيد اللغوي، وذهب الفراء إلى أن الكاف في (أرأيتك) ضمير في محل نصب على المفعولية، والمعنى أرأيت نفسك، (هذا الذي كرمت عليّ) مبتدأ وخبر، وقد حذف منه الاستفهام، أي أهذا الذي كرمت عليّ.

وقال ابن عطية: الكاف في (أرأيتك) حرف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الإعراب فهي زائدة، ومعنى (أرأيت) أتأملت ونحوه، كأن المخاطب بها (أى بأرأيتك) يتبّه المخاطب لما ينصّه عليه بعد، ولا تكون بمعنى أخبرنى إلا إذا كان بعدها استفهام مصرح به، (وما ذهب إليه الفراء ومأقوله ابن عطية منقولان عن أبى حيان عند تفسيره لهذه الآية).

وقد أفاد استفهام (أرأيتك) التعجب والإنكار: تعجب إبليس من تكريم الله تعالى لآدم، فقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وأمره هو أيضاً بالسجود، فكان في هذا السجود تكريم لآدم عظيم.

وقد أنكر إبليس ذلك التكريم، بمعنى أنه لا ينبغي أن يكون، لأن الله تعالى خلقه من نار وخلق آدم من طين، ومن يُخلق من نار أفضل — في زعمه — ممن يُخلق من طين.

وقد ضل إبليس عن أن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، وأن خلقه هم الذين يُسألون.

٤ - أرايتكم :

الأسلوب الرابع من أساليب همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي رأى هو (أرايتكم)، وقد ورد هذا الأسلوب في موضعين :

### الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أرايتكم) ورد في قوله تعالى : قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهُهُمْ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا

تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

الآيتان : ( ٤٠ - ٤١ ) من سورة الأنعام

في هاتين الآيتين الكريمتين يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين مايتضمن :

أخبرونى - أيها المشركون - عن عذاب الله إن أتاكم في الدنيا أو أتتكم أهوال يوم القيامة، أترجعون إلى غير الله في دفع ذلكم العذاب أو تلکم الأهوال، إن كنتم صادقين فاخبرونى إلى من ترجعون، إنكم لن ترجعوا في دفع ذلك كله إلا إلى الله تعالى، فيكشف الذي من أجله دعوتموه إن شاء أن يتفضل عليكم بكشفه، وتنسون الأصنام التي كنتم تعبدونها كأن لم تعبد من قبل.

والتاء في (أرايتكم) ضمير المخاطب في محل رفع فاعل، و(كم) التي بعد التاء حرف خطاب لا محل له من الإعراب جاء لتأكيد الخطاب الذي دلت عليه التاء، وهذه (الكافات) اللواحق التي تأتي بعد التاء تختلف باختلاف المخاطب مع بقاء التاء مفتوحة، فتقول : (أرايتك) لخطاب المفرد المذكر، و(أرايتك) لخطاب المفردة المؤنثة، و(أرايتكما) لخطاب المثني بنوعيه (المذكر والمؤنث)، و(أرايتكم) لخطاب جماعة الذكور، و(أرايتكن) لخطاب جماعة الإناث.

هذا إذا كانت (أرأيت) بمعنى أخبرني، وإذا لم تكن (أرأيت) بمعنى أخبرني فهذه (الكافات) اللواحق بالتاء ضمائر في محل نصب مفعول به لرأيت، سواء أكانت علمية أم بصرية أم عرفانية، ولا يلزم الفتح تاء الضمير. و(أرأيتكم) هنا في هذه الآية الكريمة بمعنى أخبروني، والمستخبر عنه هو عذاب الله والساعة، ومتعلق الاستخبار ومناطه وموضعه هو الجملة الاستفهامية: (أغير الله تدعون)، والمعنى: أخبروني - أيها المشركون - عن عذاب الله إن أتاكم أو الساعة إن جاءتكم - أغير الله تدعون لكشفه أو كشف أهوالها.

و(أرأيتكم) - وإن كانت بمعنى أخبروني من حيث المعنى - هي علمية من حيث الإعراب تنصب مفعولين: المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (عذاب الله) فاعل أتاكم، وهذه المسألة من باب التنازع، فقد تنازع (أرأيتكم) و(أتاكم): (عذاب الله)، فالأول وهو (أرأيتكم) يطلبه على أنه مفعوله، والثاني وهو (أتاكم) يطلبه على أنه فاعله، فأعمل الثاني وارتفع (عذاب الله) على الفاعلية، وأعمل الأول في ضميره وحذف ذلك الضمير. أما المفعول الثاني ل (أرأيتكم) فهو الجملة الاستفهامية: (أغير الله تدعون) والرابط لهذه الجملة الاستفهامية بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير: أغير الله تدعون لكشفه أو كشفها.

أما جواب الشرط في (إن أتاكم عذاب الله) فمحذوف دلّ عليه وأغنى عن ذكره ماتقدم عليه وهو (أرأيتكم) ومفعولها، والتقدير: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة فأخبروني أتدعون غير الله لكشفه أو كشفها.

وقد أفاد استفهام (أرأيتكم) هنا توبيخ المشركين وتقريعهم على عبادتهم الأصنام وتركهم عبادة الله تعالى، مع أنهم إذا وقع العذاب بهم أو أتتهم الساعة لا يدعون أولئك الأصنام لكشفه أو كشفها، وإنما يدعون الله وحده وينسون ما كانوا يعبدون.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على سوء صنيعهم، فهم يعبدون الأصنام التي لا تقدر أن تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً، ويتركون عبادة الله الذي لا يدعون غيره إذا نزل بهم البلاء.

ويفيد أيضا التعجب : التعجب من حال هؤلاء المشركين، فهم يعبدون الأصنام حتى إذا نزل بهم العذاب وأصابهم المصائب لجئوا إلى الله تعالى وحده ليكشف عنهم ما نزل بهم، وتركوا الأصنام وراءهم نسيا منسيا، وكان مقتضى هذا — لو كان لديهم إدراك سليم وفهم مستقيم ومسكة من عقل وقليل من تدبر — أن يعبدوا الله القادر على أن يكشف عنهم العذاب والضرر، وأن يتركوا عبادة ما لا يقدر على شيء.

## الموضع الثانى

الموضع الثانى لاستفهام (أرأيتم) ورد في قوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ

بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾

الآية (٤٧) من سورة الأنعام

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما يتضمن :

أخبرونى — أيها المشركون — عن عذاب الله إن أتاكم فجأة من غير مقدمات، أو أتاكم جهرة قد تقدمه علامات وإمارات، هل يهلك بهذا العذاب إلا أنتم أيها المشركون.

(وأرأيتم) هنا بمعنى أخبرونى، والمستخبر عنه عذاب الله، ومتعلق الاستخبار وموضعه ومناطه الجملة الاستفهامية : (هل يهلك إلا القوم الظالمون).

(ورأى) في (أرأيتم) علمية تنصب مفعولين : المفعول الأول ضمير محذوف يعود على (عذاب الله)، والمسألة هنا من باب التنازع على نحو ما مر في الموضع الأول السابق.

أما المفعول الثانى فهو الجملة الاستفهامية : (هل يهلك إلا القوم الظالمون)، والرباط الذي يربطها بالمفعول الأول ضمير محذوف، والتقدير : هل يهلك به إلا القوم الظالمون.

وجواب الشرط في قوله تعالى (إن أتاكم عذاب الله) محذوف دل عليه وأغنى عن ذكره ماتقدم عليه وهو (أرأيتمكم) ومفعولها، والتقدير: إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة فآخبروني هل يهلك به إلا القوم الظالمون، والتاء في (أرأيتمكم) ضمير المخاطب فاعل و(كم) حرف جيء به لتأكيد الخطاب الذي دلت عليه التاء لاملح له من الإعراب. (بغتة أو جهرة) مصدران، وهما منصوبان على الحالية من فاعل أتاكم وهو عذاب الله فيؤولان باسم الفاعل، أو على الحالية من المفعول به في أتاكم وهو (كم) فيؤولان باسم المفعول، أو منصوبان على المصدرية.

واستفهام (أرأيتمكم) هنا يفيد التهديد: تهديد المشركين بالعذاب جزاء إشراكهم بالله تعالى.

ويفيد أيضا التقريع والتوبيخ: تقريع المشركين وتوبيخهم على إشراكهم الذي استحقوا به عذاب الله تعالى.

ويفيد أيضا التنبيه: تنبيه المشركين على أنهم بإشراكهم بالله يظلمون أنفسهم، ويستحقون به عذاب الله تعالى الذي سوف ينزل بهم بغتة أو جهرة، وليس لهم منه سلامة ولا نجاة.

وهذا ينتهي حديثي عن المواضع التي وردت فيها همزة الاستفهام داخلية على الفعل الماضي (رأى) ولكنني أود أن أعود إلى الوراء قليلا لأريك أمورا جاءتك تفاريق في مواضع شتى، ومن هذه الأمور.

أولا - أن همزة الاستفهام قد دخلت على الفعل الماضي (رأى) في أربعة وثلاثين موضعا في القرآن الكريم، وليس هناك فعل آخر قد دخلت عليه الهمزة وكان في مثل هذا العدد أو قريبا منه.

ثانيا - وأننى قد ذهبت في هذه المواضع كلها إلى أن (أرأيت) وأخواتها: (أرأيتم، أرأيتمك، أرأيتمكم) كانت بمعنى أخبرني، أخبروني، وأنها من حيث الإعراب علمية تنصب مفعولين: المفعول الأول يجيء بعدها ويكون اسما مفردا ظاهرا أو مضمرا - وهو المستخبر عنه من حيث المعنى - والمفعول الثانى يجيء جملة استفهامية ظاهرة أو مقدره هي موضع الاستخبار ومتعلقه ومناطه.

وقد جاء هذا المفعولان من حيث الذكر والحذف على أربع صور:

### الصورة الأولى :

ذكر المفعولين مصرحا بهما، وقد جاء ذلك في ثلاثة عشر موضعا :

١ - في قوله تعالى : ( قل أرايتم ما أنزل ربكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون )  
الآية (٥٩) من سورة يونس

المفعول الأول هنا اسم الموصول ( ما أنزل )، والمفعول الثاني : الجملة الاستفهامية : ( آله أذن لكم )، و( قل ) الثانية تأكيد للأولى.

٢ - وفي قوله تعالى : ( قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ) . الآية (٤٠) من سورة فاطر.

المفعول الأول هنا ( شركاءكم )، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : ( ماذا خلقوا من الأرض )، وجملة ( أروني ) معترضة بين المفعولين للتوكيد.

٣ - وفي قوله تعالى : ( قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ) . الآية (٣٨) من سورة الزمر.

المفعول الأول هنا اسم الموصول ( ماتدعون )، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : ( هل هن كاشفات ضره، هل هن ممسكات رحمته )، والجملة الشرطية : ( إن أرادني الله بضر، أو أرادني برحمة ) معترضة بين المفعولين.

٤ - وفي قوله تعالى : ( قل أرايتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ) . الآية (٤٠) من سورة الأحقاف.

المفعول الأول هنا اسم الموصول ( ماتدعون )، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : ( ماذا خلقوا من الأرض )، وجملة ( أروني ) معترضة بين المفعولين لتأكيد الكلام وتقويته.

٥ - وفي قوله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) الكم الذكر وله الأنثى ) . الآيات : (١٩ - ٢١) من سورة النجم.

المفعول الأول هنا : اللات والعزى ومناة، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : ( ألكم الذكر وله الأنثى ) .

٦ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم ماتمنون (٥٨) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩). الآيتان (٥٨ - ٥٩) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا : اسم الموصول (ماتمنون)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : (أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون).

٧ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم ماتحروثون (٦٣) أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤). الآيتان : (٦٣ - ٦٤) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا : اسم الموصول (ماتحروثون)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون).

٨ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم الماء الذي تشربون (٦٨) أنتم أنزتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩). الآيتان : (٦٨ - ٦٩) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا (الماء)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : (أنتم أنزتموه من المزن أم نحن المنزلون).

٩ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم النار التي تورون (٧١) أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون (٧٢). الآيتان : (٧١ - ٧٢) من سورة الواقعة.

المفعول الأول هنا (النار)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون).

١٠ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨). الآيتان : (٧٧ - ٧٨) من سورة مريم.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (الذي كفر)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية : (أطلع الغيب أم اتخذ).

١١ - وفي قوله تعالى : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) الآية (٤٣) من سورة الفرقان.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (من اتخذ)، والمفعول الثاني : الجملة الاستفهامية : (أفأنت تكون عليه وكيلا).

١٢ - وفي قوله تعالى : (أفرايتم من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) الآية (٢٣) من سورة الجاثية.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (من أتخذ)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (فمن يهديه من بعد الله).

١٣ - وفي قوله تعالى: (أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلاً وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى (٣٥). الآيات: (٣٣ - ٣٥) من سورة النجم.

المفعول الأول هنا اسم الموصول (الذي تولى)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (أعنده علم الغيب).

### الصورة الثانية :

حذف المفعول الأول وذكر المفعول الثاني وهو الجملة الاستفهامية، وقد ورد ذلك في اثني عشر موضعاً في آيات القرآن الكريم:

١ - في قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) الآية (٤٠) من سورة الأنعام. المفعول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (عذاب الله)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (أغير الله تدعون).

٢ - وفي قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به) الآية (٤٦) من سورة الأنعام. المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على سمعكم وأبصاركم وقلوبكم والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (من إله غير الله يأتيكم به).

٣ - وفي قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) الآية (٤٧) من سورة الأنعام. المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (عذاب الله) والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (هل يهلك إلا القوم الظالمون).

٤ - وفي قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيّاتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون). الآية (٥٠) من سورة يونس.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (عذابه)، والمفعول الثاني الجملة الاستفهامية: (ماذا يستعجل منه المجرمون).



٥ - وفي قوله تعالى : ( قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون). الآية : (٢٨) من سورة هود.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (بينة) والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : ( أنلزمكموها وأنتم لها كارهون).

٦ - وفي قوله تعالى : ( قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته) الآية (٦٣) من سورة هود.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (بينة)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (من ينصرنى من الله إن عصيته).

٧ - وفي قوله تعالى : ( قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء). الآية (٧١) من سورة القصص.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (الليل)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (من إله غير الله يأتيكم بضياء).

٨ - وفي قوله تعالى : ( قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه). الآية (٧٢) من سورة القصص.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (النهار)، والمفعول الثانى الجملة-الاستفهامية : (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه).

٩ - وفي قوله تعالى : ( قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد). الآية (٥٢) من سورة فصلت.

المفعول الأول لأرأيتم هنا محذوف يدل عليه المعنى تقديره (أنفسكم)، وهذا رأي أبى حيان، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية : (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) ومعناها : من أضل منكم.

١٠ - وفي قوله تعالى : ( قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمتنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم). الآية (٢٨) من سورة الملك.

المفعول الأول لأرأيتم هنا محذوف يدل عليه المعنى تقديره أنفسكم،  
والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (فن يجير الكافرين من عذاب اليم)  
ومعناها: من يجيركم من عذاب أليم، والفاء زائدة للتوكيد.

١١ - وفي قوله تعالى: (أفأرأيتم إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم  
ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧). الآيات:  
(٢٠٥ - ٢٠٧) من سورة الشعراء.

المفعول الأول ل (أفأرأيتم) هنا ضمير محذوف يعود على اسم الموصول:  
(ما كانوا يوعدون)، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ما أغنى عنهم  
ما كانوا يمتعون).

١٢ - وفي قوله تعالى: (أرأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن  
الله يرى (١٤) الآيتان: (١٣ - ١٤) من سورة العلق.

المفعول الأول ل (أرأيت) هنا ضمير محذوف يعود على اسم الموصول  
(الذي ينهى) المذكور في قوله تعالى (أرأيت الذي ينهى) الآية (٩) من  
سورة العلق، والمفعول الثانى الجملة الاستفهامية: (ألم يعلم بأن الله يرى).

### الصورة الثالثة:

ذكر المفعول الأول وحذف المفعول الثانى وقد ورد ذلك في أربعة  
مواضع في آيات القرآن الكريم:

١ - في قوله تعالى: (قل أفأرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآبائكم  
الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لى إلا رب العالمين (٧٧). الآيات:  
(٧٥ - ٧٧) من سورة الشعراء.

المفعول الأول ل (أفأرأيتم) مذكور وهو اسم الموصول (ما كنتم تعبدون)،  
والمفعول الثانى جملة استفهامية مقدرة يدل عليها المعنى والسياق وتقديرها:  
«أيستحقون أن تعبدوهم وهم لا ينفعون ولا يضررون».

٢ - وفي قوله تعالى: (أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠)  
الآيتان: (٩ - ١٠) من سورة العلق.

المفعول الأول ل (أرأيت) هو اسم الموصول (الذي ينهى) والمفعول  
الثانى جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها: (ألم يعلم بأن الله يرى).

٣ - وفي قوله تعالى : (أرأيت الذي يكذب بالدين) (١١) فذلك الذي

يدع اليتيم (٢)، الآيتان : (١ - ٢) من سورة الماعون.

المفعول الأول ل (أرأيت) هو اسم الموصول (الذي يكذب بالدين)

والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها : «من هو».

٤ - وفي قوله تعالى : (أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ نثن أخوتني

إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا). الآية (٦٢) من سورة

الإسراء.

المفعول الأول هنا اسم الإشارة (هذا) والمفعول الثاني جملة استفهامية

مقدرة، وتقديرها «لم كرمته عليّ».

#### الصورة الرابعة :

الصورة الرابعة حذف المفعول الأول والثاني معا، وقد ورد ذلك في خمسة

مواضع في آيات القرآن الكريم :

١ - في قوله تعالى : (قال يا قوم أرأيتم إن كنت علي بينة من ربي

ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن

أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه

أنيب) الآية (٨٨) من سورة هود.

المفعول الأول ل (أرأيتم) هنا ضمير محذوف يعود على (بينة) والمفعول

الثاني محذوف أيضا وهو جملة استفهامية مقدرة، وتقديرها : أيقن لي أن

أكتسبها.

٢ - وفي قوله تعالى : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت

الطوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا)

الآية (٦٣) من سورة الكهف.

مفعولا (أرأيت) هنا محذوفان يدل عليهما المعنى والسياق، وتقديرهما :

أرأيت أمرنا ماعاقبته.

٣ - وفي قوله تعالى : (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به

وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي

القوم الظالمين). الآية (١٠) من سورة الأحقاف.

مفعولا (أرأيتم) هنا محذوفان يدل عليهما المعنى والسياق، وتقديرهما:  
أرأيتم حالكم — إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد  
من بني إسرائيل على مثله وهي التوراة بأنها من عند الله فأمن به واستكبرتم  
عن الإيمان به — أستم ظالمين لأنفسكم بكفركم هذا.  
٤ — وفي قوله تعالى: (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم  
بماء معين) الآية (٣٠) من سورة الملك.

المفعول الأول ل (أرأيتم) هنا ضمير محذوف يعود على (ماؤكم)  
والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة يدل عليها الجملة الشرطية، وتقدير  
المفعولين: أرأيتم ماءكم — إن أصبح غائرا في الأرض — أيستطيع أحد غير  
الله أن يأتيكم ببديل منه.

٥ — وفي قوله تعالى: (أرأيتم إن كان على الهدى (١١) أو أمر  
بالتقوى (١٢)). الآيتان: (١١ — ١٢) من سورة العلق.

المفعول الأول لأرأيتم هنا ضمير محذوف يعود على (الذي ينهى) وهو أبو  
جهل، والمفعول الثاني جملة استفهامية مقدرة يدل عليها الجملة الاستفهامية  
(ألم يعلم بأن الله يرى).

وهذا تنهى الصور التي جاء عليها مفعولا (رأى) التي دخلت عليها همزة  
الاستفهام في القرآن الكريم مع بيان الآيات التي وردت في كل صورة.  
ثالثا: — أنه حيثما حذف المفعول الأول ل (أرأيتم) وأخواتها: (أرأيتم،  
أرأيتم، أرأيتمكم) جاء بعدها مباشرة (إن) الشرطية وكان شرطها فعلا  
ماضيا، ويستثنى من ذلك: (أرأيتم إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت  
الحوت) الآية (٦٣) من سورة الكهف، فقد جاء بعد (أرأيتم) «إذ»  
الظرفية ولم تأت «إن» الشرطية.

وفي هذه المواضع التي جاءت فيها «إن» الشرطية بعد (أرأيتم)  
وأخواتها: (أرأيتم، أرأيتم، أرأيتمكم)، في هذه الآيات أجاز بعض العلماء أن  
يسد الشرط وجوابه — إذا جاء الجواب جملة استفهامية مقترنة بالفاء — مسد  
مفعولي أرأيتم وأخواتها، وقد ردّ أبو حيان في تفسيره هذا الرأي بأنه لم يعهد  
في أساليب العربية أن يسد الشرط وجوابه مسد مفعولي (علم).

وقد اجاز بعض العلماء أيضا أن تكون (أرأيت) وأخواتها جوابا لإن الشرطية الواقعة بعدها إذا كان المعنى على ذلك، وقد رد أبو حيان في تفسيره هذا الرأي أيضا بأن «إن» الشرطية لها الصدارة فلا يصح أن يتقدم معمولها عليها، وأرأيت وأخواتها حينئذ تدل على الجواب وليست هي الجواب نفسه، وما ذهب إليه أبو حيان هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فقد أجازوا تقدم جواب الشرط على الشرط.

رابعاً : — أن استفهام (أرأيتم) الذي ورد في إحدى وعشرين آية من آيات القرآن الكريم قد غلب عليه التقريع والتوبيخ، فقد جاء ذلك في سبعة عشر موضعاً، ثم جاء بعد ذلك من حيث الكثرة معنى التنبيه، فقد ورد في أربعة عشر موضعاً، وقد جاء معنى التقرير في خمسة مواضع، وجاء الإنكار في ثلاثة.

أما استفهام (أرأيت) الذي ورد في عشر آيات من آيات القرآن الكريم فقد غلب عليه التعجب والتنبيه، ورد كل منها في عشرة مواضع، ثم جاء التعجب في ثمانية، وجاء التهديد والوعيد في موضع واحد، وكذلك التشويق.

أما (أرأيتك وأرأيتكم) : فقد ورد استفهام (أرأيتك) مرة واحدة وقد أفاد التعجب والإنكار، وأما استفهام (أرأيتكم) فقد ورد مرتين : المرة الأولى في الآية الأربعين من سورة الأنعام وقد أفاد التعجب والتوبيخ والتنبيه، والمرة الثانية في الآية السابعة والأربعين من سورة الأنعام وقد أفاد التهديد والتوبيخ والتنبيه.

خامساً : — أن الذي أعنيه من قولي إن (أرأيت، أو أرأيتم، أو أرأيتك أو أرأيتكم) علمية تنصب مفعولين هو أن الفعل الماضي فيها — وهو رأى — ينصب مفعولين لأنه بمعنى علم وليس بمعنى أبصر، أما الهزمة الداخلة على (رأى) فحرف استفهام، وأما التاء المتصلة ب (رأى) فضمير فاعل، وأما الكاف اللاحقة بالتاء فحرف خطاب — على رأي البصريين — مؤكد لمعنى الخطاب الذي تدل عليه التاء.

وذهب الكسائي شيخ الكوفيين إلى أن الكاف اللاحقة بالتاء في موضع المفعول الأول.

ويرد على مذهب الكسائي هذا أمران : أحدهما أن هذا الفعل يتعدى إلى مفعولين كقولك رأيتك زيدا مافعل، فلو جعلت الكاف مفعولا لكانت المفاعيل ثلاثة.

وثانيهما أنه لو كانت الكاف مفعولا لكانت هي الفاعل في المعنى، لأن كلا من الكاف والتاء واقع على المخاطب وليس المعنى على ذلك، إذ ليس الغرض رأيت نفسك بل رأيت غيرك، ولذلك قلت رأيتك زيدا، (وزيدا) ليس هو المخاطب وليس هو بدلا منه.

(الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ٢٧ - ٢٨) و (إملاء مامن به الرحمن للعكبري ج ١ ص ٢٤٢).

ويقول الفراء الشيخ الثاني لنحاة الكوفة : للعرب في (أرأيت) لغتان ومعنيان : أحدهما رؤية العين، فإذا أردت هذا عدت الرؤية بالضمير إلى المخاطب، وتتصرف تصرف سائر الأفعال، تقول للرجل : رأيتك على غير هذه الحال؟ تريد هل رأيت نفسك، ثم تشنى وتجمع فتقول : رأيتكما، رأيتموكم، رأيتتكن.

والمعنى الآخر أن تقول : رأيتك - إن فعلت كذا - ماذا تفعل؟ أي أخبرني، وتترك التاء - إذا أردت هذا المعنى - موحدة على كل حال، رأيتكما، رأيتكم، رأيتكن.

وإنما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعا من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكرها في الكاف وتركوا التاء في التذكير والتوحيد مفردة إذ لم يكن الفعل واقعا.

(الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ٢٨)

أما الفعل الثاني عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها هزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (رضي) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمُّ  
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ  
فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

الآية (٣٨) من سورة التوبة.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم إلى جهاد الروم في تبوك، وكان ذلك زمن اشتداد الحر وفي حمارة القيظ، وقد طابت ثمار المدينة وأينعت، فشق ذلك على الناس وعظم عليهم، فنزلت هذه الآية الكريمة فيمن تخلف عن هذه الغزوة، وهي تتضمن: مالكم أيها المؤمنون إذا دعيتم إلى الجهاد في سبيل الله أثأرتم وآثرتم المقام في أرضكم طلبا للراحة وخفض العيش وطيب الثمار والظلال؟!..

ما كان ينبغي لكم أن ترضوا بنعيم الحياة الدنيا بدلا من نعيم الآخرة، فما نعيم الحياة الدنيا الذي ارتضيتموه وآثرتموه إلا تافه حقير إذا ما قيس بنعيم الحياة الآخرة الذي أعده الله لعباده المجاهدين.

وقد جاء استفهام: (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) مفيدا للإنكار والتوبيخ والتعجب والتعجيب.

مفيدا الإنكار والتوبيخ: على معنى لا ينبغي لكم أن ترضوا بنعيم الدنيا التقليل الحقير الزائل بدلا من نعيم الآخرة الفاخر الوافر الذي يضيق به العبد ولا يحيط به حد ولا ينتهي إلى زوال.

ومفيدا التعجب والتعجيب على معنى أن رضاكم وإيثاركم نعيما قليلا عابرا على نعيم سرمدي لا يحيط به وصف لما يثير التعجب ويبعث على الاستغراب!! كيف وقع منكم ذلك، وكيف ارتضيتموه وآثرتموه؟!..

هذا، و(مِنْ) الواردة في هذا الاستفهام : (أرضيتُم بالحياة الدنيا من  
الآخرة) هي حرف جر بمعنى بدل، والمعنى أرضيتُم بالحياة الدنيا بدل نعيم  
الآخرة.



أما الفعل الثالث عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أسلم) وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ

اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ

وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ

ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

الآيتان : ( ١٩ - ٢٠ ) من سورة آل عمران.

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الدين المرضي عنه عند الله تعالى هو الإسلام، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وأن اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم وفي الإسلام وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جاءهم بعد علمهم الذي جاءت به الرسل ودلت عليه الأدلة الساطعة، فكانوا ممن ضل على علم، وكذب غيره وهو يعلم أنه هو من الكاذبين.

وأن اختلاف أهل الكتاب أولئك لم يك إلا بغيا بينهم، وظلما واقعا من بعضهم على بعض، وحسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبا للزعامة والرئاسة، وعنادا وتكبرا عن أن يكونوا من التابعين.

وأن الله سبحانه وتعالى لن يترك أولئك الذين يكفرون بآيات الله الدالة

على أن الدين عند الله هو الإسلام، لن يتركهم دون عقاب، وأن الله سريع الحساب.

فإن جادلك أهل الكتاب — بعد أن أقمت عليهم الحجة بأن الدين عند الله هو الإسلام، وأن ما هم عليه ليس ديناً عند الله، فإن جادلوك فأعرض عن مجادلتهم، لأنك لن ترى منهم إلا عناداً ومكابرة، وقل لهم لقد أخلصت أنا ومن اتبعني العبادة لله تعالى، لا نعبد غيره، ولا نشرك به سواه.

وقل للذين أتوا الكتاب من النصارى واليهود، ولمن لا كتاب لهم من مشركي قريش وغيرهم: أقررتم بالإسلام وآمنتم بأن الله واحد لا شريك له، فإن أقروا وآمنوا فقد أصابوا الحق وسلكوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا فما عليك من إعراضهم من شيء، إنما عليك إبلاغ ما أرسلت به، وقد فعلت فبلغت ما أمرت بتبليغه على أكمل وجه وكنت من الصادقين.

والله سبحانه وتعالى بصير بالعباد، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته، ولن يظلم ربك أحداً.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أأسلمتم) مفيداً التقرير والتحضيض : مفيداً التقرير: على معنى طلب الإقرار والاعتراف بما تضمنه السؤال، وهو أن الدين عند الله هو الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. ومفيداً التحضيض على اتباع هذا الإسلام لأنه الخير في الدنيا والآخرة.

## ١٤ - أشفق

أما الفعل الرابع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أشفق)، وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى:

يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مَوَّابِينَ يَدَى نَجْوَانِكُمْ  
صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ  
﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَأِذْ لَمْ تَفْعَلُوا  
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

الآيتان: (١٢ - ١٣) من سورة المجادلة.

روي أن المسلمين كانوا يستخلون الرسول صلى الله عليه وسلم وينفردون به ويناجونه يسألونه عما يعرض لهم من أمور الدين، وقد كثر ذلك منهم وشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية الأولى متضمنة أن من أراد أن يناجي الرسول فعليه أن يقدم قبل تلك المناجاة صدقة يعطيها الفقراء والمساكين، وأن للفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به أن يناجوا بدون تصدق، فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم.

وقد بخل بعض الأغنياء من المسلمين بالصدقة وشق عليهم ذلك، فنزلت الآية الثانية تنسخ الحكم الذي تضمنته الآية الأولى، وقد تضمنت الآية الثانية اللوم والعتاب لمن شق عليه أن يقدم صدقة قبل أن يناجي وهو قادر عليها، وأن الله سبحانه وتعالى قد تاب عن أولئك نفر من المسلمين الذين بخلوا بالصدقة وهم عليها قادرون، وأنه تعالى قد رخص لهم بدون تصدق، ولكن عليهم أن يلتزموا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما أمروا به ونهوا عنه، فالله خير بما يعملون.

وقد جاء هذا الاستفهام: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجاكم صدقة) جاء مفيدا الإنكار والعتاب لمن بخل بالصدقة قبيل أن يناجي ومن

اجل المناجاة وهو قادر عليها، مفيدا الإنكار والعتاب بمعنى ما كان ينبغي لكم أن تخافوا من تقديم تلك الصدقة لذوى الحاجة، وأن تبخلوا بها عليهم، وأن تضيق صدوركم بها.

هذا، والمصدر المؤول من (أن تقدموا) في محل جر بمن مقدرة، وتقدير الكلام: أشفقتم من تقديم صدقة بين يدي نجواكم.

ومعنى الاستفهام: أخفتم من تقديم صدقة للفقراء قبيل مناجاتكم الرسول؟! ما كان ينبغي لكم ذلك!!

أما الفعل الخامس عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (شهد)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ  
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ  
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

الآية (١٩) من سورة الزخرف.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن المشركين بالله جعلوا الملائكة الذين هم خَلَقَ اللهُ وعباده إناثاً، وهذه جهالة منهم وافتراء، لأن ذلك لا يعلم إلا بطريق المشاهدة وهم لم يكونوا حاضرين حين خلق الله الملائكة و فن أين لهم هذا الاعتقاد بأنهم إناث؟! .  
سوف تكتب شهادتهم أن الملائكة إناث، وسوف يسألون عن هذه الشهادة يوم القيامة، ويطالبون بإقامة الدليل عليها فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً، فيذوقون العذاب الأليم.  
وقد أفاد هذا الاستفهام : (أشهدوا خلقهم) الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يشهد هؤلاء المشركون خَلَقَ اللهُ الملائكة حين خلقهم، ولم يحضروا خلقهم إناثاً.  
وأفاد التوبيخ والسخرية والتعجيب : على معنى لم يرهؤلاء المشركون خلق الله الملائكة إناثاً، فن أين لهم أن يحكموا ان الملائكة إناث وأن يقولوا إنهم بنات وهذا إنما يقوم على رؤية العين ويستند إلى مشاهدة الحس، وليس عندهم حجة من ذلك ولا برهان؟! فاهم إلا أغبياء جهلاء يلقون القول على عواهنه دون تدبر وتبصر.

أما الفعل السادس عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (صدق) وقد ورد في موضع واحد، في قوله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا  
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾  
 وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ  
 وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ  
 لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا  
 مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾  
 فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ  
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا  
 تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾  
 وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَىٰ هَدَىٰ أَمْ كَانَ مِنَ  
 الْغَايِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أَعْدِبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَاهُ  
 أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ  
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾  
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا  
 عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ وَزَيْنًا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ \* قَالَ سَنَنْظُرُ  
 أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا  
 فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا  
 الْمَلَأُؤْتَى أَلْقَى إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ  
 اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾  
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ  
 تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّيْلِ  
 فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً  
 أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾  
 وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾  
 فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا  
 آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِدِينِكُمْ غَفُورُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ  
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ  
 يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾  
 قَالَ عِفْرِيُّ مَنِ الْجِنِّ أَنَا أُنِيبُ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي  
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ  
 بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا  
 مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوها وَعَرَشُها

نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ  
 أَهَذَا كَذَابٌ مِثْلُ بَقُولِكَ قَالَتْ إِنَّهُ عَمَلٌ غَوِيٌّ وَإِنَّهُ لَفِي كِتَابٍ مُبِينٍ  
 ﴿١٦﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ  
 ﴿١٧﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ  
 سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي  
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾

الآيات : ( ١٥ - ١٨ ) من سُورَةِ النَّمْلِ

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالنبوة، وأنعم عليهما كذلك بالعلم الغزير، فعلماه وعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، فحمدا الله على ما أنعم، وشكراه على ما وهب، وقالا : الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا على كثير من عباده المؤمنين.

ومات داود عليه السلام، وخلفه ابنه سليمان عليه السلام، فحمد الله تعالى على ما أنعم عليه من ملك موروث وعلم واسع وسلطان متنوع وقال : لقد علمني الله تعالى - أيها الناس - منطلق الطير، فأنا أفهم عنها ما تقول، وأدرك ما تنادي به وتصوت، ولقد سخرها الله تعالى لي، فلا تستطيع أن تعصى لي أمرا أو تخالف لي نهيًا، وأنا لا أقول لكم هذا تكبرا وافتخارا وعلوًا في الأرض، وإنما أقوله إظهارا لفضل الله عليّ وشكرا له على ما أنعم. وإن أنس - أيها الناس - لا أنس أن الله سبحانه وتعالى قد سخر لي الجحش وأعطاني سلطانا عليهم، فهم طوع أمري ونهيي، يأتمرون بما أمرهم به، وينتهون عما أناهم عنه.

ومما زادني الله به فضلا وتكريما أن سخر لي الريح تجرى بأمرى رخاء حيث أشاء، ونعم الله عليّ كثيرة لا يحيط بها وصف، ولا يحصيها عد، ولا يقدر على تفصيلها بيان.



وذاث صباح، والشمس لاتزال تنفض عن جفنيها بقايا نغاس وفتور،  
والريح رخاء سمحة القيادة، والسماء قبة فيروزج، سار سليمان بجنوده من  
الإنس والجن والطير، كان الإنس لكثرتهم يغيب من تحت أرجلهم وجه  
الأرض، وكانت الطير تسد وجه الأفق وتحجب عين الشمس، أما الجن  
فكانوا يسبحون بين السماء والأرض يملئون الفضاء من حول سليمان.

كان جيشا عرمرما، إذا نظرت إلى مقدمته غابت عنك مؤخرته، وإذا  
نظرت إلى مؤخرته غابت عنك مقدمته، وتباعد ما بين ميسرته وميمينته فلا  
تستطيع أن تراهما معا عينان.

وعلى رغم كثرة الجنود وطول مسيرتهم كانوا يسيرون متماسكين  
لايتناثرون، متلاحمين لايفصل بعضهم عن بعض، فالمقدمة لاتسرع أكثر من  
المؤخرة، والمؤخرة لاتعجز أن تسير المقدمة، والميمنة والميسرة تسيران على نسق  
وموازنة مع بقية الجيش لاترى فيها عوجا ولا أمتا.

حتى إذا أتى سليمان بجنوده على وادى النمل صاحت نملة تحذر قومها  
وتنذيرهم — وقد طار قلبها شعاعا من الفزع والهلع وهول الفجاءة: يا أيها  
النمل البدار البدار إلى مساكنكم، لايحطمنكم سليمان وجنوده فتصبحوا تحت  
أقدامهم هالكين، إن سليمان ملك عادل لا يظلم أحدا، وإن جنوده لايعيثون  
في الأرض فسادا، ولكنهم قد يطئونكم وهم لايشعرون.

والتقط سمع سليمان عليه السلام صوت النملة وهي تقول ماتقول، فتبسم  
ضاحكا من قولها، وعجب من نملة صغيرة لاتملأ عينا تحرص كل هذا  
الحرص على قومها، ترعى شؤونهم، وتحاف عليهم نوائب الدهر وحدثانه.

ويذكر قول النملة سليمان بنعمة الله أن علمه منطلق كل دابة في  
الأرض، وجعل عدله يشيع ويذيع فينطق به النمل، فحمد الله تعالى وسأله  
أن يلهمه دائما شكر نعمته التي ينعم بها عليه وأنعم بها من قبل على  
والديه، وأن يهديه إلى العمل الصالح وأن يدخله الجنة مع الأبرار.

وينبه قول النملة سليمان لأن يلقى بعينيه هنا وهناك على ما حشر له  
من جند، ويتفقد فيما تفقده الطير فلا يرى الهدهد في مكانه، فيعجب  
ويقول: مالي لأرى الهدهد؟! أتأرى عن الأنظار بالأسرار؟! لا، لم يتوار

ولم يحتجب، بل كان من الغائبين، ويغضب سليمان ويقسم: تالله لأعذبه عذاباً شديداً، أو لأذبحه أو ليأتيني بعدر واضح مبين!!

ويعود الهدهد بعد زمن ليس بالبعيد وقد أعجبه نفسه بما يحمل من أنباء لا يدري بها سليمان ولا خطر له على بال، ولكنه يعود وما درى ما هدّد به سليمان وأوعد.

ويقف الهدهد أمام سليمان غير بعيد رابط الجأش ثابت الجنان، لا تضرب من تحته ساق، ولا يرتجف على جنبه جناح، ويقول بلسان فصيح لا يتأتى ولا يفأىء ولا يتلعم: لقد أحطت بما لم تحط به أيها النبي الكرم!! كان هذا القول جرأة عجيبة من الهدهد جعلت الملائم من حول سليمان ينظر بعضهم في وجوه بعض مستغربين مستهجنين، يتوقعون من سليمان أن ينزل به أشد العقاب.

ولكن سليمان — عليه السلام — كان حكيماً حليماً ذا أناة، لا يسرع إليه الغضب، ولا يذهب في حكمه شططاً.

على أن الهدهد لم يترك وقتاً لعقاب، فتابع كلامه يقول: ولقد جئتك من سبأ نبأً يقين، لا تشوبه شبهة، ولا يعتريه شك، ولا تمتد إليه رية وهتان.

كان الأسلوب الذي ألقى به الهدهد الخبر على سليمان بارعاً ذكياً، جعل سليمان يسأل نفسه: ليت شعري! ما هذا الشيء الذي أحاط به هذا الهدهد الصغير ولم أحط به أنا صاحب السلطان الواسع والملك العريض؟! ما سبأ هذه التي عرفها الهدهد ولم أعرفها، وما هذا النبأ الذي يحمله عن سبأ؟!!

لقد هم سليمان عليه السلام — وقد اشتد به الشوق إلى أن يعرف هذا النبأ عن سبأ — هم أن يسأل الهدهد، ولكن سليمان أخذته عزة الملك، وسيطرت عليه هيبة السلطان، وهاهم أولاء العلية من كبار جيشه وشعبه يحيطون به، فلا ينبغي له أن يسأل.

ورأى الهدهد استفهاماً يلوح على وجه نبيّه سليمان، تفيض به عيناه، وتنطق به أسارير محياه، فأسرع يقول:

إنى وجدت في غيبتى أمرا غريبا — أيها النبي الكريم — وجدت امرأة  
تسوس ملكا محكما ثابت الأركان، لا يعصى لها فيه أمر، ولا ينازعها فيه أحد،  
لقد أوتيت من كل شيء حسنا: أوتيت جمالا رائعا وقلبا ذكيا وعقلا حكيما،  
أوتيت جيشا قويا مطيعا مخلصا منظما، أوتيت قوما يقيمون على الولاء سرا  
وعلانية قد أحبوها حبًا جمًا، أوتيت مملكة خصبة جميلة خضراء كثيرة النماء  
والعطاء.

وإن أنس لأنس — أيها النبي الكريم — أن أخبرك أن لها عرشا يخطف  
الأبصار بما فيه من لألاء وبهاء وزينة، ويخطف البصائر بماله من جمال  
وجلال وروعة، ياله من عرش عظيم!!  
لقد أنعم الله على هاتيك المرأة هذه النعم كلها، فكان حقا عليها أن  
المشكر الله تعالى بالأتعبد إلا إياه، ولكنها — وأسفاه — عبت هي وقومها  
الشمس من دون الله!!

لقد صدّهم الشيطان عن سواء السبيل، وزين لهم أن يعبدوا الشمس،  
فهم لا يهتدون، ولو عرفوا طريق الهدى لعبدوا الله وحده وسجدوا له دون  
غيره، فالله تعالى هو القادر على ما لا تقدر عليه هذه الشمس المعبودة، فهو  
الذي يخرج الخبء في السموات والأرض: فالسحاب والرياح والمطر  
والشمس والقمر والنجوم كل أولئك من عند الله، وهذا النبت والزرع والزهر  
والشجر والينابيع وغير ذلك مما يخرج من جوف الأرض هو من صنع الله.

والذي يخرج الخبء في السموات والأرض يعلم أيها الخلق ما تخفونه من  
خير وشر ومن أفكار وأسرار ونوايا وعزائم، ويعلم أيضا ما تعلنون من أقوال  
وأفعال وتحرك وسكون، فالله وحده هو القادر على كل شيء، وهو وحده  
العالم بكل شيء، وهو وحده رب العرش العظيم الذي لا يدانيه ولا يشبهه عرش  
ملكة سبأ ولا غيره من عروش الأرض مهما بلغت من عظمة وأبهة وجلال  
وزينة.

وينتهى ما أراد الهدهد أن يخبر به سليمان — عليه السلام — ويصمت،  
ويصمت سليمان، ويصمت الخاصة من حول سليمان وهم ينظرون إليه  
يتعرفون في وجهه ما تركته أنباء الهدهد في نفسه، وما عساه أن يقول أو  
يفعل.

ولاشك أن أنباء الهدهد أثارت في نفس سليمان — عليه السلام — العجب والاستغراب والريبة، لقد أخذ يقول في نفسه : امرأة تملك! جيش قوى مطيع! قوم على الولاء والحب! مملكة خضراء مخصبة ممرعة! وتثور نفسه حمية لدين الله : أكفرا ياملكة سبأ وعبادة شمس؟! إن هذا لن يكون!! وفجأة يخرج سليمان عن صمته، وعلى وجهه مخايل عبوس وغضب، ويقول للهدهد في صوت ينذر ويوعده.

سوف نتيين ياهدهد فيما بعد أصدقت فيما أنبأت أم كنت من الكاذبين. ودون تلبث وتريث يأمر سليمان أن يكتب إلى ملكة سبأ وإلى قومها الذين كفروا بالله وعبدوا الشمس أن يأتوا إليه خاضعين مسلمين، ولتكن الملكة أول من يتلقى الكتاب ويقرؤه، ولتكن أول المنذرين.

وعلى عجل يكتب الكتاب ويطوى ويختتم، ويأمر سليمان الهدهد نفسه أن يحمل الكتاب، فهو أدري بمكان الملكة وقومها، ولأن في ذلك اختبارا أكان صادقا فيما نبأ عن سبأ أم كان من الكاذبين.

ويقول سليمان للهدهد في حزم وعزم! أذهب بكتابي هذا فألقه إلى الملكة التي تعبد الشمس، وتوار في مكان قريب حيث ترى وتسمع مايدور بينها وبين أهل الرأي والمشورة من قومها، وعد إلي مسرعا لتروى لى ماكان بينهم، وماكان يرجع بعضهم إلى بعض، وعلام استقر بهم الرأي آخر الأمر وهم يأترون.

ويفرح الهدهد بهذه المهمة التي وكلت إليه، ويأخذه الزهو وتعجبه نفسه، فقد اختاره سليمان لحمل هذه الرسالة العظيمة، وسوف يعود إلى سليمان بأنباء جديدة، سوف يقيم الحجة على أنه كان صادقا ولم يك من الكاذبين.

ويحمل الهدهد كتاب سليمان — عليه السلام — إلى ملكة سبأ، وأغلب الظن أنه قد دخل القصر عليها من إحدى نوافذه المفتوحة، وألقاه في مجلسها الخاص بها من حيث لا تدرى ولا تشعر، وحيث لا يحول بينها وبين رؤيته حائل، ولايشغلها عن تناوله شاغل.

وسرعان ماتقع عينها على كتاب سليمان وهي لا تدرى من جاء به

ولا كيف جاء، وتفض الكتاب، وتعرف أنه من سليمان، وأن عليها أن تأتي هي وقومها إليه مسلمين.

وتقرأ الكتاب مثنى وثلاث ورباع وهي لا تكاد تصدق ماجاء فيه، لقد جاء فيه شيء عظيم، جاء فيه ما يخرجها على دين آباؤها وأجدادها، جاء فيه ما ينزع منها هذا الملك الموطن الأركان.

كانت ملكة سبأ ذات فطنة وحنكة ودهاء، فطوت كتاب سليمان بين يديها برفق، وأزمعت في نفسها أمرا ذكيا.

وسرعان مادعت الملكة أهل الرأي والمشورة من قومها وقالت لهم: إنه ألقى إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان، وإنه قد بدىء بسم الله الرحمن الرحيم، وقد طلب إلينا فيه ألا نتعالى عليه ونعاند، وأن نذهب إليه مسلمين مستسلمين.

لقد رأيت أن أدعوكم، وأنتم تعلمون منزلتكم عندي ومدى اعتمادي عليكم وعلى رأيكم كلما حزبني أمر، وأوشك أن يحل بكم وبالبلاد شر مستطير وأمر خطير، أفتونى فيما تضمنه كتاب سليمان، فإنا بقاطعة أمرا ولا منفذة رأيا حتى أشهدكم وأعرف رأيكم، وأخلص أنا وأنتم إلى ما هو أقرب صوابا وأصلح أن يكون جوابا.

قال الملأ من قومها وقد أخذتهم الحمية، قالوا بحماس وشجاعة معلنين الولاء والطاعة:

نحن أولو قوة وأولو بأس شديد، لانحشى حربا ولا نخاف قتالا، على أن القتال ليس بالرأي الذي نراه ونصرّ عليه، فالأمر كله إليك، فانظري ماذا ترين وماذا تأمرين.

وتصمت الملكة وتطرق، ثم ترفع البصر إليهم وتقول: أخشى إذا ما اشتدت الحرب بيننا وبين سليمان أن تدور علينا الدوائر، وتكون له الغلبة والسلطان، ويكون لنا الذل والهزيمة، وإن الملوك إذا ما دخل جندهم المدن المهزومة عاثوا فيها فسادا يقتلون وينهبون ويأسرون ويسبون، ويصبح أعزة أهلها أذلة، تلك كانت عادتهم، وكذلك هم يفعلون.

أرى أن نبداً سليمان بالرفق واللين وحسن المعاملة، والرأي عندي أن أرسل فداً أحمله إليه هدية نفيسة تنال إعجابه وتخلب لبه، وتشغله عنا وعن ديننا، فلا يصرفنا عن عبادة الشمس، ولا ينغص علينا مانعم به من أمن وطمأنينة وخيرات حسان، وعلينا أن ننتظر ونرى ماذا يرجع به المرسلون.

ونظرت الملكة إلى الملاء من حولها تسمع رجوع هذا الرأي فلم تسمع شيئاً، ولكنها قرأت في وجوههم أمارات الاستحسان والإذعان والقبول.

وانفض الجمع وتفرق الملاء، وبقيت ملكة سبأ في قصرها وحيدة تتناوبها الهواجس وتتراوحها الهموم والآمال، تقول في نفسها: أترى سليمان يقبل الهدية ويرضى بها وأبقى على عرشي مالكة أمرى غير تابعة له، أم تراه يرفضها ويأبى عليّ إلا أن أخضع وأذل وأذهب إليه صاغرة مستسلمة؟! إن لم يكن نبيا وكان ملكا همه الدنيا وزينتها ومتاعها فأغلب الظن أن يفرح بالهدية ويتلقاها بقبول حسن، وتنشأ المودة بيننا وتتواصل الهدايا ويكون حسن جوار، أما إن كان نبيا حقا فليس للهدية عنده مكان، ولن يرضى بها ثمنا لبقائنا على الكفر نعبد الشمس.

ويصل الوفد حاملا الهدية إلى سليمان، وأغلب الظن أنها كانت ذهبا وفضة وجواهر، وحين قدّمت إلى سليمان وراها صاح في وجه الوفد غاضبا مستخفاً بالهدية التي حملوها، منكرأ أن يكون جواب رسالته مالا، قال في سخط وغضب وترفع وإباء: أو محتاج أنا إلى المال؟! ما قيمة هذا المال الذي جثتموني به، لقد آتاني الله خيراً مما آتاكم وخيراً مما آتى الملكة التي أرسلتكم، آتاني الله النبوة والعلم الواسع، وسخر لي الجن والطير والريح، سخر لي ملكا لم يسخره لأحد من العالمين!!

أو تظن الملكة أنها تستطيع بهذه الهدية الحقيرة أن تخدعني عما دعوتها إليه من الإسلام والاستسلام، عودوا بهديتكم إليها، فهي التي تفرح بالهدايا وتحب المال، ولنأتيها وقومها بجنود لاطاقة لها بقتالهم ولنخرجتهم أذلة صاغرين.

ويعود الوفد يجزّر أذيال الخيبة، ويتردى ثياب الذل والصغار، عاد إلى سبأ نبأ الحرب والخيل والويل والدمار.

وتتلقاهم الملكة، وتقرأ في وجوههم الهم والغم، وترى هديتها بين يديها خائبة الآمال، وتسمع تهديد سليمان ووعيده، فتدرك أن لامفر لها من

الإسلام والاستسلام، وأن عليها أن تذهب إلى سليمان مسلمة مستسلمة.  
كان هذا هو الرأي الذي لأرأي غيره، فلتذهب إلى سليمان مسرعة،  
وليذهب معها اشراف قومها وسادتهم مدعين طائعين قبل أن تصل جنود  
سليمان.

لم تدع إلى قصرها أهل الرأي والمشورة، ولم تطلب إلى جيشها أن يستعد  
للقتال، ودون أناة وتريث بدأت ملكة سبأ الرحلة إلى سليمان.  
كان سليمان عليه السلام على ثقة من أنها لا قبل لها بقتاله، وأنها  
لا محالة آتية إليه مسلمة مستسلمة، وأنها الآن على طريق السلم والاستسلام  
تسير، فقال لمن حوله في مجلسه الذي يجلسه صباح كل يوم للنظر في أمور  
الرعية وإدارة شؤون الملك: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟  
قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإنى لقوى  
على جملة، وإنى على حفظه والمحافظة على أشيائه لحريص أمين.

لم يظهر على وجه سليمان عليه السلام قبول هذا الرأي ورضاه، فانبرى  
الذي عنده علم من الكتاب يقول: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك،  
وقبل أن يرتد إلى سليمان طرفه كان عرش ملكة سبأ محضراً أمام سليمان،  
يراه سليمان مستقراً عنده.

لم تُشغل عينا سليمان ببهاء العرش ولألائه وبديع صنعه، ولم يملأ قلبه  
روعة فيه وأبهة وجلال، بل اتجه بقلبه وحسه إلى ربه الذي أنعم عليه  
فأعطاه ماتمناه وجعل في خاصته من أعطاه الله العلم والقدرة على هذا  
العمل الخارق.

قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر هذه النعمة التي أنعم بها عليّ  
أم أكفر، من يشكر الله على نعمه فإنما يشكر لنفسه، فتزداد نعم الله عليه  
ويحفظها الله له من الزوال، ولن ينال الله من شكره شيء، ومن يكفر بنعم  
الله ويجحدها فيعرض عن عبادة الله وعمل ما يرضيه فلن يضر الله شيئاً،  
فربي غني عن عباده كرم لا ينسى من فضله أحداً.

ثم يلتفت سليمان عليه السلام إلى من حوله ويقول: نكروا ملكة سبأ  
عرشها بعض تنكير، وغيروا في شكله وهيأته بعض تغيير، وسوف نرى أتكون

ذكية فطنة ذات علم ومعرفة فتهتدى إليه، أم تكون غبية جاهلة فتنكره وتكون من الذين لا يهتدون.

وينكر عرش الملكة ويغير على نحو يجعله يشتهه عليها ويلتبس.

وتصل ملكة سبأ، ويقال لها حين وصلت: أهكذا عرشك؟

كان سؤالاً مفاجئاً، فقد تركت عرشها من ورائها تحفظه الأبواب والأسوار ومحرسه الجنده، فكيف جيء به؟! ومن الذي جاء به ومتى جاء؟! ثم إن هذا الذي تراه ليس عرشها كما عهدته وتركته ساعة ودعته ورحلت عنه، ولكن فيه مشابه منه كثيرة جداً ويكاد يكون إياه!!

لم تحن ملكة سبأ فراستها، ولم تتخل عنها فطنتها، فأجابت جواباً أريياً ليس فيه نفي ولا إثبات، وقالت: كأنه هو.

لقد دلّ هذا الجواب على حدة ذكاء ووقدة ذهن وفطنة، وعلى علم خبير ببواطن الأمور.

دهشت حاشية سليمان وخاصته من حسن جواب الملكة، ورأت فيه ذكاء والمعية وعلماً وبعد نظراً، وأحسّ سليمان ماتركه جواب الملكة في نفوس من حوله من إعجاب وإكبار وتجلّة، فراح في مقام المنافسة والموازنة يبين فضله عليها ويقول: لقد أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين، وصدها عن الإسلام الشمس التي كانت تعبدها من دون الله وآبأؤها الذين كانوا من قبلها كافرين.

وهكذا حاول سليمان أن يمحو ماتركه جواب الملكة في نفوس ملأ سليمان من إعجاب بها وإكبار وتجلّه.

كان الصنّاع المهرة من رعايا سليمان عليه السلام قد بنوا له صرحاً مُمرّداً من قوارير، وجعلوا أرضه من زجاج أبيض شفاف، ومن تحت أرضه الزجاجية ماء يمور ويموج ويضطرب ويترجرج.

وبعد أن سئلت الملكة عن عرشها المنكر وأجابت، ذهب بها إلى هذا الصرح العجيب، وقيل لها حين وصلته ادخلي الصرح، فلما دخلته حسبت الطريق أمامها لجة ماء دون غطاء، وظنت أنها على وشك أن تخوض في الماء، فكشفت عن ساقها خشية أن تبتل أطراف ملابسها، فقال لها سليمان



مبادرا: لاعليك، سيرى دون أن تمسكى بثوب أو تكشفى عن ساق، إنه صرح ممرد من قوارير، وإن الماء من تحته يمور.

لقد بهر ملكة سبأ عجائب ملك سليمان: بهرها أن سخر الله له الطير، سخر له الجن، بهرها أن ألقى إليها كتابه من حيث لا تدري، وأحضر لها عرشها من قبل أن تصل وقد تركته وراءها تحيط به الأبواب الموصدة والأسوار المنيعة والحراس الأشداء، بهرها قصره الشامخ من قوارير يجرى من تحته الماء كأنه بحر لجي.

كل أولئك وغير أولئك مما أحست ورأت جعلها تؤمن بأن سليمان نبي من عند الله حقا وصدقا، فلم يسعها إلا أن تعلن إسلامها وتقول: رب إنى ظلمت نفسى بعبادة الشمس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

هذا، وقد جاء استفهام (أصدقت أم كنت من الكاذبين) جاء مفيدا الشك والتردد: فقد شك سليمان عليه السلام وتردد في صدق الهدهد فيما نبأ به عن سبأ، فقد كان نبأ عجيبا غريبا، وعلى رغم أن الهدهد قد مهّد للنبأ بقوله (أحطت بما لم تحط به) وحاول أن يزيل الشك في صدقه بقوله (بنبأ يقين)، على رغم هذا كله قال له سليمان شاكاً متردداً (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

وهذا الأسلوب (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أقوى وأبلغ في نسبة الكذب إلى الهدهد من قول قائل «أصدقت أم كذبت» لأن كونه من الكاذبين يدل على أنه معروف بالكذب له سابقة في هذا الوصف، بخلاف «أم كذبت»- فإنه يدل على اتهامه بالكذب ابتداء دون أن يكون له سابقة فيه.

## ١٧ - أصفى

أما الفعل السابع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أصفى)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ  
بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

الآية (٤٠) من سورة الإسراء.

في هذه الآية الكريمة الردّ على القائلين الملائكة بنات الله. وهي تتضمن أن الله سبحانه وتعالى لم يخص المشركين ولم يؤثرهم بأفضل الأولاد وهم البنون، ولم يتخذ لنفسه من الملائكة بنات.

إن المشركين بقولهم الملائكة بنات الله ليفترون على الله افتراء عظيمًا. وقد جاء استفهام: (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا)، جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجيب والسخرية: أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يخصكم ربكم أيها المشركون بالبنين، ولم يتخذ لنفسه من الملائكة إناثا.

وأفاد توبيخ أولئك المشركين على أن جعلوا الله ما يكرهونه لأنفسهم وهن البنات، وخصوا أنفسهم بمن يحبونهم وهم البنون.

ويفيد التعجيب والسخرية من أولئك المشركين في ادعائهم أن الله سبحانه وتعالى قد خصهم بأفضل الأولاد - في زعمهم - وهم البنون، واتخذ لنفسه الأدنى من الأولاد - في زعمهم - وهن البنات، إنه لزعم يدعو إلى التعجب ويبعث على السخرية، فالله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ ولدا ذكرا كان أو أنثى.

أما الفعل الثامن عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (اصطفى)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ  
 وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ  
 شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكِهَمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ  
 اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾  
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ  
 ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِنٰبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

الآيات : ( ١٤٩ - ١٥٧ ) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين إنكارا عليهم واستخفافا بهم وتوبيخا لهم وتعجيبا منهم، أن يسألهم: لم جعلتم البنات - وهن أقل الجنسين منزلة في زعمكم - لم جعلتموهن لله سبحانه وتعالى ونسبتموهن إليه عز وجل، ولم جعلتم البنين لكم - وهم في زعمكم أفضل الجنسين منزلة - فنسبتموهم إليكم، أسألهم يا محمد: هل يستطيعون أن يثبتوا وجها من الهدى لهذه القسمة الضالة، حيث جعلوا لله تعالى البنات وهن مايكرهون، فقد كانوا إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، ثم خصوا أنفسهم بما يحبون وهم البنون.

إنهم لم يكونوا شاهدين حاضرين حين خلق الله الملائكة، وإذا لم يشهدوا ذلك ولم يحضروه فن أين لهم أن الملائكة إناث؟!  
 لقد بلغ بهم الكذب والإفك أن قالوا إن الله قد ولد، فياله من كذب صراح وقاح!!

ولو ذهب ذاهب — على سبيل الافتراض — إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ولد، فكيف تحكمون أنه قد ولد البنات واصطفاهن دون البنين؟! من أين لكم أن تحكموا أن الله البنات وأن لكم البنين؟! إن حكمكم بأن الملائكة بنات وأنهن بنات الله حكم ينفيه العقل ولا يصدق، وليس لكم فيه دليل نقلى ورد في كتاب مرسل من عند الله إليكم أو إلى غيركم، فأنتم في حكمكم هذا كاذبون، إذ لم يقم عليه دليل نقلى مصدق يصدق، ولم يقم عليه دليل عقلي يحققه، ولم يقم عليه دليل حسى من مشاهدة وحضور. أفلا تتذكرون وتعقلون وترجعون عن الكذب والإفك إلى الحق والصدق؟! والصدق؟!!

وقد أفاد استفهام (أصطفى البنات على البنين) أفاد الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب :

أفاد الإنكار بمعنى لم يلد الله أحداً، ولم يصطف لنفسه ولم يختار البنات ويفضلهن على البنين.

وأفاد توبيخ المشركين على قولهم قد أصطفى الله البنات وترك البنين وليس لهم حجة ولا برهان.

ويفيد السخرية بهؤلاء المشركين والتعجيب منهم حيث ينسبون إلى الله الذي خلقهم ما لا يرضونه لأنفسهم ويقولون على الله تعالى ما لا يعلمون.

والفعل الذي دخلت عليه همزة الاستفهام هنا هو (إصطفى) وبعد أن

دخلت عليه همزة الاستفهام صار (أصطفى) بهزتين: الأولى همزة

الاستفهام المفتوحة والثانية همزة الوصل المكسورة، واجتماع هزتين في أول

الكلمة على هذا النحو ثقيل على اللسان، فحذفت همزة الوصل المكسورة

تخفيفاً واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

أما الفعل التاسع عشر من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (اطلع) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا  
 ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ مِنَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا  
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِيهِ  
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

الآيات: (٧٧ - ٨٠) من سورة مريم.

جاء في تفسير البحر المحيط أن هذه الآيات نزلت في العاصي بن وائل السهمي: فقد عمل له خبّاب بن الأرتّ عملاً وتقاضاه أجر ماعمل، فقال العاصي: لأنصفك حتى تكفر بمحمد، فقال خبّاب: لا أكفر بمحمد حتى يميّتك الله ويبعثك، فقال العاصي: أو مبعوث أنا بعد الموت؟! قال خبّاب: نعم. قال العاصي فانت إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد، وعند ذلك أفضيك دينك.

فالعاصي بن وائل السهمي هو المراد ب (الذي كفر بآياتنا) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة: أفرايت يا محمد هذا الذي كفر بالقرآن الكريم وبالْحَجَجِ الدّالة على البعث، وقال مستهزئاً متعنناً: لأوتينّ مالا وولداً، أو بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الله تعالى فادعى أن يوّتى في الآخرة مالا وولداً، أم اتخذ عند عالم الغيب عهداً أن يوّتى ذلك؟!!

ليرتدغ عن قوله الكاذب!! فليس الأمر كما قال، فهو لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً، إنه مجرم كاذب كفار!! سنحفظ عليه هذا القول ونجازيه به في الآخرة، سوف نزيده عذاباً فوق عذاب، ونسلبه ما أعطيناه في الدنيا من مال وولد، ولسوف يأتينا يوم القيامة فرداً ذليلاً لا مال ولا ولد ولا عشيرة.

وقد جاء استفهام (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى لم يطلع الغيب ذلك الرجل الذي قال وأقسم لأعطينَ مالا وولدا، لم يطلع الغيب لأن الغيب مختص به تعالى، والله جلّ وعلا لم يعلمه ماذا سيكون حاله في الآخرة، ولم يتخذ ذلك الرجل عهدا وموثقا من الله تعالى أنه سيعطيه مالا وولدا في الآخرة، فالطريقان اللذان يعرف بهما ذلك الرجل أمره في الآخرة قد انتفيا.

وأفاد هذا الاستفهام توبيخ ذلك الرجل على مادعاه لنفسه في الآخرة وأقسم عليه من كذب وزور وهتان.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا السخرية بذلك الرجل والتعجيب منه حيث يقيس حاله في الآخرة التي لا يدري عنها شيئا على حاله في الدنيا فيعرف بما لا يعرف، ويقول ما لا يعقل ولا يعلم.

والفعل الماضى (أطلع) الذي دخلت عليه همزة الاستفهام متعد بنفسه هنا، و(الغيب) مفعول به وليس منصوبا على نزع الخافض، و(أم) متصلة عاطفه، و(أتخذ) فعل ماض وهو هنا متعد إلى مفعول به واحد هو (عهدا) و(عند) ظرف مكان متعلق ب (اتخذ)، وجملة (اتخذ عند الرحمن عهدا) معطوفة على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام فهى مثلها داخلة في حيز الاستفهام.

والهمزة المفتوحة في (أطلع) هى همزة الاستفهام، أما همزة الوصل المكسورة التي كانت في أول الفعل قبل دخول همزة الاستفهام فقد حذفت للتخفيف ولأن همزة الاستفهام تغنى عنها.

أما الفعل العشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (طال) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ  
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا  
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي  
وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ  
وَأَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ  
قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ  
رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ  
السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ  
يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ  
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ  
مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا  
أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾  
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ  
وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا  
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ  
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ  
 ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُرُونَ مَأْمَنَكَ إِذْ ذَرَأْتُمُهُم ضَلُّوٓا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ ۗ  
 أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَومٌ لَا تَأْخُذْ بِحِجَّتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ  
 إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ  
 قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُي ۗ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ  
 بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۗ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ۗ فَنَبَذْتُهَا  
 وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَآذِهِبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ  
 مَوْعِدًا لَّنْ يُخَفَّفَهُ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ  
 نَاكِفًا ۗ لَنَنْحَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا  
 إِلَهِكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

الآيات : ( ٨٠ - ٩٨ ) من سورة طه .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بنى  
 إسرائيل فأغرق عدوهم فرعون وجنوده في اليم، وأنجاهم من العذاب الذي  
 كانوا يلاقونه في مصر على يد القبط الذين كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون  
 نساءهم .

وأنعم عليهم مرة أخرى بعد أن قطعوا البحر ونجوا إلى البر، فأنزل عليهم  
 المنّ ذلك الطعام الذي كان يشبه الدقيق، ينزل عليهم مع الفجر كالندى،  
 ويتجمد فوق الأرض كالجليد، فيلتقطونه ويصنعون منه طعاما لذيذا، وأنزل  
 عليهم السلوى طائر السمانى تسوقه إليهم الريح بأمر الله فيقبضونه بالأيدى



ويصنعون من لحمه طعاما شهيا.  
أمرهم الله تعالى أن يستمتعوا بهذا الرزق حلالا سهلا لا يئاهم فيه نصب ولا يئسهم جوع، وحذرهم من الطغيان في هذا الرزق بأن لا يشكروا الله الذي أنعم عليهم وأن يعبدوا سواه، أو أن يصيبهم فيه الأشر والبطر والإسراف، أو أن يأكلوه اغتصابا بعضهم من بعض، وأنذرهم عاقبة الطغيان، وعاقبة الطغيان أن يحل عليهم غضب الله، ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى.

على أنه من يرتكب خطيئة أو يجترح إثما فإن الله تواب غفور رحيم، يغفر الذنوب لمن يتوبون إليه ويؤمنون به ثم يتبعون إيمانهم بالعمل الصالح، ويلتزمون ما يقتضيه الإيمان من حقوق، فلا يتراجعون عنها ولا يغفلون عنها ولا يفترون.

وقد واعد الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل جانب الطور الأيمن بإتيان موسى عليه السلام إلى هذا الجبل بسيناء لمناجاةه وإنزال التوراة عليه فيها هدى وصلاح وإرشاد إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وتعجل موسى الإتيان إلى الجبل دون أن يكون معه قومه، وترك أخاه هارون يخلفه فيهم.

وفي نهاية المناجاة وبعد إنزال التوراة عليه سأله الله تعالى - وهو أعلم -  
**(وما أعجلك عن قومك يا موسى)؟!**

قال موسى - وقد فوجيء بالسؤال - إن قومي يسرون على أثرى غير بعيد، وعجلت إليك رب حرضا على مناجاتك وطلبا لمزيد رضاك.  
فأخبره الله تعالى أن قومه قد وقعوا في الفتنة، وأن الله قد ابتلاهم بعبادة العجل الذي أخرجه لهم السامريّ وزعم أنه إلههم، فأضلهم بعد أن كانوا مهتدين.

رجع موسى إلى قومه غضبان حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر، ووقف فيهم خطيبا: ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا؟! بلى قد وعدكم ربكم أن ينزل عليّ التوراة فيها لكم هدى ونور ورحمة، وقد أنجز الله ما وعد، وهأنذا

أعود إليكم بها.

أفطال عليكم غيابي والعودة إليكم بما وعدكم ربكم، لم يطل، إن كان إلا أربعين ليلة، وما أربعون ليلة بكثير، لقد وعدتموني أن تقيموا على ما أمرتكم به وتركتمكم عليه من الإيمان بالله والتزام طاعته وعبادته، فأين ما وعدتموني به؟! وما هذا الذي فعلتموه من بعدى؟! ما عبادة العجل هذه التي تعبدونها؟! لقد استحققتم بها غضب الله، وفعلتم فعل من يريد أن ينزل عليه عذاب الله.

قال القوم يعتذرون إلى موسى: ما تركنا موعدك طواعية واختياراً، ولكننا غلبنا على أمرنا بإضلال السامري لنا حين حفر حفرة في الأرض وأمرنا أن نلقي فيها أوزاراً من الذهب والفضة استعمرناها من القبط ليلة خروجنا من مصر، وقد سوّخ لنا ذلك الإلقاء وزينه في نفوسنا، فألقيناها، وكذلك ألقى السامري ما كان في يده، فأخرج لنا عجلاً جسداً له خوار، وقال لنا هو وأتباعه: هذا العجل هو إلهكم وإله موسى، وقد نسي موسى ربه هنا، نسي أن ربه الذي ذهب يريد به ويطلبه هو هذا العجل.

لقد بلغت الفتنة بمن أضلهم السامري أنهم كانوا يرون العجل لا يرجع إليهم قولاً ولا ينسب بنت شفة، ثم هو لا يدفع عنهم ضراً ولا يجلب لهم نفعاً، ومع ذلك كله عبده واتخذوه إلهاً!!

وبلغ بهم الأمر أن نسيهم هارون قد قال لهم من قبل أن يعود إليهم موسى: يا قوم إن هذا العجل فتنة لكم واختبار لإيمانكم، فابقوا على ما ترككم عليه موسى وأوصاكم به من عبادة الله وحده لا شريك له ولأنه، يا قوم إن ربكم الرحمن يرحمكم ويغفر لكم من ذنوبكم إن تبتم إليه ورجعتم عن هذه العبادة الظالمة الخاسرة، إنه هو التواب الرحيم، يا قوم اتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ونبذ عبادة هذا العجل، أطيعوني في البقاء على طاعة الله وإخلاص العبادة له، يا قوم إن هذا العجل كما ترون لا يعقل ولا يعي ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، فعبادته ضلال وجهالة، يا قوم إنى رسول الله إليكم وإنى فيما أقوله لكم ناصح أمين.

فأجابه القوم ضلّة وعناداً: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا

موسى، فيبين لنا أن هذا العجل ليس إلهًا ولا يستحق أن يعبد.

وبعد أن رجع موسى من مناجاة ربه وأنكر على قومه عبادة العجل التفت إلى أخيه هارون آخذا رأسه باليد اليمنى ممسكا لحيته باليد اليسرى قائلاً يلموم ويعتب: مامنك إذ رأيت الذين ضلوا فعبدوا العجل من دون الله، مامنك أن تأخذهم بالحزم وأن تسوسهم بالشدة وأن تقاتلهم بمن معك من المسلمين، لقد قلت لك حين فارقتك إلى الطور اخلفنى في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، فعصيت أمرى وضعفت واستكنت ولم تأخذ الضالين بما ينبغى أن تأخذهم به، فتمادوا في الضلال وعبدوا العجل، واكتفيت بالنصح الذي لم يلق أذنا صاغية.

قال هارون يعتذر ويستعطف: يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى، فأنا بالعاصى أمرك، وما كنت لأقصر فيه، ولكنى خشيت إن أنا أخذتهم بالحزم وسستهم بالشدة أن يتقاتلوا وأن يتفانوا وأن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى في الإصلاح.

لقد زجرتُ من ضلّ وبيّنتُ لهم أن العجل فتنة، فاستكبروا استكباراً وأصروا على العكوف عليه حتى ترجع إليهم ويروا رأيك فيه.

وبعد جواب هارون واعتذاره التفت موسى إلى السامريّ وقال: ماهذه الفعلة الضالة المضلة التي فعلت يا سامريّ!؟

قال السامريّ: علمت ما لم يعلم القوم، وفطنت لما لم يفطنوا له، فقبضت قبضة من أثر الرسول وألقيتها في الحلي الذي ألقاه القوم، وأخرجت لهم منه عجلاً جسداً له خوار، وليس هذا سوى شيء سألته لى نفسى وفعلة خطر بيالى أن أفعلها.

قال له موسى: تبا لك! وتعباً لما سألته لك نفسك!! إن لك في هذه الحياة الدنيا عقوبة لا تنفك عنك ولا تزول عنها مادمت حياً، ستظل تسير بين الناس تتحاماهم ويتحامونك وأنت تصيح فيهم: لامساس لامساس، خشية أن تمسّ أحداً أو يمسّك أحد فتنزل بكل منكما هى شديدة الانجاء منها ولاشفاء.

وإن لك في الآخرة موعداً لن تنجو منه ولن تُخلفه، إن لك فيها عذاباً أشد وأبقى، نار جهنم مثوى من ضل وغوى.

أما هذا العجل الذي اتخذته إلهًا وظللت عليه عاكفا فلن نبقي له أثرا، لنحرقته ثم لننصفته في اليم نسفاً، وسوف ترى أنه عاجز لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرر والهلاك والدمار.

أيها الناس، إنما إلهكم إله واحد لا شريك له، هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بمن أهتدى، لا إله إلا هو قد أحاط بكل شيء علماً.

هذا، وقد أفاد استفهام (أفطال عليكم العهد) الإنكار والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يطل عليكم العهد بوعد الله إياكم بأن ينزل التوراة عليّ في جانب الطور الأيمن يكون لكم فيها هدى ومنافع، فما زادت غيبتي على أربعين ليلة، وما أربعون ليلة بالزمن الطويل.

وأفاد التوبيخ: توبيخ من عبدوا العجل على إخلافهم ما وعدوه من الثبات على الإيمان بالله والتزام طاعته وعبادته حتى يرجع إليهم، وتوبيخهم على انصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة العجل، على الرغم من أن غيبته عنهم لم تكن طويلة فيجدوا في طولها عذرا لليأس من وفاء الله بما وعدهم أو لنسيان ما وعدوا به.

(أم) في قوله (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي)، (أم) هذه منقطة بمعنى بل، فهي للإضراب عما قبلها إضراباً انتقالياً وللعُدول إلى مابعدّها، كأنه يقول: لم يطل عليكم عهدي ولكنكم أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي، أي فعلتم فعل من يريد ذلك.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام في (أفطال عليكم العهد) عاطفة، عطفت مابعدّها، والمعطوف عليه هو ما قبل الهمزة — وهذا هو رأي سيبويه والجمهور — وقد ذهب الزمخشري إلى أن المعطوف عليه محذوف مقدر بعد الهمزة.

وإذا رجعنا إلى الآيات المتقدمة وجدنا فيها استفهاماً آخر دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضي وهو (أفحصيت أمري).

وقد جاء هذا الاستفهام محكياً عن موسى عليه السلام يخاطب به هارون عليه السلام.

ولكن ماهذا الأمر الذي أمر به موسى أخاه هارون فعصاه؟  
ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن المراد بهذا الأمر هو قول موسى لأخيه  
هارون حين ذهب موسى لمناجاة ربه: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع  
سبيل المفسدين، فخلفه هارون وأصلح بحسب اجتهاده فأنكر على الذين  
عبدوا العجل وبيّن لهم أن عبادتهم العجل شرك وضلال، ولكنه لم يقاتلهم  
بمن بقي معه على الإيمان خشية أن يتفانوا ويتسع الخرق على الراقع.  
وذهبت طائفة أخرى إلى أن المراد بهذا الأمر هو أن يتبع هارون موسى  
ببني إسرائيل إلى جبل الطور بعد أن ذهب إليه لمناجاة ربه ولم يتبعه  
هارون بمن بقي معه على الإيمان خشية أن يقول له موسى فرقت بين بني  
إسرائيل فجئتني بفريق وتركت فريقا.  
ومهما يكن المراد فقد أفاد استفهام (أف عصيت أمري) الإنكار واللوم:  
بمعنى لا ينبغي لك يا هارون أن تعصى أمري فتأخذ عبدة العجل باللين  
والسلم بعيدا عن الشدة والحزم.

أو بمعنى لا ينبغي لك هارون أن تعصى أمري فلا تتبعني ببني إسرائيل  
إلى جبل الطور بعد أن ذهبت إليه لمناجاة ربي.  
وقد ذهب أبو السعود في تفسيره إلى أن استفهام (أف عصيت أمري)  
يفيد الإنكار التوبيخي. وأنا استبعد أن يوبخ موسى أخاه هارون وهو رسول  
مثله.

وأحب أن أنبه هنا على أن حروف العطف التي تقع بعد همزة  
الاستفهام هي الواو والفاء - وهذا كثير جدا - و(ثم) وهذا قليل جدا.  
وأبو السعود في تفسيره أكثر المفسرين اتباعا وأخذاً برأي الزمخشري القائل إن  
حروف العطف بعد همزة الاستفهام تعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة  
وقد عنى في تفسيره بذكر هذا المعطوف عليه المحذوف المقدر بعد الهمزة كما  
مما عنى الزمخشري نفسه بهذا في تفسيره الكشاف.  
فعلى الذين يريدون أن يعرفوا المعطوف عليه المحذوف المقدر بعد همز  
الاستفهام أن يرجعوا إلى تفسير أبي السعود.

والتقدير عند أبي السعود في استفهام (أف طال عليكم العهد): أوعدك  
ذلك فطال عليكم العهد.

والتقدير في استفهام (أفصيت أمرى) : أخالفتنى فعصيت أمرى.  
وأرى أن تقدير معطوف عليه محذوف بعد همزة الاستفهام تكلف لا يستدعيه  
السياق ولا يتطلبه المعنى، وأن الرأي ماذهب إليه سيبويه من أن حروف  
العطف بعد همزة الاستفهام تعطف على ما قبل الهمزة.  
على أن حروف العطف بعد همزة الاستفهام ليس لها تأثير في معنى  
الهمزة، وإنما هي لربط الكلام ببعضه ببعض.

أما الفعل الحادي والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجب) وقد ورد ذلك في موضعين: الموضع الأول في قوله تعالى:

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ  
يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ  
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى  
رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ  
فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

الآيات : ( ٦٠ - ٦٤ ) من سورة الأعراف

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد بعث نوحا عليه السلام رسولا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، ويحذرهم من عقاب الله إن لم يستجيبوا له، فناداهم نداء نديا يستعطفهم فيه ويذكرهم أنهم قومه، فهم أقرب الناس إليه، وهو أحرص الناس على ما فيه خير لهم، فينبغي لهم أن يكونوا أجدر من غيرهم في أن يستجيبوا له وألا يخالفوه.

قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، فهذه الأصنام التي تعبدونها ليست آله تستحق العبادة، هي لاتدفع عنكم ضرا ولا تجلب لكم نفعا،

ولا تعقل ماتقولون ولا تسمعكم إذ تدعون، الله وحده هو الخالق الرازق الذي يسمع دعاءكم ويستجيب لكم إذا مادعوتموه مخلصين له الدين. أنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده حرصا على ما فيه نفعكم وإشفاقا عليكم، إنى أخاف عليكم إذا ماتماديتم في عبادة أصنامكم واستكبرتم عن عبادة ربكم، إنى أخاف عليكم أن يعذبكم الله عذابا شديدا يوم القيامة العظيم، يوم يبعث الناس من قبورهم ويحاسبون على أعمالهم، ويلقون جزاء ما كانوا يعملون.

لم يجد نداء نوح سبيلا إلى آذان قومه الصم، ولا طريقا إلى قلوبهم الغليظة، فأعرضوا عما دعاهم إليه، وكذبوه وكفروا بدعوته، وأصروا على عبادة أصنامهم، واستكبروا عن الإيمان بما دعاهم إليه. قال أشرف قومه وسادتهم بلسان ينضح بالحقد والكراهية: إنا لنراك يانوح غارقا في الضلال، ضلالك ياتوح واضح مبين، لا يخفى علينا ولا تسمى عنه العيون.

لم يفت هذا الجواب الفظ في عضد نوح ولم يفلّ من عزمه، فراح يحاور قومه في سماحة وسجاجة وسكينة، ومجادلهم بالتي هي أحسن: قال نوح ليس بى يا قوم من ضلالة، وما أنا بضال ولا داعية ضلال، وإنما أنا رسول من رب العالمين، أبلغكم ما أمرنى الله أن أبلغكم إياه، لا أزيد فيه ولا أنقص، ولن أتوقف عنه أو أفتر، ولن أرجع عنه أو أنام، سأظل أنصح لكم فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، وسوف أظل أحذركم من العاقبة السوءى لعبادة الأصنام، وأنا أعلم من الله فيما أنصح وفيما أحذر وفيما يجب علي أن أفعله ما لا تعلمون.

لا ينبغي لكم يا قوم أن تعجبوا من أن يأتاكم وعظ وهدى من ربكم على لسان رجل من البشر مثلكم ولم يك من الملائكة، أن يكون يا قوم رجلا منكم أحق وأولى، كى تفهموا عنه ما يقول، وتعقلوا ما يدعوكم إليه وينهاكم عنه.

ماجتكم يا قوم أطلب رئاسة عليكم وإمارة، وماجتكم أبنى مالا وتجارة، جئت لأبين عاقبة السوء لعبادة الأصنام التي عليها تعكفون، جئت لأنصح



لكم أن تخلصوا العبادة لله وأن تنبذوا عبادة الأصنام لعل الله يرحمكم ويتوب عليكم وينجيكم من عذاب أليم.

لكن قوم نوح كذبوا نوحا وتمادوا في العناد والإعراض إلى حد أنهم كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعوا إنذاره ونصحه، ويضعون ثيابهم على عيونهم كي لا يبصروا وجهه وشخصه.

ويوحى الله تعالى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ويأمره أن يصنع السفينة لينجو فيها هو ومن كان معه من المؤمنين.

ويصنع نوح السفينة ويركب فيها هو والذين آمنوا معه — وما آمن معه إلا قليل — ويحمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله رب العالمين.

وسرعان ما يأتي الطوفان بأمر من الله جلّت قدرته، فيغمر وجه الأرض وما فيها من أودية وما عليها من تلال وجبال، وتجري السفينة بمن فيها في موج كالجبال، وينجى الله نوحا والذين آمنوا معه وما حملته السفينة، ويغرق الذين كفروا بآياته دون أن يجدوا عاصما يعصمهم من أمر الله العلي العظيم.

لقد كانوا قوما عمين، عميت قلوبهم عن الهدى، نصح لهم نوح أن يعبدوا الله وينبذوا عبادة الأصنام فأبوا واستكبروا استكبارا، وأصروا على الكفر والعصيان إصرارا. حذرهم عاقبة كفرهم فسخروا منه ومن وعيده، فانتقم الله منهم فكانوا من المغرقين.

ونجى الله نوحا والذين آمنوا معه، إنهم كانوا عبادا صالحين مهتدين.

وقد جاء استفهام (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) جاء مفيدا الإنكار والتوبيخ والتعجب بمعنى لا ينبغي لكم يا قوم أن تعجبوا من أن يرسل الله إليكم رجلا منكم ليهديكم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، ولينذركم عقاب الله ولتتقوا عذابه ولعلكم ترحمون.

أن يكون الرسول رجلا منكم أحق وأولى، فأنتم تعرفونه وتأنسون إليه وتفهمون عنه ما يقول، وهو أدري بشؤون حياتكم وأحرص على ما فيه خيركم. وإنه لما يثير العجب أن تعجبوا من أن يرسلني الله إليكم، وليس في هذا عجب، فسنة الله في خلقه أن يرسل إلى كل قوم رسولا منهم، ولكنكم

قوم لاتعقلون، ولو كنتم تعقلون ما عبدتم أصناما لاتحسّ ولا تعقل، ولا تدفع ضرا ولا تجلب نفعا.

وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام في قوله (أوعجبتم) عاطفة على محذوف بعد الهمزة، والتقدير عنده: أكذبتم وعجبتم، وجاء أبو السعود من بعده فجعل التقدير في تفسيره: أستبعدتم وعجبتم.

والصحيح ما ذهب إليه سيويه وجهور النحاة من أن الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام تعطف ما بعدها على ما قبل الهمزة ولا حذف ولا تقدير، وأصل الكلام وأعجبتم بتقديم واو العطف على همزة الاستفهام، ولكن همزة الاستفهام قدمت على حرف العطف لأن لها الصدارة.

أما الموضع الثاني الذي دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل الماضي (عجب) فقد ورد في قوله تعالى:

❁ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمُ

هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي

سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ

لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ

أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ

وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ

فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَأذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ

﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ

يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَضِبْتُ  
 أَنْتَجِدُ لُنُنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ  
 مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
 الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا  
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

﴿٧٢﴾

الآيات: (٦٥ - ٧٢) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قوم عاد واحدا منهم يعرفون صدقه وأمانته وشرف نسبه، أرسل إليهم هودا عليه السلام.

قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، فإنه ليس لكم من إله غيره، واتقوا الله واحذروا أن يحل بكم عقابه كما حلّ بقوم نوح من قبل. قال أشرف قومه الذين أنكروا وحدانية الله تعالى وكذبوه رسولا إليهم: إنا لنراك ياهود في ضلالة عن الحق وبعد عن الصواب بترك ديننا وإنكارك آلهتنا ودعوتك إيانا أن نعبد الله وحده وننبذ الأصنام، وإنا لنظنك كاذبا في قولك إني رسول رب العالمين.

قال يا قوم ليس بي ضلالة عن الحق ولا بعد عن الصواب، ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي كما أمرني ربي أن أبلغكم إياها، وإنني لناصح لكم إذ أدعوكم إلى عبادة الله وترك ما عداه، وإنني لأمين فيما أبلغكم عن الله، فلا مين ولا زيد ولا نقص ولا تبديل.

وما كان ينبغي لكم يا قوم أن تعجبوا من أن ينزل الله وحيه عليّ وأنا رجل من البشر مثلكم كي أنذركم بأس الله وأحذركم من عقابه.

كان ينبغي لكم يا قوم أن تحمدوا الله أن بعث إليكم رجلا منكم يهديكم إلى الحق، وأن تذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء قوم نوح في الأرض، وإذ خلقكم أطول منهم أجساما وأحسن قواما وأشد قوة، إذ ذكروا

نعم الله هذه واشكروه عليها بإخلاص العبادة له ونبذ ماعداه لعلكم تفلحون.  
قال أشراف قومه منكرين موبخين مكذبين: أجبثنا يا هود لنعبد الله  
وحده وندع عبادة الآلهة والأصنام التي كان يعبدها آباؤنا؟! إنا لن نتبعك  
على هذا ولن نؤمن بك، فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب إن كنت من  
الصادقين فيما تقوله لنا وتهتدنا به.

قال لهم هود: قد وقع عليكم من ربكم سخط وغضب، أتجدلونني في  
أصنام سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من  
حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها، انتظروا حكم الله فينا وفيكم إني  
معكم من المنتظرين.

وينجي الله هودا والذين معه، ينجيهم الله برحمة منه، ويهلك الذين كذبوا  
بآياته فلا يبقى منهم أحدا.

وقد أفاد استفهام (أوعجبتهم) هنا ما أفاده استفهام (أوعجبتهم) السابق.

أما الفعل الثانى والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجز)، وقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى:

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا  
فَتَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ  
قَالَ إِنَّمَا اتَّخَفْتَنِي اللَّهُ مِنْ الْمُنْتَقِينَ ﴿٢٧﴾ لَنْ نَبْسُطَ إِلَيْكَ يَدَنَا  
لِنَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ  
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوَ أَيَّتُمِي وَإِنَّمْكَ فَتَكُونَ  
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ  
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾  
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي  
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا  
الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

الآيات : ( ٢٧ - ٣١ ) من سورة المائدة

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلو بالحق وبالصدق على بنى إسرائيل خبر ابني آدم هابيل وقابيل إذ قرب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وكان هابيل صاحب ماشيه يعمل الصالحات فعمد إلى خير ماشيته فتقرب به إلى الله تعالى يبتغى مرضاته، فتقبل الله منه.

أما قابيل فكان صاحب زرع يعمل السيئات فعمد إلى أردأ زرع فتقرب به إلى الله تعالى خداعا ورياء، فلم يتقبل الله منه.

فغضب قابيل أشد الغضب على أخيه هابيل، وحسده أن يتقبل الله منه

قربانه، فقال ينذر ويتوعد: لأقتلك ياهاويل شر قتلة! قال هاويل بهدوء ورفق وسكينة: وماذنبى فتقتلنى؟! أنا لم أسىء إليك في شيء، كل ما فعلته أنى تقربت إلى الله تعالى بأفضل ما عندى أبتغى به وجهه، فتقبل الله تعالى منى.

أما أنت فلم تحسن اختيار ما تقرب به إلى الله تعالى، لقد تقربت إليه تعالى بأردأ ما عندك، فلم يتقبل منك، إنما يتقبل الله من الذين يخشونه ويقومون بطاعته، وكانوا متقين.

ولئن مددت إليّ يدك لتقتلنى فلن أدفعك ولن أدافع عن نفسى، وما أنا بماذ إليك يدى لأقتلك، إنى أخاف الله رب العالمين، وإن الله لا يحب المعتدين.

وإذا كان القتل لا بد منه، فإما أن تقتلنى وإما أن أقتلك، فأنا أختار أن تقتلنى على أن أقتلك، لتحمل إثم قتلى وإثم معاصيك من قبل فتكون أنت من أصحاب النار، وتلك النار جزاء الظالمين.

وتسكن سورة غضب قابيل حين سمع أخاه هاويل يقول قولاً لينا، ويقف موقفاً مسالماً، ويترك باب القتل أمامه مفتوحاً دون مدافع.

وينام النهار، وتتلفع الأرض بليل ضاع فيه القمر وعميت فيه النجوم، وتأوى نفس قابيل إلى قابيل تهمس وتوسوس وتزّين له قتل أخيه، وبعد لأي وعناء وأخذ وعطاء طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله.

وتشرق شمس الصباح لتذيع أسرار الليل، وينهض قابيل من مضجعه ليرى ماذا صنعت يده.

ماذا تريد أن ترى يا قابيل؟! ها هي ذى جثة أخيك غارقة في الدماء، مهشمة الرأس والأعضاء، في أشع صورة وأقبح منظر!! أوطبت نفساً وهدأت بالاً يا قابيل!!

لقد هزت تلك الجثة المشوهة المستسلمة حناناً كان نائماً في صدر قابيل، واستصرخت أخوة حانية كانت نائية عنه، فأصبح من النادمين.

يا حسرتنا!! ماذا أصنع بجثتك ياهاويل؟! لقد كنت من قبل هذا ملء السمع والبصر، وهأنذا اليوم جثة هامة خرساء لا تسمع النداء، أو أدعك لقي فوق الأرض وتحت الشمس!!

لقد أسقط في يد قابيل، ووقف أمام جثة أخيه مشدوها لا يدرى ماذا يصنع.

لقد كان هايبيل أول قتيل فوق الأرض، وما كان قابيل يدرى سنة الله في الموتى، فبعث الله غرابين يقتتلان على مرأى منه ومسمع، ويقتل أحدهما الآخر ويحفر له في الأرض حفرة يلقيه فيها ويحشو عليه التراب. ويشهد قابيل هذا المشهد فيصيح: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الحقير فأواري سوءة أخى؟!!

ويصنع قابيل ما صنع الغراب القاتل، ويواري سوءة أخيه في جوف الأرض، ولكنه لم يستطع أن يواري حسرة تتلظى في صدره، وندما ينهش قلبه، وجزء عند الله لا يزال ينتظر.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر. فقد أنكر قابيل على نفسه ونعى عليها وأنها أن لا تبلغ مبلغ هذا الغراب في حسن التصرف وسداد الرأي.

ولقد تعجب من عجزه عن أن يهتدي إلى ما اهتدى إليه هذا الطائر المزدري وهذا الغراب الحقير، وتحسر من جراء هذا العجز الفاضح المهين. هذا وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن (فأواري) بالنصب على أنه جواب الاستفهام.

وقد ردّ هذا الرأي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري السابق قال: «وهذا خطأ فاحش، لأن الفاء الواقعة جواباً للاستفهام علامتها أن ينعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء مع صحته المعنى، ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أو أوار سوءة أخى. لو قلت هذا لم يصح المعنى، لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل هذا الغراب» أ.هـ بتصرف.

ثم بيّن أبو حيان أن النصب في الفعل المضارع (فأواري) لأنه معطوف على الفعل المنصوب في (أن أكون).

أما الفعل الثالث والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجل) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي  
مِنْ بَعْدِي ۖ أَتَعْبَدُونَ إِلًا لَّهُمْ وَالْقَوْمَ الْأَوْحَاكِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ  
أَخِيهِ يَجْرِهُ إِلَىٰ يَدَيْهِ قَالَ أِبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا  
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي  
رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٥١﴾

الآيتان : ( ١٥٠ - ١٥١ ) من سورة الأعراف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان :

أن موسى عليه السلام لما رجع من مناجاة ربه تعالى الى قومه بني إسرائيل - وكان عز وجل قد أخبره أن قومه قد فتنوا، وأن السامري قد أضلهم بعبادة العجل - رجع غضبان على قومه حزينا لما فعلوا من بعده، قال بش ما عملتم من بعد ذهابي عنكم إلى مناجاة ربي، كان ينبغي لكم أن تصبروا لميعاد ربكم وأن تنتظروا حتى أرجع إليكم بكتاب من عنده دون أن تغيروا شيئا مما تركتكم عليه من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له.

واشتد الغضب على موسى فألقى الألواح التي كتبت فيها التوراة على الأرض، وهجم على أخيه هارون آخذا برأسه يجره إليه ظانا أنه قصر في كفهم عن عبادة العجل، فناداه أخوه هارون نداء استعطاف وتحنن: يا ابن أم - ناداه بصلة الأم وإن كان شقيقا له لأن صلة الأم أقوى عطفًا وإثارة للحنان - ناداه يعتذر إليه ويبتين له أنه لم يأل جهدا في نصحه عبدة



العجل بأن عبادتهم شرك وضلال، ولكنهم عصوه واستضعفوه وكادوا يقتلونه لشدة ما أنكر عليهم تلك العبادة ولكثرة ما حاول كفهم عنها، فهو بعد هذا لا يستحق أن يؤخذ برأسه هذا الأخذ الذي يُفرح الأعداء الذين أشركوا وعبدوا العجل، ولا يستحق أن يجعله شريكا لهم في العقوبة.

وسرعان ما سكت عن موسى الغضب وفاءت إليه السكينة، قال وقد تبين له أن أخاه هارون قد أعذر ولم يقصر: رب اغفر لي ما فعلت بأخي واغفر لأخي إن كان قد لان واستكان أو قصر في جهاد الظالمين الذين كانوا للعجل عابدين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

وقد أفاد استفهام (أعجلتم أمر ربكم) الإنكار والتوبيخ. والمراد ب (أمر ربكم) ما أمر الله تعالى به وهو أن ينتظروا موسى بعد ذهابه لمناجاة ربه حافظين لعهدده ولما وصاهم به، مخلصين العبادة لله حتى يعود إليهم بكتاب الله.

وقد أنكر عليهم موسى ووبخهم بمعنى لا ينبغي لكم أن تعجلوا عن أمر ربكم وأن لا تتموه، كان عليكم أن تنتظروا حتى أعود إليكم من مناجاة ربي، حافظين لعهدى ولما وصيتكم به من إخلاص العبادة لله. ولكنكم خالفتُموني من بعدى فعبدتم العجل من دون الله، فبئس ما فعلتم وقبحا لكم ونعسا!!

و(أمر) في قوله (أعجلتم أمر ربكم) يجوز أن يكون منصوبا على نزع الخافض والتقدير: أعجلتم عن أمر ربكم أي تركتموه غير تام ويجوز أن يكون مفعولا به على تضمين (عجل) معنى سبق أي أسبقتم أمر ربكم وذهبتُم عنه وخلفتموه وراء ظهوركم.

أما الفعل الرابع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عصى) وقد ورد في موضع واحد في الآيات السابقة التي ورد فيها استفهام (أفطال) وهو الفعل العشرون من هذه الأفعال المتسلسلة، وينبغي الرجوع إلى تلك الآيات وإلى ما تضمنته لمعرفة المناسبة التي ورد فيها استفهام (أفحصيت أمرى)، ولمعرفة الكلام الذي أحاط به كي يتضح معناه على وجه أتم وأوفى وصورة أوضح وأبين. وقد استوفى هذا الاستفهام حقه من البحث هناك بعد استفهام: (أفطال عليكم العهد).

أما الفعل الخامس والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عي) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

الآية (١٥) من سورة ق.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد قدر على أن يخلق الإنسان بدءاً وابتداءً، وإذا كان قد قدر على خلقه بدءاً وابتداءً فلن يعجز عن إعادة خلقه بعد فناءه.

إن المشركين لا ينكرون قدرة الله تعالى على الخلق الأول لأنه مشاهد محسوس تراه الأعين، ولكنهم في خلط وشك وليس من قدرته تعالى على إعادة خلقه مرة ثانية بعد أن يصبح ربما وتراباً، لأنه مخالف للعادة ولا تراه الأعين، ولو كانوا يعقلون لأدركوا أن القادر على البدء قادر على الإعادة. وقد أفاد هذا الاستفهام: (أفعيينا بالخلق الأول) الإنكار والتوبيخ والسخرية والتعجب.

الإنكار بمعنى لم نعي ولم نعجز عن خلق الإنسان ابتداءً وابتداءً فكيف نعجز عن إعادة خلقه مرة ثانية.

وأفاد توبيخ المشركين والسخرية بهم والتعجب منهم على استبعادهم وشكهم في قدرة الله تعالى على البعث وإحياء الناس من قبورهم مع أنهم يعترفون أنه هو الذي خلق الإنسان أول مرة.

والفاء في (أفعيينا بالخلق الأول) للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام، والتقدير عند أبي السعود في تفسيره: أقصدنا الخلق الأول فعيينا به، وهذا هو رأى الزمخشري ومن ذهب مذهبه.

أما سيبويه والجمهور فيرون أن الفاء عاطفة على ما قبل الهمزة، وأن لا تقدير في الكلام ولا حذف.

وقد سبق أن قلنا إن مذهب الزمخشري متكلف، وأن المعطوف عليه الذي يقدره بعد الهمزة لا يستدعيه معنى الكلام ولا يتطلبه السياق ولا يتأثر به معنى الهمزة.

أما الفعل السادس والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (افتري)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ  
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾  
أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾

الآيتان : (٧ - ٨) من سورة سبأ

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن كفار قريش كانوا يقولون بعضهم لبعض على سبيل التعجيب والاستهزاء: هل ندلكم على رجل (يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم ونكروه للتحقير والسخرية - قاتلهم الله) على رجل ينبئكم بالأعاجيب ويحدثكم بالفرائب، يقول إنكم ستبعثون أحياء بعد أن تموتوا وتمزق أجسامكم كل ممزق، سواء أمزقتها طيور السماء أم سباع الأرض، أم جرفتها السيول والأمطار، أم طوتها البراكين والزلازل، أم صارت رمادا تذروه الرياح، أم دفنت في جوف الأرض فصارت رفاتا وترابا. يالها أنباء عجيبة يأتي بها هذا الرجل!! أترأه يفتريها على الله كذبا عن عمد وسلامة عقل، أم تراه قد أصابه الجنون فهو يقول مايقول ولايدري مايقول.

لقد عرفتم أيها الكافرون أن محمدا صادق أمين وذو عقل راجح ورأي سديد، لايفتري على الله فيما يقول ولايكذب، وليس به جنون يأتي بالأباطيل وينطق بالترهات.

ولكنكم أيها المكذبون بالبعث واليوم الآخر قد ذهبتُم في الضلال مذهبا بعيدا، وأمعنتم في العناد والإعراض إمعانا شديدا، وسوف تلقون في ذلك اليوم الذي تنكرونه وتهزئون به العذاب الأليم، جهنم تصلونها وبئس المهاد.

وقد جاء هذا الاستفهام : ( افترى على الله كذبا أم به جنة ) جاء مفيدا للتردد والتشكك - سخرية واستهزاء - في أمرين : أيهما واقع؟ لقد تساءلوا ساخرين متظاهرين أنهم لا يدرون : أيفترى محمد البعث على الله كذبا عن عمد وسلامة عقل أم ينبيء به عن جنون فهو لا يدري مايقول؟

كان هذا التساؤل استهزاء وسخرية بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما يقوله من البعث بعد الموت، ولم يكن تساؤلا حقيقيا، فهم يعلمون أن محمدا أمين صادق لا يفترى، ويعرفون أنه راجح العقل ذو رأى سديد، ولكن العناد والجهل والتكبر أضلهم ضلالا بعيدا.

هذا، و( كذبا ) في قوله ( افترى على الله كذبا ) مفعول مطلق، و( أم ) في قوله ( أم به جنة ) متصلة عاطفة عطفت جملة ( به جنة ) على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وأصل ( أفترى ) أفترى بهمزتين : الأولى همزة الاستفهام المفتوحة، والثانية همزة الوصل المكسورة، فحذفت همزة الوصل المكسورة تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.

أما الفعل السابع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (قتل)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى (أقتلت نفسا زكية بغير نفس)، وقد ورد هذا الاستفهام ضمن آيات سبق ذكرها عند الحديث عن استفهام (أخرفتها لتغرق أهلها) وهو الفعل التاسع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام، فلا بد من الرجوع إلى تلك الآيات وإلى ما تضمنته تلك الآيات كي تعرف المناسبة التي ورد فيها هذا الاستفهام وتعرف الكلام الذي أحاط به، فيتضح معناه على وجه أوضح وأبين.

وقد سبق القول إن هذا الاستفهام (أقتلت نفسا زكية بغير نفس) يفيد الإنكار والتقييح والتعجب.

يفيد الإنكار على معنى ما كان ينبغي لك يا خضر أن تقتل نفسا طهرت من الذنوب وبرئت من الآثام، ولم ترتكب جريمة قتل فتؤخذ بها. ويفيد التقييح قتل هذه النفس الزكية التي لا تزال في رونق الصبا وزهرة الشباب، ولا يدور بخلد أحد أن تكون قد قتلت نفسا أخرى بغير حق فتقتل بها وتلقى من جراء ذلك هذا القصاص.

ويفيد التعجب : تعجب موسى من أن يقوم الخضر بهذا القتل الظالم، وهو الذي حرص موسى على صحبته ليعلمه مما علمه الله رشداً، فأين الرشد في قتل هذه النفس الزكية بغير نفس، لقد كان ذلك فيما بدا لموسى شيئاً نكراً لم يستطع عليه صبراً.

أما الفعل الثامن والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (أقر)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ  
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ  
بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي  
قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾  
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

الآيتان : ( ٨١ - ٨٢ ) من سورة آل عمران

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ العهد والميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه، وأخبر أنهم قبلوا ذلك العهد والميثاق وأقروا به وشهدوا عليه، وأن الله سبحانه وتعالى قد شهد عليهم بذلك الإقرار، وقد حكم الله سبحانه وتعالى بأن من رجع عن ذلك الإقرار كان من الفاسقين الخارجين على دين الله وطاعته.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري) أفاد التقرير والتسجيل عليهم وتحذيرهم.

أفاد التقرير بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل النفي وإما على سبيل الإيجاب، وقد أجاب النبيون بالإيجاب أي أقرنا واعترفنا بما أخذته علينا من العهد وهو أن نؤمن برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من الكتاب والحكمة وأن ننصرهم، وقد قبلنا عهدك وألزمنا أنفسنا ميثاقك.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التسجيل عليهم بهذا الإقرار وتشهيره ليكون أكد وأثبت وليكون تحذيرا لهم من الرجوع عنه.

أما الفعل التاسع والعشرون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (استكبر) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ  
مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ  
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ  
يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي ۗ اسْتَكْبَرْتَ ۗ أَمْ كُنتَ  
مِنَ الْعٰلِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ  
﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ  
الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فِعِزَّنَاكَ  
لِأَعْوَابِنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾  
قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ  
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

الآيات : ( ٧١ - ٨٥ ) من سورة ص

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر الملائكة أنه سيخلق بشرا من طين هو آدم عليه السلام، وأنه إذا سواه وعدله ونفع فيه من روحه فعليهم أن يقعوا له ساجدين، فلما سواه الله تعالى وخلقته في أحسن تقويم وأبدع صورة وأودع فيه الروح التي هي من أمره تعالى، وقع الملائكة له ساجدين تكريما وتعظيما، سجدوا كلهم أجمعون طائعين.



وكان إبليس - وهو من الجن - بين الملائكة حين أمروا بالسجود لآدم فلم يسجد كما سجد الملائكة، وفسق عن أمر ربه وأبى.

سأل الله تعالى إبليس وهو يعلم جوابه قبل أن يجيب، سأله على سبيل التقرير والتوبيخ والسخرية: مامنك يا إبليس أن تسجد لآدم الذي كرمته فخلقتُه بيدي؟! أكان عن غرور وتكبر أم أنك ترى نفسك أعلى وأفضل؟!!

أجاب إبليس أنه أعلى وأفضل، واحتج لهذا العلو والفضل بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، والنار في رأيه أعلى وأفضل، وما خلق من شيء أعلى وأفضل خلاق إلا يسجد لما خلق من شيء أدنى وأقل.

ولكن إبليس قد أخطأ وضل عن مزايا عظيمة قد اختص الله بها آدم، فالله سبحانه وتعالى قد خلقه بيديه، خلقه في أحسن تقويم وأبدع صورة، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وقد أمر الملائكة الذين هم خير من إبليس أن يسجدوا لآدم تكريماً وتعظيماً فأطاعوا، فكان عليه أن يطيع أمر خالقه دون مبالاة بما خيل إليه باطلاً أنه حق.

أبى إبليس أن يسجد وفسق عن أمر ربه وعصاه، فعاقبه الله على عصيانه وفسوقه، طرده من الجنة ذليلاً ملعوناً إلى يوم القيامة، وخرج إبليس من جنة الله ومن رحمته، عليه اللعنة والحزى في الدنيا، وفي الآخرة عذاب الأليم.

ولكن طريد الجنة والرحمة حز في نفسه أن يظل آدم ينعم بالجنة وأن يبوء هو بجهنم، فالحسد والحقد يأكلان قلبه، ونار النقمة حترى في كبده، فأضمر في نفسه الكيد والسوء وقال: رب أمهلني ولا تعجل عليّ بجهنم، وأحيني إلى يوم القيامة، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل وهو يعلم ما يريد، أجابه الله تعالى لحكمة لا يعلمها إلا الله، قال: (فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) سوف تظل حياً - يا إبليس - إلى يوم البعث المعلوم.

فرح إبليس بما طلب ونال، وقال بلهجة حادة ونبرة عالية جادة، وصوت الواثق بنفسه: أقسم يا إلهي بعزتك الغلبة وسلطانك الذي لا يقهر لأغوين أبناء آدم أجمعين، ولن ينجو من إغوائى وإفسادى إلا عبادك الذين أخلصوا العبادة لك، وقليل هم المخلصون.

ردّ الله سبحانه وتعالى عليه مبينا جزاءه وجزاء أبنائه وجزاء أبناء آدم السائرين على دربه، ردّ الله الذي هو الحق ولا يقول إلا الحق: لأملأن جهنم منك — يا إبليس ومن أبناء جنسك ومن تبعك من أبناء آدم أجمعين، جهنم تصلونها جميعا وبئس المهاد.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى يبتلى الله آدم وزوجه ويقول: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٣٥) البقرة.

ويوسوس لها إبليس أن يأكلا من الشجرة التي نهاها الله عنها فيأكلان منها ويصبحان من النادمين.

ويتوب الله — وهو التواب الرحيم — على آدم وزوجه بعد أن اعترفا بذنبيهما وطلبا المغفرة (وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٢٣) الأعراف.

ولكن الله جل وعلا بعد أن تاب عليها أخرجها من الجنة إلى الأرض (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣٨) البقرة.

وهكذا بدأت وسوسة إبليس، بدأت في الجنة ثم نزلت معه إلى الأرض تسعى بين بني آدم بالإغواء والإفساد والفتنة والكيد إلى يوم يبعثون، وبعد البعث يكون المبعوثون فريقين: فريق في جهنم وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (لأملأن جهنم منك ومن اتبعك منهم أجمعين) وفريق في الجنة وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أستكبرت أم كنت من العالين) أفاد

التقرير والتوبيخ والسخرية:

أفاد التقرير على معنى طلب الاعتراف بأحد الحديثين اللذين تضمنهما السؤال، وهما كونه متكبرا أم كونه من العالين. وقد أجاب إبليس اللعين بالثاني وهو كونه من العالين، فامتناعه عن السجود كان بسبب أنه أعلى من آدم — فإيا زعم — لأنه مخلوق من نار و آدم مخلوق من طين، والأعلى

لا يسجد للأدنى ويفيد هذا الاستفهام أيضا التوبيخ : توبيخ الله سبحانه  
وتعالى إبليس على عصيانه ما أمر الله به، فقد أبى أن يسجد لآدم الذي  
خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله في أبداع صورة وأحسن تقويم،  
وأمر الملائكة الذين هم أفضل من إبليس أن يسجدوا له تعظيما وتكريما.  
وفيد هذا الاستفهام السخرية بإبليس حيث رأى لنفسه منزلة هو دونها  
ولا يستحقها، وادعى لامتناعه عن السجود مسوغا سخيفا أحق متجاهلا  
الصفات العظيمة التي اختص الله بها آدم دونه.  
هذا، وأصل (أستكبرت) الواردة في هذا الاستفهام (أستكبرت)  
بهمزتين: الأولى همزة الاستفهام وهي مفتوحة، والثانية همزة الوصل وهي  
مكسورة، فحذفت همزة الوصل المكسورة تخفيفا واستغناء عنها بهمزة الاستفهام.  
(أم) في (أستكبرت أم كنت من العالين) متصلة وتسمى المعادلة،  
عطف الجملة التي بعدها على الجملة الواقعة بعد همزة الاستفهام.

### ٣٠ - كَذِب

أما الفعل الثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كذب) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ  
قَالَ أَكُذِّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ  
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾

الآيات : ( ٨٣ - ٨٥ ) من سورة النمل

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى سوف يحشر يوم القيامة من كل أمة من أمم الأرض الفوج الذي كان يكذب بآيات الله المنزلة على رسله الداعية إلى توحيده والإيمان باليوم الآخر، ثم تضم هذه الأفواج المكذبة الكثيرة والجموع الكافرة الغفيرة بعضها إلى بعض، ثم تساق سوقا عنيفا لأناة فيه ولا رافة إلى موقف السؤال والجواب ومناقشة الحساب، فيقول الله جلّ جلاله : هذا هو يوم الثواب والعقاب الذي جاء تكلم آياتي تدعوكم أن تؤمنوا به وبالله وحده وبالرسل الذين أنزلت عليه الآيات، وأقامت لكم الحجج وسأقت لكم الدلائل، ولكنكم كذبتم بآيات الله وأعرضتم عنها وتكبرتم دون أن تدبروها وتعقلوا ماجاء فيها، ودون أن تحيطوا علما بما اشتملت عليه، ماذا كنتم تعملون في دار الدنيا غير الكفر والتكذيب بالآيات، وغير السخرية والاستهزاء بما جاء فيها؟! اليوم يحق عليكم العذاب الذي أنذرتكم به آياتي وكنتم به تكذبون.

ولا يدرى المكذبون ماذا ينطقون، فليس لديهم اليوم مابه يعتذرون، فيساقون إلى نار جهنم يصلونها بما كفروا، وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وقد أفاد هذا الاستفهام : ( أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجيب.

أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي لكم أيها المكذبون أن تكذبوا بآيات الله بدءاً  
ولأول وهلة دون تفكر فيها وتدبير وإمعان نظر، ودون أن تحيطوا بها علماً.  
ويفيد توبيخ هؤلاء المكذبين على هذا التكذيب القائم على الجهل  
والغباء والعناد والمكابرة.

ويفيد التعجيب منهم لأنهم يكذبون بما لا يعقلون ويكذبون ولا يدرون  
ماذا يكذبون.

هذا، وجملة (ولم تحيطوا بها علماً) الواردة في هذا الاستفهام في محل  
نصب على الحال من ضمير المخاطبين في (أكذبتهم) وهو الفاعل، (علماً)  
تمييز محمول عن الفاعل، والأصل ولم يحط علمكم بها.

وأحب أن أتبه هنا على أن فعل (كذب) له استعمالان :

الاستعمال الأول : أن يتعدى بنفسه إلى مفعول به واحد كما في قوله  
تعالى : (كل كذب الرسل فحق وعيد) (١٤) سورة ق، (وإن كذبوك  
فقل لى عملى ولكم عملكم) (٤١) يونس (فكذبوهما فكانوا من  
المهلكين) (٤٨) المؤمنون). ويكون هذا الفعل حنثاً بمعنى نسبة المفعول به  
إلى الكذب أو القول له كذبت.

والاستعمال الثاني : أن يكون بمعنى جحد وأنكر وحينئذ يتعدى بالباء  
كما في قوله تعالى : (بل كذبوا بالساعة) (١١) الفرقان). (فقد كذبوا  
بالحق لما جاءهم) (٥) الأنعام) (أكذبتهم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً) (٨٤)  
النمل) (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) (٣٢) الأنعام).

أما الفعل الحادى والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كفر)، وقد ورد ذلك في موضعين :  
الموضع الأول في قوله تعالى :

❁ وَأَضْرِبْ

لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا  
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ❷٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ  
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ❷٣ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ  
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ❷٤  
وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ  
أَبَدًا ❷٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي  
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ❷٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ  
أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا  
❷٧ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ❷٨ وَلَوْلَا إِذْ  
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا  
أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ❷٩ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِمَّنْ  
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا  
زَلِقًا ❷٩ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ❷٩

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ، فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
 عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ  
 فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ۚ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ  
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۚ

الآيات : ( ٣٢ - ٤٤ ) من سورة الكهف .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله محمد  
 صلى الله عليه وسلم أن يضرب لأشراف المشركين من قريش مثل رجلين  
 كان أحدهما كافرا وكان الآخر مؤمنا .

وقد جعل الله تبارك وتعالى الرجل الكافر أنموذجا لهؤلاء المشركين من  
 قريش الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : لو أبعدت هؤلاء عن  
 نفسك لجالسناك وصحبناك، يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا  
 ونحوهم من فقراء المسلمين .

وهو أيضا أنموذج لكل من كان على شاكلة هؤلاء المشركين من قريش  
 اعتزازا بكثرة المال، واغترارا بكثرة العشيرة، وانتفاخا بعظم الجاه، وانتفاجا  
 بعلو المنزلة، وإعراضا عن توحيد الله، وكفرا باليوم الآخر .

وقد جعل الله تبارك وتعالى الرجل المؤمن أنموذجا لفقراء المسلمين زمن  
 الرسول صلى الله عليه وسلم، أولئك الذين كان أشرف المشركين من  
 قريش يحقرونهم ويأنفون الجلوس معهم، ويقولون إن ريح جبابهم تؤذينا .  
 وهو أيضا أنموذج لأولئك الذين لم تشغلهم عن الله وعن عبادة الله وابتغاء  
 رضاه زهرة الدنيا وزينتها، لم يشغلهم ذهب ولافضة ولاجاه ومناصب، ولا  
 هو ولعب ومتاع، باعوا دنياهم واشتروا أخراهم، وآثروا نعيم الله الذي  
 لايفنى على نعيم الدنيا الذي يزول .

أما الكافر منها فكان في سعة من العيش ورغد من متاع الدنيا، قد وهب الله تعالى من جناته التي أنبتا من فوق الأرض، ومن بساتينه التي أنشأها في هذه الدنيا، وهب له جنتين تفيضان بكروم العنب، وتكتنفان بيته من كل جانب، ويفيء إلى ظللهما وقدة الصيف، وتداعب أنامله قطوفا عليهما دائية، وتصافح وجهه نسيمات تهب منها رطبة كأنها برد الصباح. وزاده الله نعمة فجعل أشجار النخيل تحيط بتينك الجنتين فتزيدهما جمالا جديدا غير جمال الكروم، وثمر فريدا غير أثمار العنب.

كانت أشجار النخيل تسبح عالية في السماء، وكانت أشجار الكروم تسبح من فوق الأرض والعرش.

وأتم الله نعمته عليه فجعل بين الجنتين زروعا شتى تأتيه بأطيب الجنى، ونباتات مختلفة تعطيه أطيب الثمر.

وكانت الجنتان قد فجر الله خلاهما نهرا، كان يصخب ويزجر إذا ما تساقطت مياهه أو ضاقت به الطريق، وكان يهمس ويوسوس إذا ما استوى أمامه المجرى واتسع.

كانت مياهه تغمر وجه الأرض من تحت الزرع، وتنساب جداول فضة إلى جذوع الشجرة، فلا غرو بعد هذا أن تؤتى الجنتان والزرع أكلا طيبا وثمرا وافرا لم تظلم منه شيئا.

وذات صباح والشمس في راد الضحى، مائة تملأ آفاق السماء وأرجاء الأرض، أطل صاحب الجنتين من شرفة بيته الفخم الضخم، وألقى بعينه على أشجار النخيل وكروم العنب وأشتات الزروع، ثم طاف بنوافذ بيته ليرى منها الأولاد والأحفاد والخدم والحشم يملئون الأرض من حوله، فامتلات نفسه غبطة وسرورا، وفاض قلبه كبيرا وغرورا، وامتد به الخيال فجأة إلى صاحب له لا يملك مثل ما يملك، ولا يتقلب في النعيم الذي يتقلب فيه، ويدفعه حب الفخار والمباهاة إلى أن يمشي إليه، ثم لم يلبث أن عاد به ليريه ما هو فيه من نعيم مقيم، وشجر طيب الأكل وافر، وزرع كثير الجنى دائم، وأولاد يملئون أرجاء الجنتين كثرة عدد ونشاط وحياة.

ويقول الرجل الكافر لصاحبه المؤمن وهو يحاوره: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، ثم يدخل بصاحبه جنته كافرا بنعمة الله، مزهواً يملأ قلبه الكبر



والعُجْب والفخار، واثقا من بقاء هذا النعيم، مطمئنا إلى دوام هذا الشجر  
والزرع والحصاد ويقول:

انظر أمامك مدّ البصر، وانظر إلى يمينك وشمالك، هذا الذي تراه يملأ  
عينيك شجرا أخضر وثمرًا يانعا وجمالا يأخذ بالألباب، إنه لن يبید أبدا، سوف  
يظل مخضرا ناضرا يوتى أكلا طيبا وافرا، إنه لن يلحقه جذب ولن يصيبه  
جفاف.

أما الساعة التي تزعم يا صاحبي أنها ستقوم، وأن بعث الله الناس من  
قبورهم آت لا محالة، وأن محاسبة الله الناس على أعمالهم سوف تجيء دون  
ريب، وأن الخلق من بعد ذلك الحساب فريقان: فريق في الجنة وفريق  
في السعير، أما هذا الذي تدعيه يا صاحبي وتخاله فهيات هيات أن يكون.  
وعلى افتراض أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور، وأنى  
رددت إلى ربي، لأجدن خيرا من هذا منقلبا، لأجدن في الآخرة خيرا مما  
أجده اليوم.

أنا رجل جد وعمل، مجدود حيثما عشت، محظوظ أنى توجهت، لم يكن  
لأحد فضل عليّ في هاتين الجنتين، لقد حصلت عليها بجهدى ونشاطى  
وحذقى في العمل، وحسن قيامى عليها ليل نهار، وما حصلت عليه في الدنيا  
يجعلنى جديرا بأن أحصل على مثله أو خير منه في الآخرة، إنا كانت هناك  
آخرة.

قال له- صاحبه المؤمن وهو يحاوره : ما كان ينبغى لك أن تنكر البعث  
وقدرة الله على البعث، فالله الذي خلقك بدءا من تراب، ثم خلقك من منى  
يمنى، ثم سواك رجلا في أحسن تقويم، وعدلك إنسانا في أجمل صورة - قادر  
على أن يخلقك من بعد أن تموت وتحور ترابا. أنا يا صاحبي لست منك  
في هذا الرأي ولست منى، وأعوذ بالله من كفرك وشركك، فالله هو ربي  
ولارب لى سواه، عليه أتوكل وإليه أنيب.

كان ينبغى لك يا صاحبي إذ دخلت جنتك أن تشكر الله على ما أنعم  
به عليك، وأن تقول هذا من فضل ربي، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم  
يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن ترنى أنا أقل منك مالا وولدا، فأنا لا يهمني في هذه الحياة الدنيا مال ولا ولد، إنما الذي يهمني وأرجو الله أن ينعم به عليّ أن يوتيبنى في الآخرة خيرا من جنتك هذه التي تدعى أنها من صنع يديك وحذقك ونشاطك.

إنى لأسأل الله تعالى أن يعاجلك بالنقمة جزاء كفرك وجحودك، فيرسل على جنتيك وزروعك آفة من السماء تمحق الزروع والأشجار، وتذرهما أرضا بلقعا وصعيدا زلقا تزل من فوق أرضها الأقدام.

أما هذا النهر المتفجر فأسأل الله تعالى أن يجعل ماءه غورا في أعماق الأرض، لاتنال منه شيئا ولا تستطيع له طلبا.

واستجاب الله دعاء الرجل المؤمن، فأنزل من السماء قضاء ليس له دافع، ففضى على الجنتين وعلى ما فيها من زرع، ودمر كل شيء كان يملكه الرجل الكافر.

فتح الكافر عينيه في الصباح، فلم ير شجرا كان يتمتع برؤياه، ولا ثمرا كان مطعمه ومشتهاه، ولا زرعاً قد استغلظ واستوى على سوقه، ولا ما كان يدخره لنوائب الدهر وعاديات الزمان، لقد دمر الله — جلّت قدرته — كل شيء كان الرجل الكافر يقول إنه لن يبديد أبداً.

أخذ الرجل الكافر وقد رأى قضاء الله وقدره، أخذ يقلب كفيه ندما وحسرة على ما أنفق في جنتيه وكرومه ونخيله وزروعه من جهد ومال وسنين طوال، أخذ يقلب كفيه ويقول: ليتنى كنت على دين صاحبي ولم أشرك بربي أحداً، ليتنى لم أغتر بحذقي ومهارتي وحسن قيامي على العمل دون أن أتوكل على الله، ليتنى لم أعتمد على أولادي وأنصارى من دون الله، لقد تبين لى بعد فوات الفرصة أنه لاحول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا وجد الكافر نفسه وحيدا طريدا من رحمة الله، لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، أو أن يجد من كان يعتده ناصرا قادرا على نصره من دون الله.

الولاية والملك والسلطان لله الحق لا شريك له، له وحده الثواب في الدنيا والآخرة، وهو خير من يثيب، وهو خير عقبا في العاجل والآجل ولا يظلم ربك أحدا.

وقد أفاد هذا الاستفهام : ( أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ) أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب.  
أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لك أن تكفر بالله عز وجل، فتنكر البعث والحساب وهو الذي خلقك بدءا من تراب ثم خلقك من نطفة ثم سواك رجلا إنسانا في أحسن تقويم، فالقادر على الخلق بدءا قادر على الإعادة.

وما كان ينبغي لك أيضا أن تنكر أن هذه الجنة من عند الله، أنعم بها عليك، إن شاء أبقاها لك، وإن شاء نزعها منك، فقولك إنها لن تبعد أبدا قول من اغتر بنفسه وادعى أن مصائر أموره بيده، وجحد أن الله على كل شيء قدير.

كان ينبغي لك إذ دخلت جنتك أن تشكر الله عليها وتقول : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.  
ويفيد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هذا الكافر على إنكاره قدرة الله تعالى على أن يبعثه من بعد أن يموت ويكون ترابا، فقد أنكروا أن يفكر ويتدبر أن الذي خلقه بدءا من تراب ثم خلقه من نطفة ثم سواه رجلا إنسانا في أحسن تقويم قادر على خلقه من تراب مرة ثانية، فالقادر على البدء قادر على الإعادة.

ويفيد هذا الاستفهام أيضا التعجب من هذا الكافر كيف يجحد قدرة الله تعالى على إحيائه من بعد أن يموت ويصير ترابا، فلينظر ممت خلق، لقد خلقه الله بدءا من تراب ثم خلقه من مني يمني، ثم سواه رجلا في أحسن تقويم، أليس الله بقادر بعد ذلك على إحياء الموتى، بلى وهو الخلاق العليم.

هذا، و(سوى) فعل ماضٍ، فاذا كان بمعنى أنشأ وخلق فهو متعد إلى مفعول به واحد هو الكاف، و(رجلا) على هذا المعنى حال من الكاف، وإذا كان (سوى) بمعنى جعل فهو متعد إلى مفعولين، ويكون الكاف هو المفعول الأول، ويكون رجلا هو المفعول الثاني.

أما الموضع الثاني من مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي (كفر) فقد ورد في قوله تعالى :

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

الآيتان: (١٠٦ - ١٠٧) من سورة آل عمران.

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق وجوههم مبيضة مشرقة ناضرة من الفرح والسرور وهم المؤمنون، وفريق وجوههم مسودة مغبرة عليها قتره من الهم والحزن وهم الكافرون.

فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم يوم القيامة: أكفرتم بعد إيمانكم، يقال لهم ذلك إنكارا عليهم وتوبيخا لهم على كفرهم بعد الإيمان، وتعجبا من هذا الكفر، ثم يقال لهم بعد ذلك تهكما وسخرية وتسخييرا: ذوقوا العذاب جزاء كفركم الذي كفرتموه في دار الدنيا.

وأما الذين ابيضت وجوههم - وهم الذين آمنوا - فيدخلهم الله تعالى جنته رحمة منه وفضلا، فهم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أكفرتم بعد إيمانكم) أفاد الإنكار والتوبيخ

والتعجب.

أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لأولئك الكافرين أن يرتدوا عن إيمانهم  
بالله بعد أن شهدوا أن لا إله إلا الله يوم قال الله تعالى لهم : (ألسنت  
بربكم قالوا بلى شهدنا) (الأعراف) ١٧٢.

وأفاد توبيخ أولئك الكافرين على ارتدادهم عن الإيمان الذي أقروا به  
وشهدوا به على أنفسهم.

وأفاد التعجب من أولئك الكافرين كيف يكفرون بالله تعالى وقد  
شهدوا على أنفسهم أن لا إله إلا الله.

وجملة الاستفهام : (أكفرتم بعد إيمانكم) معمولة لقول مقدر يدل عليه  
المعنى، وتقدير الكلام : فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم : أكفرتم بعد  
إيمانكم.

## ٣٢ - كان

أما الفعل الثاني والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (كان)، وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا  
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا  
أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا  
لَسِحْرٌ مُّبِينٌ

الآية (٢) من سورة يونس

تتضمن هذه الآية الكريمة أن مشركى مكة قد عجبوا من أن يوحي الله سبحانه وتعالى إلى رجل منهم - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - يخوف الناس عذاب الله إن لم يفرده بالعبادة، ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم عند الله منزلة رفيعة، ولما أنذر الناس وبشر المؤمنين وتلا عليهم آيات الله قال الكافرون إن محمدا لساحر مبين، وإن مايتلوه علينا لسحر بين.

قالوا ذلك وهم على ثقة أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليس بساحر، فقد نشأ بينهم، وماخالط أحدا سواهم، وما أخذ سحرا عن أحد، وكان معروفا عندهم بالأمانة والصدق ورجاحة العقل، فقولهم إنه لساحر مبين، وإن القرآن الذي يتلوه عليهم لسحر بين، إنما هو عناد وتكبر وحقارة وجهالة.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أفاد الإنكار والتعجيب والتوبيخ:

أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي للمشركين من أهل مكة أن يعجبوا من أن يوحى الله إلى رجل منهم أن ينذر ويبشر، فليس في هذا ما يدعو إلى العجب، لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم السابقة لم يكونوا إلا بشرا منهم، وسنة الله تعالى أن يكون الرسول المصطفى بشرا من جنس المبعوث إليهم، (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (٩٥ الإسراء)، وإذا كان محمد فقيرا فليس ذلك بعيب، لأن الغنى والتقدم في الدنيا ليس من الأسباب التي يقوم عليها اصطفاء الله تعالى لرسوله (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) (٣٧ سبأ)، وأما أنه ينذر ويبشر فالبعث والعقاب على الشر والثواب على الخير هو الحكمة العظمى، وإنا العجب العجيب أن يحسب الناس أنهم خلقوا عبثا وأنهم إلى الله لا يرجعون.

وأفاد التعجب من تعجب مشركى مكة، لأنهم تعجبوا من أن يوحى الله تعالى إلى بشر منهم أن ينذر ويبشر، مع أن هذا الأمر ليس فيه ما يدعو إلى التعجب، لأن عادة الله تعالى في إرسال رسله أن يكونوا بشرا من جنس المبعوث إليهم.

ويفيد هذا الاستفهام التوبيخ : توبيخ كفار مكة على تعجبهم من أن يوحى الله تعالى إلى رجل منهم أن ينذر ويبشر، لأن ذلك الإيحاء ليس مدعاة إلى التعجب، فسنة الله في الذين خلوا من قبلهم أن يرسل إليهم رسلا بشرا من جنسهم.

وقد اختلفت آراء العلماء في معنى (قدم صدق) في قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم).

قال الطبرى في تفسيره : «ومعناه أن لهم أعمالا صالحة عند ربهم يستوجبون بها الثواب» أ.هـ.

وقال الزمخشري في تفسيره (قدم صدق عند (هم) أى سابقة وفضلا  
ومنزلة رفيعة، فإن قلت: لم سميت السابقة قدما؟ قلت: لما كان السعي  
والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا  
لأنها تعطى باليد...» أ.هـ.

وهناك آراء أخرى كثيرة ذكرها القرطبي وأبو حيان كل منهما في  
تفسيره.



### ٣٣ - ألقى

أما الفعل الثالث والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (ألقى) وقد ورد ذلك مرة واحدة في قوله تعالى:

كذبت ثمود بالنذر ﴿٢٣﴾ فقالوا أشرًا  
 مِنَّا وَوَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ  
 مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ  
 الْأَشْرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرَّسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾  
 وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ  
 فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ  
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ سَرْنَا الْقُرْءَانَ  
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾

الآيات : ( ٢٣ - ٣٢ ) من سورة القمر

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى قبيلة ثمود رجالاً منهم هو صالح عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ونبتذ عبادة الأصنام، وأنذرهم عذاب الله وعقابه إن لم يستجيبوا إلى ما يدعوههم إليه.

وتكررت إنذاراته لهم مرة بعد مرة، وصباح مساء، دون أن يصيبها فتور أو يعتريها توقف، ولكنهم كذبوه، وكذبوا بالنذر التي أنذرهم إياها، وقالوا منكبرين مستكبرين: أنت بشر مثلنا وواحد منا، ولست من الملائكة فيكون لك علينا فخر وشرف، فكيف نتبعك بعد هذا وتكون فينا سيّداً مسوداً، إن هذا لن يكون، وإنا إذن لفي ضلال وجنون.

كيف أنزل الوحي عليك من بيننا وفينا من هو أحق منك بذلك،  
فيينا من هو أعلى منك منزلة وأعز نفرا وأكثر مالا، إن ماتدعيه زور وهتان،  
وما أنت إلا كذاب معجب بنفسك مغرور متكبر بطر.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم: ستعلمون أيها المتكبرون المعاندون في  
غد قريب من الكذاب الأشر: أرسولكم صالح الذي سوف ينجيه الله  
وينجى من آمن معه، أم أنتم الذين سيحل بكم عذاب يخزيكم فتصبحون  
في دياركم جاثمين.

لقد طلبوا منك يا صالح آية تثبت صدق دعواك وأنت فيما بلغتهم صادق،  
طلبوا منك أن يخرج الله لهم ناقة من هضبة أشاروا إليها، فأرسلناها تأييدا  
لك وابتلاء لهم: أيؤمنون بالله ويصدقونك ويستجيبون إلى ماتدعوهم إليه،  
أم يكذبونك ويكفرون بالله وبارسالك.

أوحينا إليك بعد أن أخرجناها لهم ناقة تأكل وتشرب وتحلب، أوحينا  
إليك أن تراقبهم وأن تصبر على هذه المراقبة صبرا لايعتريه ضجر ولافتور،  
وأن تنظر ماذا يصنعون بناقة الله، ومايصنع الله بهم، وإياك أن تعجل حتى  
يأتى أمر الله.

نبئهم يا صالح أن هذه الناقة التي سألوها آية لك وأرسلنا فتنة لهم،  
نبئهم أن لها يوما خاصا بها تشرب فيه، وأن لهم يوما خاصا بهم، وأن البئر  
التي يستقون منها قسمة بينهم، كل منها له شرب يوم محتضر، نبئهم أن  
يذروا ناقة الله تأكل في أرض الله، وأن لايمسوها بسوء فيأخذهم عذاب  
اليم.

ولم يمض غير قليل حتى ضاقوا بالناقة وضاقوا بشرها، وضاقوا بهذه القسمة  
التي فرضت عليهم، وأخذوا يتهامون قتلها فيما بينهم ولايعلنون.

وتضيق صدور القوم آخر الأمر ولم يعد فيها مصطبر، ويجمعون أمرهم على  
قتلها والنجاء من شرها، ليخلص لهم ماء البئر كله، ويصبح لهم وحدهم  
المرعى والعشب والكلأ.

وتداولوا الأمر شورى بينهم: أيهم يكون قاتل هذى الناقة التي جلبت  
عليهم البلاء وقاسمتهم المرعى والماء.

وبعد لأي وعناء وحجاج وطول مرء ألقوا قتلها على عاتق رجل منهم يعرف بالجرأة والإقدام يسمى قدار بن سالف، وسرعان ما استل سيفه ومضى رابط الجأش يغذّ خطاه إلى الناقة، فعفرها وعاد إلى قومه يقطر من دمها سيفه.

ويستريح القوم وتهدأ ثائرتهم، ويسكت عنهم الغيظ والغضب. أما إنذارات رسوهم صالح عليه السلام فما كانت لتكرثهم أو تثير مخاوفهم، لأنهم لم يصدقوها، وكيف يصدقونها وهم يعتقدون أن من جاءهم بها كذاب أشرف؟!

لكن إنذار صالح لهم أن لا يمسوها بسوء لم يك كاذبا، وما هو بالهزل، إنه لقول صدق وفصل، وإن رسوهم صالحا كان الصادق الأمين. لقد آن لهؤلاء المجرمين أن يعلموا من الكذاب الأشرف، هاهو ذا عذاب الله العظيم ينزل بساحتهم، فساء صباح المنذرين، إن كانت إلا صيحة واحدة ليس لها ثانية، فإذا هم في ديارهم جاثمون.

أصبحوا كما تصبح حظائر الماشية عيدانا يابسة وأوراقا هشة، وفتاتا يتكسر من تحت الأقدام، بعد أن كانت أغصانا لدنة، وأفنانا غضة. لقد يسر الله هذا القرآن الكريم للناس، فأنزله بلسان عربي مبين، وشحنه بأنواع شتى من عظات وعبر، وصرّف فيه من كل مثل، ليذكر أولو الألباب، فأبى أكثر الناس إلا نفورا.

هذا، وقد أفاد هذا الاستفهام : ( أألقي الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشرف ) أفاد التعجب والإنكار: أفاد التعجب بمعنى كيف يلقي الوحي عليه دوننا وفينا من هو أحق منه؟!

وأفاد الإنكار بمعنى النفي أي لم يلق عليه الوحي، فادعأوه هذا كذب واختلاق.

أما الفعل الرابع والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (ليس)، وقد ورد ذلك في ستة عشر موضعا:

### الموضع الأول

الموضع الأول لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ  
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا  
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

﴿٣٠﴾

الآيتان : ( ٢٩ - ٣٠ ) من سورة الأنعام

تتضمن هاتان الآيتان الكرمتان أن الكفرة المشركين كانوا ينكرون أن الله يحيى خلقه بعد موتهم، ويحجدون أن الله يحاسب الناس في الدار الآخرة على أعمالهم، فهم لا يرجون ثوابا على إيمانهم بالله ورسوله، ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله.

ولو ترى يا محمد هؤلاء المنكرين للبعث الذين كانوا يقولون لا حياة إلا حياتنا الدنيا، ولن نبعث خلقا جديدا بعد الممات، لو ترى هؤلاء يوم القيامة حين يوقفون ليحكم الله فيهم حكمه ويقضى قضاءه لرأيت من سوء حالهم وصغارهم وذلتهم وخوفهم ما لم تره عين في الحياة الدنيا ولم يكن ليخطر على قلب بشر.

ويُسالون عن هذا البعث والنشور ونار جهنم : أليس هذا بالحق؟ فيقولون في حسرة وذلة وندم : بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم : ذوقوا اليوم عذاب جهنم التي كنتم بها تكذبون، ذوقوا جزاء كفركم بالله وتكذيبكم رسله وإنكاركم هذا البعث والنشور.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أليس هذا بالحق) جاء مفيدا للتوبيخ والتقرير والتهكم والإذلال والاحتقار: فقد وبخ الله عزّ وجلّ الكفرة المشركين على تكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث بعد الموت، وقولهم حين كانوا يسمعون حديث البعث والجزاء يوم القيامة : ما هذا إلا باطل.

وجاء مفيدا التقرير على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإثبات وإما على سبيل النفي، فاعترفوا على سبيل الإثبات وقالوا: بلى وربنا.

وجاء مفيدا الإذلال والاحتقار والتهكم بمعنى: اعترفوا أيها الكفرة المشركون بهذا الذي ترون رغم أنوفكم ورغم الكبرياء الكاذبة التي كنتم عليها في الدار الدنيا، وأين هاتيكم العزة بالإثم التي كانت تأخذكم وأنتم تكذبون دعوة الرسل؟! أين قولكم للرسل: مانحن بمعذبين، وقولكم لهم هازئين ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

وفي قوله تعالى: (بالحق) الباء حرف جر زائد، وقد جاءت هذه الزيادة لغرض بلاغي هو تأكيد معنى الجملة التي تضمنته على وجه الإثبات، و(الحق) مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو أيضا منصوب لأنه خبر ليس، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة العارضة لمناسبة حرف الجر الزائد.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾  
وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ  
عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

الآيتان : ( ٥٢ - ٥٣ ) من سورة الأنعام

روى أن بعض أشرف المشركين ورؤسائهم مروا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في جماعة من ضعفاء المسلمين، فقالوا له : أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، نحن نصير تبعاً لهؤلاء، اطردهم لعلنا نتبعك، فنزل قوله تعالى في الآيتين السابقتين.

وتتضمن الآية الأولى : لا تبعد - يا محمد - عن مجلسك هؤلاء الذين يدعون ربهم ليل نهار مخلصين له الدين يبتغون وجهه ولا يشركون به شيئاً، بل أجعلهم جلساءك وخلصاءك.

ليس لك أن تطردهم وما عليك من حسابهم من شيء، وليس عليهم من حسابك من شيء، إنك إن تطردهم وهذه هي حالك معهم وحالهم معك تكن ممن وضع الطرد والإقصاء بعيداً عن مواضعه.

وتتضمن الآية الثانية : ومثل ذلك الفتون الذي وقع في الأمم الخالية التي جاءها المرسلون فافترق ناسها بين مؤمن مهتد ومكذب ضال، فتتا هذه الأمة بعضها ببعض، فابتلينا رؤساء الكفار الأغنياء الأقوياء بضعفاء المؤمنين الفقراء، فأخذ أولئك الرؤساء يقولون عن الضعفاء ساخرين هازئين في

عجب: أهؤلاء يمين الله عليهم من بيننا بالهدى والرشد وهم ما هم فيه من الفقر والذلة، ونحن مانحن عليه من الغنى والقوة؟! فردّ الله — جلّ وعلا — على هؤلاء المستكبرين المستخفين بالمؤمنين بأنه تعالى أعلم بمن يشكر فيضع فيه هدايته ويجزيه على شكره، وأعلم بمن يكفر فلا يهديه، ويعاقبه على كفره.

وقد جاء هذا الاستفهام: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) جاء مفيدا للتقرير والرد على المشركين وتوبيخهم:  
أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن الله أعلم بالشاكرين.

وأفاد التوبيخ لرؤساء المشركين والرد على إنكارهم وتعجبهم وسخريتهم واستهزائهم بضعفاء المسلمين أن يمين الله عليهم بالإيمان، وتبخهم الله — جلّ وعلا — وردّ عليهم بأنه هو الذي هداهم للإيمان جزاء شكرهم لله على نعمائه، وإذا كان الله هو الهادى فلا موضع للإنكار والتعجب ولا مجال للاستهزاء والسخرية، لأن الله — عزّ وجلّ — يفعل ما يشاء ويختار، فيهدى من يشكره على نعمه ويجزيه جزاء حسنا، أما من كفر فيعذبه الله عذابا شديدا.

هذا، والباء في (بأعلم) الواردة في هذا الاستفهام زائدة لتوكيد معنى الجملة التي تضمنته على وجه الإثبات، و(أعلم) مجرور بهذه الباء الزائدة وعلامة جره فتحة ظاهرة على آخره نائبة عن الكسرة، وجر بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له من الصرف الوصفية ووزن الفعل، و(أعلم) منصوب أيضا وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها الفتحة العارضة الظاهرة على آخره لمناسبة حرف الجر الزائد وكون الاسم ممنوعا من الصرف.

### الموضع الثالث

الموضع الثالث لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ  
آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ  
الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾

الآيتان : ( ١٧٢ - ١٧٣ ) من سورة الأعراف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ ذرية بني آدم بعضهم من أصلاب بعض وأشهدهم على أنفسهم قائلا لهم : ألسنت بربكم. فاعترفوا وقالوا : أنت ربنا ومليكننا ولا إله إلا أنت. وقد أشهدهم الله تعالى هذا الإشهاد على أنفسهم لثلاثا يقولوا يوم القيامة معتذرين عن شركهم في الدنيا : إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين، أولثلاثا يقولوا إنا كنا تبعا لأبائنا في هذا الشرك فكيف تعذبنا والذنب إنما هو ذنب من طرقة لنا وأضلنا عن سواء السبيل.

هذا، وقال القرطبي في تفسيره : « وقوله تعالى (واذ أخذ ربك) ... وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها » ثم ذكر آراء العلماء في ذلك.

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط : « وأحسن ما تكلم به على هذه الآية ما فسره به الزمخشري » أ.هـ.

والذي قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف : « وقوله (ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ، ومعنى ذلك أنه نصب لهم



الأدلة على ربوبيته ووجدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقرهم وقال لهم: أأست بربكم وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقرنا بوجدانيتك.

وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي كلام العرب، ونظيره قوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله تعالى: (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين).. ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى) اهـ.

وقد أخذ برأي الزمخشري هذا أبو السعود في تفسيره وابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ورجحه البيضاوي في تفسيره.

وذهب فريق من العلماء إلى أن الآية على ظاهرها وأنه قد وقع الأخذ والقول والسؤال والجواب على سبيل الحقيقة وليس من باب التمثيل، فقد قال ابن المنير في كتابه: «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال المطبوع على هامش تفسير الكشاف» قوله تعالى: (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) الآية. قال الزمخشري: «هذا من باب التمثيل والتخييل الخ».

فقال ابن المنير: «اطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به، وأما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فردود.. وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة، ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر مالم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك آقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا، وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك» اهـ.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أأست بربكم) التقرير والإلزام والتسجيل عليهم.

أفاد التقرير على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإيجاب والإثبات وإما على سبيل السلب والنفي، وقد اعترفوا بالإيجاب والإثبات وقالوا: بلى شهدنا، أي أنت ربنا لا شريك لك ولا إله إلا أنت وقد شهدنا بذلك.

ويفيد الإلزام على معنى إلزامهم أن يعملوا في الدنيا ما اعترفوا به.  
 ويفيد التسجيل عليهم بذلك، فلا يحق لهم يوم القيامة أن يقولوا إن كنا  
 غافلين عن هذه الربوبية والوحدانية، أو إنا قد وجدنا آباءنا من قبل يعبدون  
 الأصنام ويشركون بالله فاتبعناهم وسرنا على آثارهم فهم الذين أضلونا  
 السبيل.

هذا، وحذفت ياء (ليس) في (ألست) لالتقاء الساكنين: ياء ليس  
 وسينها.

### الموضع الرابع والخامس

الموضع الرابع والخامس لاستفهام (أليس) وردا في قوله تعالى:

وَلَمَّا

جَاءَتْ رُسُلَنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا

يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ

﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ

﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّائِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا

يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِهِمْ بِقَطْعِ

مَنْ أَلَيْلٍ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا

مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا  
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
 وَمَاهِي مِّنَ الظَّالِمِينَ يَبْعِدُ ﴿٨٣﴾

الآيات : ( ٧٧ - ٨٣ ) من سورة هود

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

ولما جاءت ملائكة الله عز وجل النبي لوطا ظنهم أضيافا يريدون النزول عليه في بيته، وما كان قد عرف أنهم ملائكة مرسلون إليه من عند الله تعالى، فسأه مجيئهم، واستولى الغم والهلم على نفسه، فقد رآهم على حسن رائع وجمال بارع، وكان قومه قد اعتادوا تلك العادة السيئة المنكرة القذرة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء، فخاف عليهم من قومه وشعر بأن الدفاع عن هؤلاء الأضياف وحمائهم ستكون شاقة قاسية عسيرة، فقال هذا يوم عظيم البلاء عسير.

وسرعان ما علم قوم لوط بأضيافه وأنهم على وافر حسن وعظيم جمال، فجاءوا مسرعين إلى بيته يسوقهم السوء والشر، وتهزم الشهوة الخسيسة القذرة، وأخذوا يراودونه عن ضيفه، وحاول لوط في بداية الأمر أن يخاطبهم بالحسنى وأن يقنعهم بإحسان، فقال لهم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فانكحوهن - بالحق، واتقوا الله في ضيفي ولا تخزوني بهذه الفاحشة التي تبتغون. وحين لم تظهر عليهم معالم الاقتناع والاستجابة صاح من غيظ وغضب: ويحكم! أليس منكم رجل رشيد يعرف الحق وينهى عن المنكر ويحول بينكم وبين هذا الفسوق الذي تطلبون.

ولكن قوم لوط قد اعتادوا هذه الفاحشة السيئة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وقد شتوا عليها وشابوا، ورأوا لوطا ضعيفا أمام قوتهم وكثرتهم لا يستطيع لهم دفعا ولا منعا، ثم إن امرأة لوط عجوز السوء التي كانت ضالعة مع قومها كانت قد أخبرتهم أنه قد تضيف لوطا قوم مارأت أناسا أحسن

منهم وجوها ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا، فهيات هيات بعد هذا كله أن يستجيب قوم لوط إلى دعوة لوط وإلى وعظه ونصحه، قالوا له لقد علمت مالنا في بناتك من حق، فهن لسن لنا أزواجا، وإنك يالوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي تنانا عنه هو ما نريد.

وحين رأى لوط من قومه أنهم يأبون إلا المضي لما جاءوا له من السيئات، ويثس من أن يستجيبوا إلى شيء مما عرض عليهم، وأنه لم يعد له قبل بهم، حزن واستكان وأخذ يشكو ويقول: لو أن لى أنصارا ينصرون وأعوانا يعينون أو ملاذا من عشيرة تمنع وقبيلة تحمى لملت بينكم وبين ماجئتم له من هؤلاء الأضياف.

ولما رأى الملائكة المرسلون الأضياف ما أصاب لوطا من الضعف والأسى والاستكانة والحيرة، ورأوا قومه يدفعون باب داره يريدون أن يلجوه عنوة واغتصابا، ورأوا لوطا قد أوشك أن يستسلم — أفصحوا عن أمرهم وقالوا: يالوط إننا رسل ربك إليك لإهلاك قومك، وإنهم لن يصلوا إليك ولا إلينا بمكروه.

وفرح لوط بنصر الله وأحسّ بالنشاط والقوة والعزة، ونظر حوله فرأى قومه عميانا يتخبطون على الطرق إلى بيوتهم يطلبون النجاة، ومدادوا أنهم سوف يلاقون مع الصباح في هذه البيوت الموت، الموت الذي لم يكن ليخطر لهم على بال.

ثم يلتفت الملائكة المرسلون إلى لوط ويقولون له: عليك أن تخرج أنت وأهلك من بين قومك، وأن تترك قومك وراء ظهرك، أخرج من ليلتك هذه قبل أن يطلع الصباح، ولا تأخذ معك امرأتك، دعها تتخلف مع قومها فهي منهم، وسوف ينزل بها من العذاب ما ينزل بهم، وإياك أن تلتفت أنت أو أحد من أهلك إلى وراء، أسرع في الخروج، أسرع في الخروج، إن موعد هلاكهم الصبح، وإن الصبح لقريب.

ويخرج لوط وأهله إلا امرأته قبل أن يطلع الصبح، ويجيء الصبح ويجيء معه الهلاك والدمار والعذاب، فيدمر الله جلت قدرته قري قوم لوط، ويجعل عاليها سافلها، ويمطر عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك فلا ينجو منهم أحد.

وماتلك القرى التي دمرها الله تعالى بمكان بعيد عن مشركى قريش،  
إنهم ليرون عليها غدوا ورواحا في أسفارهم إلى الشام، فليكن لهم فيها  
عظات وعبر.

هذا، وقد جاء استفهام : (أليس منكم رجل رشيد) جاء مفيدا  
الإنكار والتوبيخ: فقد أنكر لوط على قومه تركهم الرشد، ووبخهم على  
تمالئهم على الفحشاء والمنكر وأن لا يكون منهم على كثرتهم وسوء مطلبهم  
رجل عاقل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقف إلى جانبه ينصر الحق  
ويعين على الباطل ويدفع الشر والسوء والفحشاء عن بيته.

وجاء استفهام : (أليس الصبح بقريب) جاء مفيدا التقرير والطمأننة:  
أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات  
والتوكيد أي إن الصبح لقريب.

وأفاد الطمأننة على معنى ليطمئن قلبك يالوط وليهدأ روعه. فقد استبطأ  
لوط موعد العذاب حين قال له الملائكة إن موعدهم الصبح، فأجابوه: أليس  
الصبح لقريب، إنه لقريب يالوط، فاطمئن، وليهدأ قلبك ويسكن.

وقد ذهب الألوسي في تفسيره إلى أن استفهام (أليس منكم رجل  
رشيد) يفيد التعجب: التعجب أن لا يكون فيهم رجل رشيد على كثرتهم.

### الموضع السادس

الموضع السادس لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ  
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ  
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ لَّيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ



الآية (١٠) من سورة العنكبوت

تتضمن هذه الآية الكريمة :

ومن الناس طائفة تقول آمنا بالله وحده لا شريك له، حتى إذا آذاهم المشركون من جراء إيمانهم هذا رجعوا مرتدين إلى الكفر غير صابرين على الأذى مطيعين المشركين فيما يطلبونه منهم كما يطيع الله من يخاف عذابه. وإذا جاء نصر من ربك للمؤمنين رأيت هؤلاء المرتدين عن إيمانهم يقولون للمؤمنين لقد كنا أيها المؤمنون معكم في الإيمان ولكننا أكرهنا فقلنا ما قلنا فأشركونا في الغنيمة.

إن الله سبحانه وتعالى أعلم من كل أحد بما في نفسه، وهو أعلم منكم بما في صدوركم، فلا تظنوا أنكم تستطيعون أن تخدعوا الله عما في تلك الصدور بقولكم للمؤمنين إنا كنا معكم. ألا إنكم في هذا لكاذبون. وقد جاء هذا الاستفهام: (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) جاء مفيدا للتقرير والتكذيب:

أفاد التقرير: على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أي إن الله لأعلم بما في صدور العالمين. وأفاد التكذيب: على معنى تكذيب أولئك المنافقين في قولهم للمؤمنين إنا كنا معكم شركاء في الإيمان، يريدون بذلك أن يكونوا شركاء لهم في الغنائم التي يغنمونها حين ينصرون على الأعداء، فبين الله سبحانه وتعالى ما كانوا يخفونه في صدورهم من كفر، وأنهم في دعواهم الإيمان لكاذبون.

## الموضع السابع

الموضع السابع لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

الآية: (٦٨) من سورة العنكبوت

تتضمن هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب فنسب إليه الولد والصاحبة والشريك وحرّم وحلّل على غير ما أمر الله تعالى، أو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن المنزل عليه من ربه تكديبا بعيدا عن التأمل والتدبر والتفكير.

وتتضمن أيضا الوعيد لهؤلاء المفترين على الله الكذب وللمكذبين الرسول وبالقرآن، الوعيد لهم بأن لهم يوم القيامة نار جهنم مثوى لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يكفرون.

وقد جاء استفهام (أليس في جهنم مثوى للكافرين) جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير : على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أى إن في جهنم لمثوى للكافرين.

وأفاد التهديد والوعيد لمن يشرك بالله تعالى ولن يكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن المنزل عليه من ربه، تهديد ووعيد بأنهم سوف يكون لهم في نار جهنم مستقر دائم لا يبرحونه خالدين فيه أبدا يوم يقوم الحساب.

## الموضع الثامن

الموضع الثامن لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

الآية ( ٨١ ) من سورة يس

تتضمن هذه الآية الكريمة الردّ على الكافرين الذين يستبعدون عودة الحياة الى الأموات بعد أن يصيروا في الأرض عظاما ورفاتا، ردّ جلّ جلاله عليهم بأن الله الذي خلق السموات والأرض - وخلّفها أعظم من خلق الناس - قادر على أن يخلق مثلهم، فكيف يستبعدون مع هذا أن يبعثهم الله أحياء مرة ثانية وهو الخلاق الذي كثرت مخلوقاته العليم بكل ما خلق ويخلق لا تخفى عليه خافية من أحوال خلقه.

وقد أفاد استفهام هذه الآية الكريمة التقرير والتوبيخ:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أي إن الله الذي خلق السموات والأرض لقادر على أن يخلق مثلهم، وقد أجاب الله سبحانه وتعالى ب (بلى) تأكيدا لما تضمنه السؤال وللدلالة على أن أي مخاطب لو سئل هذا السؤال لما استطاع الإنكار ولما وسعه إلا أن يجيب ب (بلى) أي إن الله قادر على أن يخلق مثلهم.

وأفاد هذا الاستفهام توبيخهم على استبعادهم إحياء الله الموتى بعد أن تصبح أجسامهم عظاما وترابا وقد قامت الحجج الظاهرة المحسوسة على قدرة الله عز وجل على ذلك، ودلت الآيات الكثيرة المختلفة على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق ما هو أعظم.

## الموضع التاسع

الموضع التاسع لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ

إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ الْبَيِّنَاتُ فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾

الآية (٣٢) من سورة الزمر



تتضمن هذه الآية الكريمة أنه لا أحد في المكذبين أظلم ممن افترى على الله الكذب فنسب إليه الصاحبة والشريك وحرّم وحلّل ما لم يأذن به الله، وكذب بالقرآن الكريم حين سماعه دون أن يفكر فيه ويتأمل. وتتضمن أيضا الوعيد لهؤلاء المفترين على الله الكذب وللمكذبين بالقرآن بأن لهم نار جهنم مثوى لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يكفرون.

وقد جاء استفهام هذه الآية الكريمة (أليس في جهنم مثوى للكافرين) جاء مفيدا التقرير والتهديد والوعيد، وقد سبق بيان هذا وإيضاحه في استفهام الموضع السابع.

### الموضع العاشر والحادي عشر

الموضع العاشر والحادي عشر لاستفهام (أليس) وردا في قوله تعالى:

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ  
عَبْدَهُ وَيَخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ  
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ  
أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

الآيتان : ( ٣٦ - ٣٧ ) من سورة الزمر

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى يكفى عبده محمدا شر أعدائه وينصره عليهم.

كيف يخوفونك بأصنامهم التي يعبدونها من دون الله أن تصيبك بسوء من جراء براءتك منها وعيبك إياها، وهي لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرا ولا نفعا؟! هم قوم لا يعقلون!!

ومن يضلّه الله عز وجل عن طريق الهدى والرشاد فليس له هاد يهديه إلى الحق والرشد، ومن يهده الله إلى الإيمان والعمل بكتابه فإله من مضل يزيغه عن الحق ويرده إلى الكفر. والله سبحانه وتعالى عزيز منيع غالب لا يعجزه شيء، ذو انتقام من أعدائه المشركين به الكافرين بوحدايته. وقد جاء استفهام (أليس الله بكاف عبده) مفيدا للتقرير والتوبيخ والتهكم.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد. أي إن الله لكاف عبده.

وأفاد التوبيخ والتهكم : توبيخ المشركين والتهكم بهم أن خوفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم أن تخبله أو تصيبه بسوء. ماهذه الأصنام التي تخوفون بها رسول الله الذي كفاه الله وعصمه من كل بلاء وسوء؟! إنكم لبله أغبياء لاتعقلون إذ تخوفونه بأصنام لاتملك لنفسها ولا لأنفسكم ضرا ولا نفعا!!

وأفاد استفهام (أليس الله بعزيز ذى انتقام) التقرير والوعيد:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتأكيد أي إن الله لعزيز ذو انتقام. وأفاد التهديد والوعيد للمشركين بأن الله عزيز منيع غالب لا يعجزه شيء ولا يغلبه أحد، ينتقم من أعدائه المشركين الكافرين دون أن يجدوا لهم من دون الله واقية.

هذا، وفي قوله تعالى (بكاف عبده) الباء حرف جر زائد للتوكيد، (كاف) مجرور بالباء وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره وهو الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين: (الساكن الأول: الياء نفسها بعد حذف الكسرة عنها للشقل، والساكن الثاني: التنوين). و(كاف) المجرور بالباء منصوب لأنه خبر ليس وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره وهو الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. (وعبده) مفعول به لاسم الفاعل (كاف) ومضاف إلى الضمير بعده.

## الموضع الثاني عشر

الموضع الثاني عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى:

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

الآية (٦٠) من سورة الزمر

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين كذبوا على الله تعالى فزعموا أن له شريكا وأن له ولدا، وشرعوا لأنفسهم من الحلال والحرام ما لم يأذن به الله، تراهم يوم القيامة قد اسودّت وجوههم بما نالهم من الشدة والخوف وما أحاط بهم من غضب الله ونقمته وعذابه.

وفي نار جهنم مستقر لهؤلاء ومقام، وإنما لمثوى لكل متكبر عن طاعة الله يمتنع عن توحيده ولا ينتهي إلى طاعته فيما أمره به وفيما نهاه عنه. وقد جاء هذا الاستفهام : (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) جاء مفيدا للتقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن في جهنم لمثوى للمتكبرين. وأفاد التهديد والوعيد لمن تكبروا عن طاعة الله تعالى والإيمان به وحده، والتزام شريعته، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتخذوا الأصنام آلهة عبدوها من دون الله، ولم يأتَمروا بما أمر به الله، ولم ينتهوا عما نهى عنه، التهديد والوعيد لهؤلاء المتكبرين بأن لهم يوم القيامة في نار جهنم مثوى ومقاما جزاء تكبرهم هذا، وأنهم لن يجدوا عنها حولا.

## الموضع الثالث عشر

الموضع الثالث عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ  
قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن  
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ  
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾

الآيتان : ( ٥١ - ٥٢ ) من سورة الزخرف

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن فرعون نادى في عطاء قومه القبط وهم مجتمعون عنده في قصره، قال مفتخرا أليس لي هذا الملك العظيم ملك مصر الواسعة الممتدة الأطراف، وهذه الأنهار تجري من تحت قصرى وبين يدي، فالأشجار مخضرة، والأزهار يانعة، والجنان تملأ العيون جمالا وروعة. ثم إن لكم في هذه الأنهار لنعمة، فهي تسقى الزرع والضرع، وتنبث الخصب والخير، فالتناس في سعة من الرزق ورفاه من العيش، أفلا ترون كل هذا وتبصرون؟!

أين موسى من هذا كله؟! إنه ذليل ضعيف الحال مهين، عي اللسان لا يكاد يفصح ويبين.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) أفاد التقرير والفخر:

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد، أي إن لي ملك مصر الواسعة وهذه الأنهار تجري من تحتي.

وأفاد الفخر : فقد فخر فرعون أمام عطاء قومه القبط على موسى عليه السلام بأنه ملك مصر الواسعة الممتدة الأطراف وأن له قصرا منيفا ضخما تجرى من تحته الأنهار.

والواو في (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) واو الحال و(هذه) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، (الأنهار) نعت له أو عطف بيان، وجملة (تجرى من تحتى) في محل رفع خبر المبتدأ، والواو وما دخلت عليه في محل نصب حال من ياء المتكلم في (لي).

ويحتمل أن تكون الواو في (وهذه الأنهار) واو العطف، ويكون (هذه) في محل رفع معطوفا على اسم ليس وهو (ملك مصر) والأنهار نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان، وجملة (تجرى من تحتى) في محل نصب حال من اسم الإشارة.

### الموضع الرابع عشر

الموضع الرابع عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ  
 أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا  
 كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

الآية (٣٤) من سورة الأحقاف

تتضمن هذه الآية الكريمة :  
 ويعرض الذين كفروا بالبعث والثواب والعقاب يوم القيامة على نار جهنم ويقال لهم : أليس هذا الذي تشاهدونه بالحق، فيجيب هؤلاء الكفرة،

بلى، والله ربنا إنه لحق، فيقال لهم توبيخا لهم وسخرية بهم : ذوقوا عذاب جهنم بما كنتم به تكذبون وتكفرون!!

وجاء هذا الاستفهام : (أليس هذا بالحق) مفيدا التهكم بالكافرين المكذبين بالبعث والمعاد، ومفيدا التوبيخ لهم على استهزائهم في حياتهم الدنيا بوعد الله ووعيده وقولهم منكرين : (وما نحن بمعذبين) وسؤالهم مستهزئين : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين).

وجاء هذا الاستفهام مفيدا أيضا التقرير : بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال إما على سبيل الإثبات وإما على سبيل النفي، وقد أجابوا بالإثبات المؤكد فقالوا بلى والله ربنا إنه لحق.

## الموضع الخامس عشر

الموضع الخامس عشر لاستفهام (أليس) ورد في قوله تعالى :

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾  
الْوَيْكَ نُطْفَعُ مِنْ مَنِيِّ يَمِينِي ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ  
الرِّجَالَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

الآيات : (٣٦ - ٤٠) من سورة القيامة

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أيحسب الإنسان أن يترك مهملا لا يكلف شيئا ولا يحاسب بشيء؟! لا ينبغي له أن يظن هذا الظن أو يدور بخلده هذا الحساب. والإنسان الذي ينكر الحياة الأخرى ويجد قدرة الله عز وجل على بعثه بعد موته ينبغي له - إذا أراد الحق والرشد - أن ينظر مم خلق، لقد خلقه

الله تعالى من قطرة منّي تمنى في الرحم، ثم جعله دما بعد النطفة، ثم خلقه خلقا كاملا فسوّاه بشرا سويا، ثم جعل منه البنين والبنات، أفيكون من خلق هذا الخلق البديع أول مرة عاجزا عن أن يخلقه مرة أخرى؟! لا يكون عاجزا إلا عند ذوى العقول السقيمة والأفهام العقيمة وأهل الشرك والشر والعناد. أما ذوو العقول السليمة والأفهام المستقيمة وأهل الفكر والنظر والتدبر فهم على يقين بأن الله عز وجل قادر على أن يحيى الموتى مرة أخرى كما بدأ خلقهم أول مرة.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)

جاء مفيدا التقرير والتوبيخ.

أفاد التقرير على معنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتوكيد، أي إن الله الذي خلق الإنسان من نطفة منى يحيى لقادر على أن يحيى الموتى.

وأفاد التوبيخ : توبيخ الكافرين على إنكارهم البعث والحياة الأخرى وجحدهم قدرة الله عز وجل على إعادة خلقهم خلقا جديدا بعد موتهم، مع قيام الدليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك، فلقد خلقهم أول مرة والقادر على الخلق بدءا قادر على الإعادة.

## الموضع السادس عشر

الموضع السادس عشر لاستفهام ( أليس ) ورد في قوله تعالى :

وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾  
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ  
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾  
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَدِينَ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

الآيات : ( ١ - ٨ ) من سورة التين

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

يقسم الله عز وجل بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر وبالجلب  
المسمى طور سنين وبمكة البلد الآمن الأمين، يقسم الله عز وجل بهذه الأشياء  
الأربعة على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجل قوام، ثم رده من حال  
التقويم الأحسن والشباب الناضر والأيد الشديد والجلد الظافر إلى اسفل  
سافلين إلى حال الهرم والضعف والذلة وقلة الحيلة والخرف.

لكن الذين آمنوا وكانوا يعملون الصالحات لا ينقطع أجرهم حين يصبحون  
عاجزين عن عمل الخير وصنع المعروف من شيخوخة تفشاهم وهم يستبد

٠٣٢

أما أنت أيها الإنسان الذي ترى قدرة الله عز وجل على تصريفه لأحوال  
الإنسان: جعل من قوته ضعفا، ومن شبابه هرما، ومن اعتدال القوام تقوس  
الظهر، ومن حسن الصورة أخاديد الشيخوخة وغبار السنين، أما أنت أيها



الإنسان الذي عاينت عينك هذه القدرة الإلهية المبدعة فا الذي يدعوك بعد هذا إلى أن تكذب بالبعث والجزاء!!؟

إن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أرذل العمر لأحكم الحاكمين صنعا وتدبيراً في كل ما خلق، وهو القادر على أن يبعثك بعد موتك خلقاً جديداً ليحكم عليك بعذاب جهنم جزاء هذا الكفر الذي أنت فيه، فإنه أحكم الحاكمين.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أليس الله بأحكم الحاكمين) جاء مفيداً التقرير والتهديد والوعيد.

أفاد التقرير بمعنى الإخبار بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والتأكيد، أي إنه عز وجل لأحكم الحاكمين.

وأفاد التهديد والوعيد للمكذبين بالبعث والجزاء بأنه جلّ وعلا سوف يذيقهم من عذاب غليظ في جهنم جزاء كفرهم هذا، إنه أحكم الحاكمين يقضى بين الناس يوم القيامة بما هو أهله وبما هم أهله، ولا يظلم ربك أحداً. بهذا ينتهي حديثي عن الآيات التي وردت فيها همزة الاستفهام الداخلة

على (ليس) وعن معاني همزة استفهام (أليس) في تلك الآيات، ولكنني أود في ختام هذا الحديث أن أنبه على أشياء :

أحدها : أن أسلوب (أليس) في آياتها السابقة جاء على صورتين : جاء في الصورة الأولى وقد تقدم فيها اسمها على خبرها - وهذا هو الأصل - وقد التزم في الخبر جره بالباء الزائدة للتوكيد.

وجاء في الصورة الثانية وقد تقدم فيها الخبر على الاسم، وقد التزم في الخبر أن يكون جاراً ومجروراً.

وتستطيع أن ترى الصورة الأولى في الآيات الكريمة التالية :

- ١ - (أليس هذا بالحق) (٣٠) من سورة الأنعام.
- ٢ - (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الآية (٥٣) من سورة الأنعام.
- ٣ - (ألمست بربكم) الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.
- ٤ - (أليس الصبح بقريب) الآية (٨١) من سورة هود.
- ٥ - (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) الآية (١٠) من سورة العنكبوت.

٦ - (أليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) الآية (٨) يس.

٧ - (أليس الله بكاف عبده) الآية (٣٦) من سورة الزمر.

٨ - (أليس الله بعزيز ذي انتقام) الآية (٣٧) من سورة الزمر.

٩ - (أليس هذا بالحق) الآية (٣٤) من سورة الأحقاف.

١٠ - (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) الآية (٤٠) من

سورة القيامة.

١١ - (أليس الله بأحكم الحاكمين) الآية (٨) من سورة التين.

وتستطيع أن ترى الصورة الثانية في الآيات الكريمة التالية:

١ - (أليس منكم رجل رشيد) الآية (٧٨) من سورة هود.

٢ - (أليس في جهنم مثوى للكافرين) الآية (٦٨) من سورة

العنكبوت.

٣ - (أليس في جهنم مثوى للكافرين) الآية (٣٢) من سورة الزمر.

٤ - (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الآية (٦٠) من سورة

الزمر.

٥ - (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) الآية

(٥١) من سورة الزخرف.

ثانيها : كانت زيادة الباء في خبر ليس في الصورة الأولى لفرض

بلاغي هو تأكيد نسبة المسند (وهو خبر ليس) إلى المسند إليه (وهو اسمها)

على وجه الإثبات وليس على وجه النفي، وكان هناك ما يقتضيه هذا

التأكيد، فقد تضمنت معظم آيات هذه الصورة إثبات صفة من صفات الله

تعالى له عز وجل كما في (ألمست بربكم). (أليس ذلك بقادر على أن

يحيى الموتى). (أليس الله بكاف عبده). (أليس الله بأحكم

الحاكمين). فبجاء تأكيد نسبة هذه الصفات لله سبحانه وتعالى اهتماما

بشأنها، ولأن هناك من ينكرونها.

وفي (أليس هذا بالحق) جاء التأكيد بالباء لأن المخاطبين كانوا

ينكرون مضمون هذا السؤال.

وفي (أليس الصبح بقريب) كان لوط عليه السلام حريصا على الإسراع في إنزال العذاب بقومه، وكأنه رأى بعد الموعد فأكد له قرب الصبح وأنه ليس ببعيد.

ثالثها : في الصورة الثانية كان تقديم المسند وهو خبر ليس على اسمها المسند إليه لغرض بلاغي أيضا، ففي (أليس في جهنم مثوى للكافرين). (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) كان تقديم ذكر جهنم لأن المقام مقام تهديد ووعيد فُعجِّل بما يروع ويخيف، وفي (أليس لى ملك مصر) كان المقام مقام فخر وإظهار عظمة وتفوق، وأن ملك مصر له وحده فاقتضى ذلك تقديم الخبر، وفي (أليس منكم رجل رشيد) كان قوم لوط مخاطبون هم منشأ المصيبة ومصدر البلاء والشغل الشاغل لعقله وقلبه، فلا عجب أن يكون ذكرهم أول ما يجرى به اللسان وهو ينكر ويوبخ.

رابعها : أفادت همزة (أليس) التقرير في مواضعها كلها ماعدا (أليس منكم رجل رشيد). وأفادت التوبيخ في سبعة مواضع، والتهديد والوعيد في ثلاثة، وجاء كل من الفخر والإنكار والإلزام والتسجيل والطمأنة مرة واحدة. خامسها : الاستفهام التقريري أبلغ وأقوى وأكد من الخبر المجرد من ذلك الاستفهام، فقوله تعالى: (أليس الله بأحكم الحاكمين) أبلغ وأقوى وأكد في إثبات المعنى الذي تضمنه هذا الاستفهام من قول قائل: الله أحكم الحاكمين، لأن الاستفهام التقريري يقوم على اعتبار أن السامع أو المخاطب يقر ويعترف بما يتضمنه السؤال على وجه الإثبات، على حين أن الخبر المجرد من ذلك الاستفهام ليس فيه ذلك الاعتبار.

ولأن الاستفهام ينبه المخاطب ويستثيره لما يلقي عليه فكانه يقول له أسمع، انتبه، فيستقر المعنى في ذهنه ويثبت، وليس الحال مع الخبر كذلك، فقد يتنبه المخاطب لما يلقي عليه وقد يغفل عنه.

ولأن الاستفهام يتطلب من المخاطب أن يتخذ موقفا ويحملة مسؤولية الجواب، على حين أن المخاطب مع الخبر ليس كذلك، فهو لا يتحمل مسؤولية الجواب، وربما لا يبالي بمضمون الخبر.

## ٣٥ - أنزل

أما الفعل الخامس والثلاثون من الأفعال لماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام فهو (أنزل) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى:

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾  
 كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرَّنَ فِتْنًا وَأُولَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجَبُوا  
 أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾  
 أَجْعَلُ لِلْأَلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِن هَذَا الشَّيْءُ عِجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ  
 مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾  
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا أَخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَمْ نُزِلَ  
 عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ  
 ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ  
 مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾  
 جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْرُومٌ مِّنَ الْأَحْرَابِ ﴿١١﴾

الآيات: (١ - ١١) من سورة ص.

تتضمن هذه الآيات الكريمة قسما من الله تعالى بالقرآن ذي الذكر والشهرة والشرف على أن محمدا من المرسلين، ولكن الذين كفروا أخذتهم عزة وتكبر وعناد وشقاق، فكذبوا محمدا وأنكروا أن يكون رسولا. لقد أهلك الله أما كثيرة من قبلهم كذبوا الرسل واستغاثوا الله حين رأوا العذاب نازلا بهم، ولكن استغاثتهم ذهب أدرج الرياح، فقد جاءت حين لا ينفع النداء، وحين لا مناص ولا نجاء.

فليحذر الذين يشركون بالله تعالى، ويكذبون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيلحدروا أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالذين من قبلهم، إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب.

هم يعجبون، وليس فيما يعجبون منه عجب، يعجبون وينكرون أن جاءهم محمد رسولا منهم وأنزل عليه القرآن من بينهم، فإذا كان عجبهم أن محمدا لم يكن أعلاهم منزلة ولا أوسعهم شهرة ولا أكثرهم مالا فهذه المقاييس الدنيوية لا ترن عند الله جناح بعوضة، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كان عجبهم وإنكارهم أن يكون بشرا مثلهم فهذه سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم، بعث إلى كل أمة رسولا منهم، (قل لو كان في الأرض مائة مائة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكا رسولا) (٩٥ الإسراء). ولو كنتم أيها المشركون مائة مائة لنزل الله عليكم من السماء ملكا رسولا، ولكنكم كنتم بشرا فأرسل الله إليكم بشرا مثلكم، لتفهموا عنه ويفهم عنكم، ولتأتى له خلاطكم واطلاعه على شؤون حياتكم، وليتسنى لكم أن تتخذوا منه قدوة تقتدون بها في شؤون دنياكم وأخراكم. تعجبون أيها المشركون من أن يدعوكم محمد إلى عبادة إله واحد قادر على كل شيء ولا تعجبون من عبادة آلهة متعددة لا تضر ولا تنفع ولا تحس ولا تعقل، إن هذا الذي أنتم عليه هو العجب العجاب.

لو كان في أشرافكم عقل يفكر وقلب يتدبر ما قالوا تضليلا وشقاقا: سيروا أيها القوم على طريقتكم، واستمروا على عبادة أصنامكم واصبروا على هذه العبادة، فما هذا التوحيد الذي يدعوكم إليه محمد إلا شيء يريد به إفساد دينكم والقضاء على أصنامكم، فما سمعنا بهذه الوحدانية في الملة الآخرة ملة النصارى، وما سمعنا بها في ملة آبائنا وآباء آبائنا من قبل، ما هذه الوحدانية التي جاءكم بها محمد إلا اختلاق، وما ادعاه إنزال القرآن عليه من بيننا إلا افتراء، وما محمد إلا ساحر كذاب.

يقولون ساحر كذاب، وهم على يقين من أن محمدا لم يتعلم السحر، وما خالط الساحرين، ولا يقول لهم سحرا.

يقولون محمد كذاب، وهم على علم لا يشوبه شك بأن محمدا أبعده الناس عن الكذب، لقد عرفوه من قبل أن ينزل عليه القرآن الصادق الأمين، فكيف يصير كذابا بعد أن نزل عليه القرآن ذو الذكر.  
ساحر كذاب!! يقولون هذا بألسنتهم وتكذبه قلوبهم، تقوله السنة الحسد الذي يأكل قلوبهم، وحب الرئاسة الذي ملك عليهم أقطار حياتهم، ويقوله التكبر والعناد والشقاق الذي كان يحيط بهم من كل جانب.  
لقد أخذتهم الحيرة في هذا القرآن ماذا يقولون عنه؛ تارة يقولون افتراه، وتارة يقولون شعر شاعر، وتارة سحر ساحر، وتارة قول كاهن، وتارة هو أساطير الأولين.

إن هؤلاء المشركين لما يذوقوا عذاب الله بعد، ويوم يذوقونه سيذهب عنهم التكبر والعناد والشقاق، ويزول عنهم الشك في أن القرآن وحي أنزله الله من عنده على محمد، يومئذ يؤمنون بما كانوا يعجبون منه وينكرون، ويومئذ يستغيثون وينادون ولات حين استغاثة ونداء.

علام التكبر والعناد والشقاق يا مشركي مكة؟! وفيم الإنكار والتعجب يا كفار قريش؟! أ عندكم خزائن رحمة الله فأنتم لها مالكون وبها تتصرفون، تصيبون بها من تشاءون، وتصرفونها عن تشاءون، وتصطفون للنبوة من تريدون؟! ما عندكم شيء من ذلكم، وإنما هي عند الله العزيز الغالب الذي لا يظلم، الوهاب الذي يهب ما يشاء لمن يشاء.

ألكم يا كفار قريش ملك السموات والأرض وما بينهما؟! إن زعمتم ذلكم فيها هي ذي من فوقكم، فلتصعدوا في المعارج والمناهج ولتأتوا بالوحي فتختصوا به من تشاءون!! إنكم يا كفار مكة أعجز من ذلك وأحقرا!!  
لا تكثر يا محمد بهؤلاء التكبرين المعاندين، فهم جند حقير من الأحزاب التي تكبرت على الرسل من قبلك، وقد قهر الله أولئك وأهلكهم، وعما قريب يكون هؤلاء من المهلكين.

وقد أفاد استفهام (أنزل عليه الذكر من بيننا) أفاد الإنكار  
والتعجب: أفاد الإنكار بمعنى النفي أى لم ينزل عليه القرآن من بيننا،  
فادعاؤه هذا كذب وافتراء.

وأفاد التعجب بمعنى كيف ينزل عليه القرآن وهو بشر مثلنا وواحد مثنا  
وفينا من هو أفضل منه وأحق؟!!

## ٣٦ - توأصى

أما الفعل السادس والثلاثون من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (توأصى) وقد ورد ذلك في موضع واحد في قوله تعالى :

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ  
﴿٥٢﴾ اتَّوَأَصَّوَأَبِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴿٥٣﴾

الآيتان : ( ٥٢ - ٥٣ ) من سورة الذاريات

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان :

لاتأس يا محمد على تكذيب قومك إياك وقولهم لك أنت ساحر أو قولهم مجنون، فإ كنت في هذا بدعا من الرسل، فإ من قوم قبل قومك جاءهم رسول إلا كذبوه وقالوا هو ساحر أو مجنون.

ومما يثير العجب أن تتوارد نفوس الكفار من أولئك الأقوم وتتفق على هذا القول كأنماهم قد تواطئوا عليه وأوصى بعضهم بعضا بأن لا يقول كل قوم لرسولهم إلا هذا القول.

إنهم لم يتواصوا بهذا القول، لأنهم لم يكونوا في زمان واحد، ولم يعيشوا في مكان واحد، فلم تنهياً الفرصة لهذا التواصى.

وإنما الذي جمعهم على هذا القول كأنماهم قد تواصوا به هو اتفاقهم على العلة التي دفعتهم إليه، فقد كانوا جميعا طغاة مستعدين في الأرض متكبرين. وقد أفاد هذا الاستفهام : (أتواصوا به) أفاد التعجب والإنكار والتوبيخ.



أفاد التعجيب على معنى كيف اتفقوا على قول واحد للرسول الذين أرسلوا إليهم كأنهم قد تواصلوا به وقال بعضهم لبعض لا تقولوا للرسول إلا هذا، مع أنهم لم يكونوا في زمان واحد ولا مكان واحد؟! وأفاد الإنكار على معنى لم يكن اتفاقهم على ذلك القول عن تواصل، وإنما كان لعدة جامعة بينهم هي الطغيان والتكبر والعناد والإفساد. وأفاد توبيخ أولئك الأقسام على أن يكون موقفهم من رسلهم التكذيب ووصفهم إياهم بالسحر أو الجنون.

### همزة التسوية والأفعال التي دخلت عليها

وقد بقي أفعال ماضية دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم غير التي تقدمت هي: أُنذِرْ، دَعَا، جَزَعٌ، وَعَظٌ، اسْتَغْفِرْ. وقد أفادت الهمزة الداخلة على هذه الأفعال معنى واحدا هو معنى التسوية، وجاءت فيها على أسلوب خاص التزم فيه أن يتقدم على الهمزة كلمة (سواء) وأن يتأخر عنها (أم) المعادلة لها، وأن يلي الهمزة أحد المعادلين، وأن يلي (أم) المعادل الآخر، كما في قوله تعالى: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم).

وهأنذا مورد هذه الأفعال مرتبة بحسب ورودها في القرآن الكريم: الفعل الأول وهو (أنذر) ورد في موضعين:

الموضع الأول في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧). الآيتان (٦ - ٧) من سورة البقرة.

تتضمن هاتان الآيتان الكرمتان تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم من إيمان جماعة معينة كفرت بالله وبالرسول وما جاء به الرسول عن رب العالمين، فقد أخبره الله عز وجل أن لفائدة من إنذارهم وتخويفهم العذاب، فالإنذار وعدمه عندهم سواء.

لقد علم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا فحتم على قلوبهم فلا ينفذ إليها نور الإيمان، وحتم على آذانهم فلا تصفى إلى دعوة الحق ولا تسمع، وجعل على أعينهم غشاوة فلا تبصر سبيل الهدى.

لقد أعد الله لهؤلاء الذين كفروا عذابا عظيما.

وقد جاءت الهمزة الداخلة على (أنذرتهم) في قوله تعالى (سواء عليهم أنأنذرتهم أم لم تنذرتهم) جاءت على صورة الاستفهام ولكنها لا تدل على استفهام وإنما تدل على التسوية، والتسوية معنى من معانى همزة الاستفهام البلاغية، وعن نص على ذلك ابن هشام في كتابه مغنى اللبيب حيث قال في أثناء حديثه عن الهمزة: «قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي فتزد ثمانية معان أحدها التسوية» اهـ.

ثم ذكر بقية المعانى الثمانية ومنها الإنكار والتقدير والتهكم.

(وسواء) اسم بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر، ويوصف به ويخبر به على أنه بمعنى مستو، وقد وقع هنا خبرا لإن، و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والهمزة الأولى في (أنذرتهم) همزة استفهام تدل على التسوية ولا يراد بها الاستفهام، وكل من هذين الفعلين في (أنذرتهم أم لم تنذرتهم) مؤول بمصدر، وهذا المصدر في محل رفع فاعل لسواء، والتقدير: إن الذين كفروا سواء عليهم إنذارك وعدم إنذارك.

ومجوز في (سواء) أن تكون خبرا مقدما، والمصدران المؤولان من (أنذرتهم أم لم تنذرتهم) مبتدأ مؤخر، والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر في محل رفع خبر لإن، والتقدير: إن الذين كفروا إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم.

وجملة (لا يؤمنون) يجوز أن تكون خبرا ثانيا لإن، ومجوز أن تكون مستأنفة مؤكدة لمضمون ما قبلها ومفسرة له.

و(أم) قى (أنذرتهم أم لم تنذرهم) عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها، وتسمى متصلة، لأن ما قبلها وما بعدها متصلان، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة، لأنها عادت همزة الاستفهام حين يستفهم بها عن تعيين أحد شيئين أو أكثر، وعادت همزة التسوية حين تستعمل الهمزة للتسوية بين شيئين أو أكثر، فالهمزة وأم في هذين الاستعمالين لا تنفك إحداها عن الأخرى.

## الموضع الثانى

الموضع الثانى لهمزة الاستفهام الدالة على التسوية والداخلة على الفعل الماضى (أنذر) ورد في قوله تعالى:

يَسْ ۙ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمِ ۙ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۙ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۙ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۙ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَنَفَلُونَ ۙ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۙ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۙ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۙ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۙ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۙ

الآيات : ( ١ - ١١ ) من سورة يس

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن الله سبحانه وتعالى يقسم بالقرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إن محمداً لمن المرسلين من رب العالمين، وإنه لرسول الله على رغم تكذيب المشركين، وإن الإسلام الذي يدعو إليه هو الدين الحق والصراط المستقيم الذي ينتهى بمتبعيه إلى الخير في الدنيا وإلى الخير في الآخرة، وإن هذا القرآن لمنزل على محمد من عند الله العزيز الغالب في انتقامه ممن أشرك به وكفر، الرحيم الرؤوف بمن تاب إليه واتبع هداه. ولقد نزلنا عليك هذا القرآن يا محمد لتنذر في أول بعثتك قومك الذين لم ينذر آبائهم من قبل فهم جميعاً لأجل هذا سادرون في الغفلة غارقون في الضلال.

ولن ينتفع بهذا الإنذار إلا قليل من الناس، أما أكثر الناس فقد علم الله أنهم لا يؤمنون، فكتب عليهم العذاب في نار جهنم. إن الذين أعرضوا عن الإيمان ولم يتدبروا القرآن واستكبروا عما دعاهم إليه الرسول سيجعل الله يوم القيامة في أعناقهم أغلالاً عريضة تبلغ الأذقان فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون من أبصارهم لا يستطيعون أن يلتفتوا يميناً ويسرة ولا أن يروا الطريق من تحت الأقدام.

إن هؤلاء الذين أعرضوا عن الإيمان قد جعل الله بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فلا يستطيعون مضياً ولا يرجعون، لقد أعمى الله أبصارهم عن الهدى وسد عليهم طريق الرشدهم فهم لا يؤمنون. هؤلاء الذين قد علم الله أنهم لا يؤمنون فكتب عليهم العذاب سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم، إنهم لن يجدوا فيهم إنذار ولن تفلح فيهم دعوة، فأعرض عنهم، وأنذر أولئك الذين يتبعون القرآن ويتدبرون آياته ويعملون بما جاء فيه، ويخشون الله سرا وعلانية، فبشر أولئك بمغفرة عظيمة وأجر كريم. هذا، وهمة الاستفهام (أم) في قوله تعالى (سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم) قد جردتا من معنى الاستفهام واستعملتا للدلالة على التسوية من باب المجاز المرسل (١) كبقية المعانى البلاغية التي تخرج إليها همة الاستفهام.

و(سواء) خبر مقدم و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان ب (سواء)  
والمصدران المؤولان من الفعل الواقع بعد همزة الاستفهام والفعل الواقع بعد  
(أم) في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم.

(١) راجع حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام ج١، ص ١٤.

أما الفعل الثاني من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام  
الدالة على التسوية فقد ورد في قوله تعالى:

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ  
أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ ﴿١٩٣﴾

الآية (١٩٣) من سورة الأعراف.

تتضمن هذه الآية الكريمة :

وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم التي تعبدونها من دون الله، إن  
تدعوهم إلى أن يهدوكم سبيل الهدى والرشاد لا يتبعوكم على ما تريدون،  
ولا يستجيبوا إلى ما تدعون، فهم جمادات لا تسمع ولا تعقل، فدعائكم إياهم  
وصمتكم عن هذا الدعاء سواء. ومن جهالتكم وسفاهتكم وسقم تفكيركم  
أنكم تعبدونها وحالها هذه الحال!!

والهمزة في (أدعوتموهم أم أنتم صاهبتون) تدل على معنى التسوية من  
باب المجاز المرسل، ولا تدل على استفهام حقيقي.

(وسواء) اسم مصدر بمعنى الاستواء، ويعامل معاملة المصادر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقد جاء خبرا عن الجمع في قوله تعالى: (فهم فيه سواء).

وجاء وصفا للمؤنث في قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم).

وسواء في (سواء عليهم أذعوتموهم أم أنتم صامتون) خبر مقدم، و(عليهم) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والمصدر المؤول من الجملة الفعلية الواقعة بعد همزة التسوية، والمصدر المؤول من الجملة الاسمية الواقعة بعد (أم) في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: دعاؤكم إياهم وصمتكم عن هذا الدعاء سواء.

وقد جاء المعطوف ب (أم) في (سواء عليهم أذعوتموهم أم أنتم صامتون)، جاء جملة اسمية ولم يجيء جملة فعلية كما جاء في الموضعين السابقين.

ويقول المفسرون جاء جملة اسمية تفننا في التعبير، ورعاية للمجانسة بين أواخر الآيات، وأواخر الآيات التي قبلها: يشركون، يخلقون ينصرون، وجاء هنا صامتون.

وهذه المجانسة منزهة عن التكلف، أكسبت الأسلوب عذوبة في اللسان، ووقعا جميلا في الأذان.

وزيادة على ما تقدم فجملة (أذعوتموهم) الواقعة بعد همزة التسوية جملة فعلية تفيد الحدوث والتجدد، والمقام يقتضى أن يكون المعادل بعد أم مفيدا الثبوت واللزوم، فجاءت الجملة الاسمية التي تفي بهذا الغرض، وعلى هذا يكون المعنى: سواء عليهم أذعوتموهم دعوة متجددة أم لازمتم الصمت.

أما الفصل الثالث من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى: (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لوهدانا الله الهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيئين) الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الذين يحاسبون يوم القيامة يعرضون جميعا أمام الله عزّ وجلّ، وفي أثناء هذا العرض يقول الأتباع الضعفاء لرؤسائهم وأشرفهم، يقولون لهم متهمين مقررعين: أنتم يامن كنتم فينا في الدنيا أشرفا ولنا رؤساء، هل أنتم مغنون عنا شيئا من عذاب الله الذي ترونه ونراه؟! فيعتذر الرؤساء والأشرف في حسرة وندم ويقولون: لو وفقنا الله إلى الإيمان به في الدنيا واتباع الرسل لاهتدينا وهديناكم، ولكننا ضللنا طريق الهدى وأضللناكم، فليس لنا ولكم اليوم من عذاب الله نجاة ولا محيص، سواء أجزعنا من هذا العذاب أم صبرنا عليه.

وهمة (أجزعنا) في (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) تفيد معنى التسوية، ولا تفيد معنى الاستفهام وإن جاءت على صورة الاستفهام، وهكذا هي في مثل هذا الأسلوب، وقد مضى الحديث في الفعل الأول عن المسوغ لاستعمال همة الاستفهام في معنى التسوية. (سواء) خبر مقدم، و(علينا) جار ومجرور يتعلقان بسواء، والمصدر المؤول من (جزعنا) والمصدر المؤول من (صبرنا) في محل رفع مبتدأ، والتقدير: جزعنا وصبرنا سواء علينا.

## الفعل الرابع

أما الفعل الرابع من الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى :

كَذَّبَتْ

عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَطَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

الآيات : ( ١٢٣ - ١٤٠ ) من سورة الشعراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

أن قبيلة عاد كذبت رسولها هودا حين قال لهم إني رسول الله إليكم، وإني لصادق أمين في دعوى هذه الرسالة، وإن عقاب الله سيحل بكم إن استمررتم على هذا الشرك وعبادة الأصنام.



وقد قال لهم هود : إنى لا أبغى أجرا على هذه الرسالة، ولا أريد مالا، ولا أن تجعلونى عليكم أميرا، أو أن تعطونى عرضا من أعراض هذه الدنيا الفانية، فأجرى عند الله يوم يبعث الناس من قبورهم ويحاسبون على أعمالهم، وقد أنكر هود على قومه ثلاثة أشياء كانت فيهم ووبخهم عليها : أنكر على قومه أن يقيموا على مرتفعات الأرض أبنية عالية يباهون بها ويفخرون، ويعشون فيها ويلعبون. وأنكر عليهم أن يشيدوا القصور الضخمة المحكمة التي تعمر طويلا، فعل من هو خالد وماهم بخالدين.

وأنكر عليهم أن يبطشوا بمن يبطشون به قساة ظالمين. ثم نصح لهم أن يتقوا الله وعذابه من جراء عبادتهم الأصنام وإنكارهم اليوم الآخر، وتكذيبهم الرسل، وإعراضهم عن أن يشكروا الله على ما أنعم عليهم من أنعام وبنين وجنات وعيون. ضاق قوم هود بهود، ضاقوا بدعوته إياهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ونبذ عبادة الأصنام، ضاقوا بما كان يأمرهم به وينهاهم عنه، وبما كان يذكرهم به من نعم الله، وبما كان يخوفهم به من عذاب الله. قالوا في عناد وتكبر واستخفاف وعدم مبالاة : لن نرعى عما نحن فيه وسواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، فلن نتبع إلا ما كان عليه آباؤنا الأولون، ولابعث ولاحساب ولاعقاب. فأهلكهم الله جزاء كفرهم بريح صرصر عاتية لم تبق منهم باقية، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

ونجى الله هودا ومن كان معه من المؤمنين، وما كان أكثر قومه مؤمنين، وإن ربك هو العزيز الغالب في انتقامه من الكافرين، الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين. وتنفيذ همزة (أوعظت) في (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) تفيد معنى التسوية على معنى : وعظك إيانا يا هود وعدم وعظك يستويان عندنا، فلا جدوى من هذا الوعظ.

وتفيد هذه التسوية تقنيط هود مما يطلبه من قومه وهو أن يعبدوا الله وحده وينبذوا عبادة الأصنام.  
وتفيد أيضا الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به من العذاب.

### الفعل الخامس

أما الفعل الخامس من الأفعال التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على معنى التسوية فقد ورد في قوله تعالى:

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارٌ وَهُمْ  
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۖ

الآيتان : ( ٥ - ٦ ) من سورة المنافقون

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريميتين حالا من أحوال جماعة من المنافقين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم توبوا من هذا النفاق الذي أنتم فيه وأخلصوا الإيمان، وأسألوا الرسول أن يستغفر لكم الله ما فرط منكم - أبوا أن يتوبوا وأن يستغفر لهم الرسول، ولوّوا رؤوسهم مستهزئين وأعرضوا مستكبرين.

وتتضمن الآية الثانية تقنيط الرسول صلى الله عليه وسلم من جدوى الاستغفار لأولئك المنافقين، لأن الله قد غضب عليهم لإصرارهم على النفاق واستخفافهم باستغفار الرسول، فلن يغفر الله لهم، إن الله لا يوفق للإيمان الكاذبين عليه الخارجين عن طاعته.

هذا، وهمزة (أستغفرت) في (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) تدل على معنى التسوية وإن جاءت على صورة الاستفهام، والمعنى: استغفارك لهم وعدم استغفارك يستويان عندهم. وهذه التسوية تفيد تقنين الرسول صلى الله عليه وسلم من جدوى هذا الاستغفار لأن الله قد غضب عليهم ولن يغفر لهم لإصرارهم على النفاق وإعراضهم عن التوبة. وتدل هذه التسوية أيضا على استخفافهم باستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وعدم مبالاتهم بهذا الاستغفار.

### تنبيه

وما ينبغي التنبيه عليه هنا مايلي :

- ١ - أن كلمة (سواء) إذا جاء بعدها همزة التسوية فلا بد أن يصاحبها «أم» العاطفة المتصلة المعادلة كما مرّ في الآيات الست السابقة التي وردت فيها همزة التسوية، ولا يجوز أن تحل «أو» أو الواو محل «أم».
- ٢ - أن كلمة (سواء) إذا لم تذكر بعدها همزة التسوية وجاء بعدها فعلان متعاطفان كقول الصحاح: «سواء عليّ قت أو قعدت» جاز استعمال «أو» العاطفة كقول الصحاح السابق، وجاز استعمال «أم» العاطفة فتقول: سواء عليّ قت أم قعدت.

ولكن ابن هشام في كتابه المغنى خطأ استعمال «أو» في قول الصحاح السابق، وأوجب استعمال «أم» على تقدير همزة التسوية، وقال إن ما جاء في الصحاح سهو. والعلماء الذين يجوزون استعمال «أو» في مثل قول الصحاح السابق يجعلون الكلام على تقدير الشرط وأن (سواء) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير عندهم: إن قت أو قعدت فالأمران عليّ سواء. وهذا تقدير متكلف لا يخلو من تعسف.

- ٣ - وإن جاء بعد كلمة (سواء) اسمان متعاطفان ليسا مسبوقين بهمزة التسوية لزم العطف بالواو كما في:

سواء علينا يا جميل بن معمر، — إذا متّ — بأساء الحياة ولينها.  
٤ — هذا الذي ذكرته في هذا التنبيه أخذته من حاشية الدسوقي على  
المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١٤ وص ٤٤، ومن حاشية الصبان على  
الأشمونى جـ ٣ ص ٩٩، ومن شرح الرضى على الكافية جـ ٢ ص ٣٧٥ ومن  
تفسير الألوسى جـ ١ ص ١٢٩.

## الفصل الثانى

الهمزة الداخلة على أدوات الشرط في القرآن الكريم

١ — الهمزة الداخلة على «إن» الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على «إن» الشرطية في القرآن الكريم فقد  
وردت في ثلاثة مواضع :  
الموضع الأول في قوله تعالى :

وَمَا مُحَمَّدٌ

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ

اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

الآية (١٤٤) من سورة آل عمران.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو إلا رسول  
كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى خلقه دعاء إليه وإلى  
طاعته ثم ماتوا وقبضهم الله إليه حين أنقضت آجالهم، وبقي أتباعهم من

بعدهم يلتزمون مادعوا إليه، ومحمد مثله مثل أولئك الرسل جاء مبلغا عن الله تعالى داعيا إليه وإلى طاعته، وسوف يموت ويقبضه الله إليه حين ينتهي أجله، وعلى أتباعه أن يلتزموا مادعا إليه، ومما دعا إليه الجهاد في سبيل الله تعالى، والصبر على طاعته، فلا ينبغي لأولئك الذين آمنوا به وبصدق مادعاهم إليه، لا ينبغي لهم أن يصيبهم الفزع والهلع فينكصوا على أعقابهم فرارا من المعركة حين قيل في معركة أحد إن محمدا قتل.

والله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى، فالله جلّ وعلا غني عن العالمين، فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وسيجزى الله الشاكرين الذين شكروا الله على أن أنعم عليهم بالإسلام، فجاهدوا في سبيله، وصبروا على طاعته، وصدقوا في الدفاع عن دينه، فثبتوا حتى انتهت المعركة أو استشهدوا فيها.

والشاكرون لفظ عام يندرج فيه كل شاكر فعلا وقولا وإن فسر هنا بالمجاهدين الثابتين في معركة أحد.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) أفاد العتب والإنكار: فقد عتب الله سبحانه وتعالى على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصيبهم الفزع والهلع وأن يفروا من المعركة حين قيل لهم في معركة أحد إن محمدا قتل، عتب الله عليهم ذلك وأنكره على معنى ما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ما فعلوا، كان يجب عليهم أن يثبتوا في المعركة وأن يدافعوا عن هذا الدين الذي آمنوا به وبرسوله، سواء أكان الرسول حيا أم ميتا، فشرية الله لا تموت بموت الرسول الذي بلغها عن ربه ودعا الناس إليها، فهي باقية إلى يوم القيامة يدافع عنها أتباعها الذين يؤمنون بها صادقين، ويجاهدون في سبيلها حتى النصر أو الشهادة.

وإعراب هذا الاستفهام : (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) : الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبل الهمزة، و(مات) فعل الشرط فهو محل جزم، و(انقلب) جواب الشرط فهو في محل جزم أيضا، والجار والمجرور (على أعقابكم) في محل نصب حال من فاعل (انقلبتم)، والتقدير: انقلبتم راجعين.

وهذا الذي تقدم من أن همزة الاستفهام قد دخلت على «إن» الشرطية وقد استوفت شرطها وجزءها هو مذهب سيبويه.

وذهب يونس إلى أن فعل (أنقلبتم) ليس جواب الشرط، وإنما هو الفعل المستفهم عنه، فهو مدخول همزة فينوى به التقديم، وتقدير الكلام عند يونس: أتقلبون إن مات أو قتل، وجواب الشرط عنده محذوف دل عليه مدخول همزة المتأخر لفظا المتقدم تقديرا، وعلى مذهبه تكون «إن» مع شرطها معترضة بين همزة ومدخولها، وبرأي يونس أخذ كثير من المفسرين في هذه الآية.

ولكن أبا البقاء العكبري ذكر في كتابه «إملاء ما من به الرحمن» عند إعرابه هذه الآية أن مذهب سيبويه هو الحق لوجهين:

«أحدهما: أنك لو قدمت الجواب لم يكن للقاء وجه، إذ لا يصح أن تقول أتورني فإن زرتك، ومنه قوله تعالى: (أفإن مت فهم الخالدون).

الثاني: أن همزة لها صدر الكلام، و«إن» لها صدر الكلام، وقد وقعا في موضعهما، والمعنى يتم بدخول همزة على جملة الشرط والجواب لأنها كالشيء الواحد» اهـ.

وبناء على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه يكون مصب الاستفهام ومورده هو جملة الشرط والجواب معا، وعلى رأي يونس يكون مصب الاستفهام ومورده هو جواب الشرط وإن لم يسمه يونس جوابا.

هذا، وسوف يكون بيان معنى همزة الداخلة على «إن» الشرطية فيما يأتي مبنيًا على أن مصب الاستفهام ومورده هو جواب الشرط مقيدا بفعل الشرط كما فعلت في هذا الموضع، وأن جواب الشرط هو أيضا موضع ما أفاده الاستفهام من معان.

الموضع الثاني لهمزة الاستفهام الداخلة على «إن» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ

أَلْخُلْدُ أَفْأَيْنَ مَتَّ فَهَمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾

الآية (٣٤) من سورة الأنبياء.

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لم نخلد أحدا من بنى آدم قبلك يا محمد فنخلك أنت، فلا بد من أن تموت كما مات من كان قبلك، ولن يخلد الله أحدا في هذه الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت، وهؤلاء المشركون الذين يتمنون موتك ليشتموا به هم ميتون على كل حال، فلا شماتة في الإماتة.

وهذا الاستفهام: (أفإن مت فهم الخالدون) يفيد الإنكار والاحتقار: يفيد الإنكار بمعنى النفي وعلى معنى لن يخلد الله تعالى هؤلاء المشركين في الحياة الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت.

ويفيد الاحتقار على معنى إذا كنت أنت يا محمد على علو منزلتك وعظيم قدرك عند الله تعالى سوف تموت، أفيخلد الله تعالى هؤلاء المشركين وليس لهم من الفضل ما يزن مثقال ذرة!!

وإعراب هذا الاستفهام: (أفإن مت فهم الخالدون): الفاء عاطفة، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبلها، و(مت) مؤلفة من مات وهو فعل الشرط في محل جزم ب «إن» ومن التاء ضمير المخاطب المبني على الفتح في محل رفع على الفاعلية، وجملة (فهم الخالدون) في محل جزم جواب الشرط. وجواب الشرط هذا (فهم الخالدون) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه، وهو أيضا موضع مأفاده هذا الاستفهام من معان.

وقد قرىء فعل الشرط السابق (مُتّ) بضم الميم وكسرهما: فعلى قراءة الضم يكون الفعل على لغة مات يموت مثل صام يصوم وقام يقوم، وأصله: موت يموت (بفتح الواو في الماضي وضمها في المضارع) من باب نصر ينصُر، وحين أسند الفعل الماضي (مات) على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سكن آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وضمت الميم للدلالة على أن الألف المحذوفة من هذا الفعل الماضي منقلبة عن واو.

وعلى قراءة كسر الميم (ميتّ) يكون الفعل على لغة مات يمات مثل خاف يخاف ونام ينام، والأصل: موت يموت (بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع) من باب علم يعلم، وحين أسند هذا الفعل الماضي على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سكن آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين وكسرت الميم للدلالة على أن حركة الحرف الأصلي الذي انقلبت عنه الألف في الماضي كانت كسرة.



الموضع الثالث لهمزة الاستفهام الداخلة على «إن» الشرطية في القرآن الكريم ورد في قوله تعالى:

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾  
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا  
إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ  
الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا  
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾  
قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَعْنًا لَنْ نَكْتُمُ اللَّعْنَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تُكْتَمُونَ  
وَلَنْ نَكْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَنْ نَكْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَنْ نَكْتُمُ  
مَنْعَادَابِ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ  
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

الآيات : ( ١٣ - ١٩ ) من سورة يس

تتضمن هذه الآيات الكريمة حوارا بين رسل أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى أهل قرية لم يسمها كانوا يعبدون غيره وبين أهل تلك القرية، وفي آخر هذا الحوار قال أهلها لأولئك الرسل: لقد كنتم شوّما علينا، ولئن لم تنتهوا عما تدعوننا إليه لنرجمتكم بالحجارة وليصيبتكم منا عذاب أليم، فقال لهم الرسل شوّمكم معكم وفيكم، فهذا الضلال الذي أنتم فيه هو شوّمكم، إن دعوناكم إلى الهدى ونهيناكم عن الضلال وبيّنا لكم فساد ما أنتم عليه، تشاءتم بنا وتوعدتم وتهددتم؟! بل أنتم قوم مسرفون في الضلالة ممعنون في الغي.

و(ذكر) في (أن ذكرتم) هو شرط (إن) أما جواب (إن) فمحذوف  
دل عليه الكلام السابق، والتقدير: أن ذكرتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم  
والتعذيب.

وهذا الجواب المقدر المحذوف هو مصب الاستفهام ومورده ومناطه. وهو  
أيضا موضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان:

وقد أفاد استفهام: (أن ذكرتم) أفاد الإنكار والتعجب والتوبيخ: أفاد  
الإنكار بمعنى ماكان ينبغي لكم أيها المشركون أن تتشاءموا بنا وأن تطيروا  
وأن تجعلوا من دعوتنا إياكم إلى عبادة الله وحده، ونهينا إياكم عن عبادة  
الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، لاينبغي أن تجعلوا من ذلكم طيرة وشؤما  
وتهديدا برجمنا بالحجارة ووعيدا بتعذبا العذاب الأليم، كان ينبغي بدلا من  
ذلكم أن تفرحوا بقدومنا، وأن تستجيبوا إلى مادعوناكم إليه، وأن تشكروا  
الله تعالى أن هداكم للإيمان.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا التعجب من أن يتشاءم هؤلاء المشركون وأن  
يطيروا برسلى الهدى والدعوة إلى الإيمان بالله، وإلى نبذ الشرك والشركاء  
والفساد، التعجب من تهديدهم رسل الله برجمهم بالحجارة، ووعيدهم إياهم  
بالعذاب الأليم إن لم يكفوا عن تبليغهم رسالة الهدى والخير والإصلاح.

وأفاد هذا الاستفهام أيضا توبيخ هؤلاء المشركين على مقابلتهم الخير  
بالشر، ومحاربتهم الإيمان بالفسوق والعصيان، وتشاؤمهم بالرسلى وتطيرهم بما  
هو بين وخير وإحسان.

## ٢ - همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية في القرآن الكريم فقد وردت في ثلاثة عشر موضعا :

### الموضع الأول

في قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ  
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ  
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ إِذْ مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ذَلِكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ  
تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ  
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

الآيات : (٤٨ - ٥٢) من سورة يونس

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين من قريش كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد وعد العذاب التي تعدنا به؟! إن كنت صادقاً أنت وأتباعك فيما تعدوننا به من العذاب فليأت على عجل. كانوا يقولون ذلك انكاراً واستخفافاً وسخرية.

وتتضمن هذه الآيات أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: أنا لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله، والأمر كله بيد الله، وقد جعل الله جلّ وعلا لكل أمة موعدا لا يعلمه إلا هو، فإذا حان حينه جاء في وقته المحدد له دون أن يتأخر أو يتقدم. أي شيء تستعجلون من عذاب الله إن أتاكم في ليل أو نهار؟! ليس شيء من العذاب يستعجل، فالعذاب كله على اختلاف ألوانه وتعدد ضروبه مرّ المذاق.

ثم أنتم قوم مجرمون فينبغي لكم أن تنفروا من العذاب وأن تفرقوا لمجيئه، فكيف تطلبونه على عجل؟! ياهول ما تطلبونه!! وبالشقاؤكم بما تستعجلون!! وتتضمن أيضا: سوف يقال لهم إذا وقع عذاب الله بهم فأمنوا به على حين لا ينفعمهم إيمان، سوف يقال لهم توبيخا وتقريعا: الآن تؤمنون بالعذاب وقد كنتم من قبل هذا تستعجلونه مكذبين مستهزئين؟! فذوقوا ما كنتم به تكذبون.

وإعراب هذا الاستفهام: (أثم إذا ما وقع آمنتم به):

(ثم) حرف عطف كالفاء والواو العاطفتين اللتين تقعان بعد همزة الاستفهام، وقد عطفت «إذا» مع شرطها وجوابها على ما قبل الهمزة. و(إذا) شرطية غير جازمة في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها فعل الشرط بعدها وهو (وقع) وجملة الشرط من وقع وفاعله الضمير المستتر فيه لاجل لها من الإعراب. و(ما) الواقعة بعد إذا زائدة للتوكيد، و(آمن) هو جواب إذا وجملة الجواب (آمنتم به) لا محل لها من الإعراب.

وهذا الذي تقدم من أن العامل في إذا الشرطية هو شرطها لاجوابها هو مذهب المحققين من النحاة على ما ذكره ابن هشام في كتابه مغنى اللبيب، وقال الرضي في شرح الكافية: «وبه قال الأكثرون».

ولا يعترض عليهم بأن (إذا) مضافة إلى شرطها والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، لأن «إذا» عند هؤلاء غير مضافة.

وهناك رأي لبعض النحاة يقول إن (إذا) مضافة إلى جملة الشرط بعدها، وإن العامل فيها هو جوابها.

هذا، وقد أفاد استفهام (أثم إذا ما وقع آمنتم به) الإنكار والتوبيخ: أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي ولا يصح ولا يليق أن تؤمنوا بالعذاب حين وقوعه بكم، لأن الإيمان في هذه الحالة غير مجد ولا مقبول. وأفاد توبيخهم على تأخير الإيمان إلى زمن رؤية العذاب واقعا بهم حين لا يقبل إيمان.

ومورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه هو جواب «إذا» وهو (آمنتم به) مقيدا بشرطها، وهذا الجواب أيضا موضع مادل عليه الاستفهام من إنكار وتوبيخ.

### الموضع الثاني

لمزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ  
 عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ  
 يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ  
 رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَ  
 وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْيَلْبَ  
 النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾ وَفِي الْأَرْضِ  
 قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ  
 وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ  
 فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٍ  
 جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ  
 فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

الآيات : ( ٢ - ٥ ) من سورة الرعد

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله عز وجل قد أبدع خلائق عظيمة :  
 فسموات مرفوعة بغير عمد، وشمس وقر مسخران بأمره، وأرض مدها وجعل  
 فيها رواسي وأنهارا وزوجين اثنين من كل ثمر، ونهار يغشاه ليل، وليل يعقبه  
 نهار، وقطع من الأرض متجاورات فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل تسقى  
 بماء واحد، ولكن قدرة الله عز وجل جعلت بعضها أفضل من بعض مذاقا  
 ومطعما.

لقد كان في هذه الخلائق العظيمة التي أبدعها الله عز وجل آيات لمن  
 كان له قلب يفقه ويتدبر، وعقل يذكر ويفكر، وحس سليم يرى ويتذوق  
 ويعتبر.

لقد كان في هذه الخلائق العظيمة دلالات واضحة جلية على أن الذي  
 اخترعها وأبدعها من العدم المحض قادر على أن يعيد الحياة إلى الناس جميعا  
 بعد الممات.

فكان عجيبا كل العجب إنكار أناس أن يكون هناك حياة أخرى،  
 وتكذيبهم بأن يبعثوا بعد موتهم خلقا جديدا، مع أنهم يرون ويحسون هذه  
 الخلائق العظيمة الدالة على أن الله الذي خلقها قادر على كل شيء.  
 ولكن من يكون أولئك الذين ينكرون البعث بعد موت؟! وماذا كان  
 جزاؤهم عند الله جل جلاله؟!

أولئك الذين كفروا برهم، وأي كفر أشنع من أن يكفر الإنسان بربه  
 الذي هو خالقه ومولاه؟!

أولئك الذين أذلهم الله فجعل في أعناقهم الأغلال أغلال الهوان والصغار والاحتقار، أولئك أصحاب النار ليس لهم منها مفرّ، هم فيها خالدون لا يموتون ولا يخرجون.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أإذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد) جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

لقد أنكر المشركون أن يخلقوا خلقا جديدا بعد الموت، وكذبوا بأن يبعثوا من قبورهم بعد أن يصيروا ترابا في جوف الأرض، لقد استبعدوا ذلك، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

و(إذا) في استفهام هذا الموضع شرطية غير جازمة، وهي في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها وهو (كان)، وجوابها محذوف دل عليه (أنا لفي خلق جديد) تقديره: أنخلق خلقا جديدا، والهمزة الثانية مؤكدة للهمزة الأولى.

وجواب (إذا) المقدر المحذوف هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بشرطها، وهذا الجواب هو أيضا موضع مادل عليه الاستفهام من إنكار وتكذيب واستبعاد وسخرية وتعجب.

### الموضع الثالث

لهزمة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

أَنْظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٤٨  
وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَاءَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٤٩

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي  
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ  
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾

الآيات : ( ٤٨ - ٥١ ) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن مشركي قريش كانوا يشبهون الرسول صلى الله عليه وسلم تشبيهات كثيرة، ويضربون له الأمثال المختلفة، فتارة يقولون هو شاعر، وتارة يقولون هو مجنون، وتارة يقولون هو مسحور.. ولكنهم جميعا بهذه الأمثال التي ضربوها قد جاروا عن قصد السبيل ولم يسلكوا سبيل الهدى والإيمان.

كانوا يقولوا منكرين مستهزئين : إذا كنا عظاما وترابا أنا لمبعوثون خلقا جديدا؟! إن هذا لن يكون، ولكن محمدا يدعيه ويقوله!!  
قل لهم يا محمد : لو صارت عظامكم ورفاتكم شيئا آخر أبعد عن الحياة من العظام والتراب، لو صارت حجارة أو حديدا، لو صارت خلقا آخر غيرها مما يكبر ويعظم في صدوركم وتظنون أنه أبعد عن قبول الحياة، فلا بد لكم من البعث مها صرتم.

سيقول لك هؤلاء المنكرون : من ذا الذي يقدر على إعادة الحياة إلينا؟! قل لهم الذي فطركم وأنشأكم من العدم الصرف هو الذي يعيدها إليكم، فالقادر على الابتداء قادر على الإعادة.

وحين يسمع المشركون قولك هذا سيحركون رؤوسهم حركة من يسمع الشيء فينكره ويستبعده ويكذب به ويعجب منه، وسيقولون مستهزئين متى هذا العود والإحياء؟! قل لهم عسى أن يكون قريبا.



وقد أفاد هذا الاستفهام : (أإذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا  
جديدا) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء  
والتعجب :

ينكر هؤلاء المشركون ويكذبون ويستبعدون أن يبعثوا من قبورهم خلقا  
جديدا إذا ماتوا وصاروا عظاما ورفاتا، وهزءون بهذا البعث ويعجبون أن  
يكون.

وكلمة (خلقاً) الواردة في هذا الاستفهام يجوز أن تكون مصدرا منصوبا  
على المفعولية المطلقة والعامل فيه مبعوثون لأنه يلاقيه في المعنى وإن اختلف  
عنه في اللفظ، ويجوز أن يكون (خلقاً) بمعنى مخلوقين فهو منصوب على  
الحالية.

وجواب (إذا) محذوف دلّ عليه (أإنا لمبعوثون خلقا جديدا) وتقديره :  
أنبعث خلقا جديدا، وهو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو  
أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

## الموضع الرابع

لهمة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ  
مِنْ دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا  
وَصُمًّا مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمَ ۚ كَمَا خَبَتِ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾  
ذَلِكَ جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا  
وَرُفْتًا آءِذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ  
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿٩٩﴾

الآيات : ( ٩٧ - ٩٩ ) من سورة الإسراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة :

من يهده الله تعالى فهو المهتدي، ومن يضلهم الله تعالى فهم الضالون  
الذين لا يجدون من دونه أنصارا يحمونهم من عقابه وعذابه.

وسوف يحشر الله تعالى هؤلاء الضالين على وجوههم إذلالا وهوانا، عُمية  
يسيرون على غير هدى ولا يرون طريقا ولا غير طريق مما قد يسرى ويسر،  
بُكْمًا لا ينطقون بما ينفعهم أو يكون لهم حجة، صُمًّا لا يسمعون شيئا يخفف  
عنهم ما هم فيه من خوف وقلق وذ هول ورعب وفزع.

ولكن إلى أين يحشرون؟! يحشرون إلى جهنم، فهي مأواهم وهم وقودها،  
كلما أحرقتم بدلوها خلقا جديدا، فازدادت لهيبا وسعيرا، ليدوقوا عذابا أشد  
وحسرة أوجع.

تلك الحال المهينة المشينة التي حشرهم الله عليها، وجهنم هذه التي كانت هي المأوى، وهذا العذاب الدائم الذي يعذبون، ذلك كله كان جزاء كفرهم بآيات الله، وجزاء كفرهم بقدرته عز وجل على إحيائهم مرة ثانية بعد أن يصيروا في قبورهم عظاما وترابا، فقد أنكروا قدرة الله تعالى على بعثهم، وعميت قلوبهم فلم تدرك أن الله الذي خلق السموات وما فيها والأرض ومن عليها قادر على أن يعيدهم كما خلقهم أول مرة.

لقد جعل الله تعالى لبعث هؤلاء المنكرين المكذبين أجلا مقدرا وموعدا محددًا لا ريب فيه ولا يعلمه إلا الله، ولكن هؤلاء الظالمين الذين حادوا عن طريق الحق والإيمان أبوا مع ظهور الأدلة وقيام الحجج إلا جحودا لهذا البعث وكفرا بآيات الله.

ولقد أفاد هذا الاستفهام (أإذا كنا عظاما ورفاتا أنا لفي خلق جديد) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب:

لقد أنكروا أن يبعثوا بعد موت وكذبوا به تكديبا، ولقد استبعدوه ساخرين متعجبين من أن يكون.

وجواب (إذا) محذوف دلّ عليه (أنا لفي خلق جديد)، والتقدير: نخلق خلقا جديدا، وجواب إذا المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتملقه مقيدا بشرطها، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

## الموضع الخامس

لمزة الاستفهام الداخلة على « إذا » الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ  
 أُخْرِجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ  
 وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ  
 لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ  
 شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ  
 هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

الآيات : ( ٦٦ - ٧٠ ) من سورة مريم

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين كانوا ينكرون أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن يكون عظاما ورفاتا، كانوا يكذبون بهذا ويستبعدونه ويسخرون منه ويعجبون.

ولو كان لدى هؤلاء المنكرين عقل يذكر وقلب يتدبر لأدركوا أن الله الذي أنشأهم من العدم المحض قادر على أن يعيد خلقهم بعد أن يصيروا في الأرض ترابا.

هؤلاء المنكرون المكذبون قد أقسم الله تعالى ليحشرهم يوم القيامة مع الشياطين الذين أضلوهم، ثم ليحضرهم حول جهنم أذلة صاغرين جثيا، ثم لينزعن من كل أمة أيهم كان أشد على الرحمن عصيانا وعتيا، ثم يدعنهم قبل غيرهم في نار جهنم دعا.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالذين هم أولى بنار جهنم قبل غيرهم دخولا وصاليا.

وقد جاء هذا الاستفهام : (ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حيا) جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب، فقد أنكر المشركون أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا في هذه الدنيا، وكذبوا بهذا الإخراج وسخروا به، ورأوه بعيدا لا يمكن وعجيبا أن يكون.

وقد كان إنكارهم بعيدا عن التعقل والتبصر، فالذى خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا هين عليه أن يعيد خلقهم بعد أن يصيروا في الأرض عظاما ورفاتا، فليس في هذه الإعادة ما يدعو إلى استبعاد أو يثير شيئا من التعجب لو كانوا يعقلون.

(وإذا) في هذا الاستفهام شرطية، (ما) زائدة لتأكيد مضمون الجملة التي بعدها، وجواب (إذا) محذوف تقديره أخرج، وقد دلّ عليه (لسوف أخرج حيا) وهذا الجواب المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ما أفاده الاستفهام من معان.

### الموضع السادس

لمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ  
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ  
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا  
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا  
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّجِيعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ  
 ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ  
 مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ  
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

الآيات : ( ٧٨ - ٨٩ ) من سورة المؤمنون

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق لكم أيها  
 الناس السمع الذي به تسمعون، والأبصار التي بها تبصرون، والأفئدة التي  
 بها تفقهون، وهذه من أعظم النعم التي أنعم الله بها عليكم، فكان ينبغي  
 لكم أن تشكروا الله على هذه النعم العظيمة، ومن الشكر أن تنتفعوا بها فيما  
 خلقت له، وما خلقت له أن تسمعوا بها آيات الله التي تسمع، وأن تبصروا  
 بها آيات الله التي تبصر، وأن تتدبروا هذه الآيات جميعا فتدركوا أن الذي  
 أنشأها من العدم قادر على أن يخلقها مرة أخرى بعد الموت، ولكنكم أيها  
 الناس قليلا ماتشكرون الله الذي خلقها لكم، وأنعم بها عليكم، قليلا  
 ماتشكرونه شكرا يرضى عنه في هذه الدنيا، وينفعكم عنده يوم يقوم  
 الحساب.

إن الله قد أنعم عليكم بنعمة الحياة في هذه الدنيا فخلقكم فيها وبثكم  
 من فوق الأرض، ولكنها نعمة لا تدوم، فسوف يمينكم بعد هذا ثم يحييكم ثم  
 إليه وحده تحشرون فيجازيكم بما كنتم تعملون.

كان ينبغي لكم أيها الكافرون أن تتفكروا وتتدبروا أن الذي يحيي  
 ويميت ويخلق الليل والنهار خليفة قادر على أن يخلقكم مرة ثانية، ولكنكم  
 أناس لا تعقلون ولا تبصرون، فقلتم مثل ما قال أسلافكم الأولون الذين كذبوا  
 الرسل، أنكروتم البعث مثل ما أنكروا، وقلتم هيات هيات أن نبعث من  
 قبورنا وقد صرنا ترابا وعظاما، ثم قلتم إن هذا الوعد الذي تعدنا به يا محمد  
 قد وعده آباءنا أناس من قبلك ذكروا أنهم رسل الله كما تذكر أنت أنك  
 رسول، ولكن آباءنا ظلوا في قبورهم لم يبعثوا منها، فكيف نصدق ما تقول.

ماتقوله لنا يا محمد وما قيل لأبائنا من قبلك ما هو إلا أكاذيب سطرها  
الأولون.

وتتضمن هذه الآيات أيضا اعتراف هؤلاء المنكرين للبعث من قريش  
بأن الأرض ومن فيها ملك لله، وأن الله هو رب السموات السبع ورب  
العرش العظيم، وأن الله هو الذي يملك كل شيء، ينجي من يشاء ويعذب  
من يشاء

كان إقرارهم هذا بعظيم سلطانه تعالى وقدرته يقتضى — لو كان عندهم  
مُسكّة من عقل ولحّة من تدبر — أن يؤمنوا بأن الله قادر على إحيائهم بعد  
الممات، ولكنهم قوم قد عزب عنهم التذكر والتدبر، وغاب عنهم التفكير  
السليم والإدراك المستقيم، كانوا قوما كأنما أصابهم سحر وغشيم خبال.  
وقد جاء هذا الاستفهام : (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون)  
جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية  
والتعجب: فقد أنكر المشركون من قريش أن يبعثوا من قبورهم أحياء بعد  
أن يصيروا ترابا وعظاما، وكذبوا بهذا البعث وسخروا منه، ورأوا ذلك بعيدا  
عن الإمكان عجيبا أن يكون.

و(إذا) شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها، وجوابها  
محذوف دل عليه (أإنا لمبعوثون) وتقديره نبعث.  
وهذا الجواب المحذوف المقدر (نبعث) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه  
مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ما أفاده الاستفهام من معان.

### الموضع السابع

لمزة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

أءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا اَيْنَا الْمُخْرَجُونَ ﴿٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا

هَذَا نَحْنُ وَاَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ



الآيات : ( ٦٧ - ٦٩ ) من سورة النمل

تضمن هذه الآيات الكريمة أن الذين كفروا برهم أنكروا أن يخرجوا هم وآباؤهم من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا ويصبحوا ترابا، وقالوا لقد وعدنا هذا، ومن قبل محمد وعد آباءنا ذلك واعدون، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة، فما هذا الوعد إلا أكاذيب سطرها الأولون في الكتب، وتحدثوا بها جيلا بعد جيل.

فردَّ الله سبحانه وتعالى عليهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المكذبين سيروا في الأرض فانظروا إلى ديار من كذبوا رسل الله قبلكم كيف صاروا وكيف صارت مساكنهم، لقد دمرهم الله تعالى ودمر ديارهم، فإن لم تنسبوا إلى الله وتؤمنوا بما جئتكم به كانت عاقبة أمركم خسرا.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أإذا كنا ترابا وآباؤنا أنا لمخرجون) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب : فقد أنكروا الكافرون أن يخرجوا هم وآباؤهم من قبورهم أحياء بعد أن يموتوا وتصير أجسامهم ترابا، لقد كذبوا بهذا الإخراج واستبعدهوا ساخرين منه متعجبين أن يكون.

و(إذا) في هذا الاستفهام شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها وهو (كان)، وجملة الشرط (كنا ترابا) لا عمل لها من الإعراب، و(آباؤنا) عطف على اسم (كان) وهو الضمير المتصل البارز (نا)، وهزمة الاستفهام الثانية تأكيد للهمزة الأولى، وجملة (أنا لمخرجون) لا عمل لها من الإعراب قائمة مقام جواب (إذا) ودالة عليه، وتقديره : نخرج، وجملة (أإذا كنا ترابا وآباؤنا أنا لمخرجون) في محل نصب مفعول به ل (قال).

وجواب (إذا) المحذوف المقدر (نخرج) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.



## الموضع الثامن

لهمة الاستفهام الداخلة على «إذا» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي  
خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوقَّكُمْ  
مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾  
وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

الآيات : ( ١٠ - ١٢ ) من سورة السجدة

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المكذبين بالبعث كانوا يقولون إذا متنا  
وصرنا ترابا من تراب الأرض أفنعود خلقا جديدا كما كنا من قبل في  
حياتنا الدنيا؟! إن هذا لن يكون.

بل كانوا يذهبون إلى أبعد من هذا وأشنع، كانوا يكذبون بقاء ربهم من  
بعد الممات ليحازهم بما كانوا يعملون.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول  
لهؤلاء المكذبين إن الله هو الذي خلق الموت والحياة، وإنه هو الذي يحيى  
ويميت، وقد وكل أمر موتكم إلى ملك من ملائكته هو ملك الموت، فهو  
الذي يتوفاكم بأمره تعالى، ثم يبعثكم الله جل وعلا أحياء يوم القيامة  
فترجعون إليه ليجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

ولو ترى يا محمد أولئك الذين أجزموا وأنكروا البعث وقالوا إذا ضللنا في  
الأرض إنا لفي خلق جديد، لو تراهم يا محمد يوم القيامة لرأيت أمرا عجبا،  
كانوا على أسوأ حال، قد طأطأوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والذل والغم

والندم والحسرة، يقولون: أبصرنا اليوم ما كنا نكذب به في الدنيا، وسمعنا الآيات التي كنا ننكرها ونعرض عنها في حياتنا الأولى، إننا اليوم موقنون أن ماجاء به محمد كان حقا وصدقا، ربنا أرجعنا إلى الدنيا لنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل.

ولكن هيات هيات لما يطلبون!! لقد أبصروا حين لاينفعهم إبصار، وسمعوا حين لاينفعهم سمع.

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أإذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب :

فقد أنكر المجرمون أن يبعثوا خلقا جديدا من بعد موتهم في الحياة الدنيا، وضيع أجسامهم في تراب الأرض، وكذبوا بهذا البعث واستبعدوه، وسخروا منه، وعجبوا من أن يكون.

و(إذا) شرطية في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها شرطها (ضل)، وجملة الشرط (ضللنا في الأرض) لاجل لها من الإعراب على الرأي الأرجح والأقوى، وجواب (إذا) محذوف قام مقامه ودل عليه (أنا لفي خلق جديد).

وتقديره : نخلق خلقا جديدا.

وهذا الجواب المحذوف المقدر (نخلق خلقا جديدا) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

## الموضع التاسع

لهزمة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

فَأَسْتَفْهِمُ أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقًا  
 أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ  
 وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ  
 ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أءَاذَانَنَا وَكُنَّا رِأْبًا وَعَظْمًا  
 أءَا نَالِ الْمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ  
 ﴿١٨﴾

الآيات : ( ١١ - ١٨ ) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم: سل يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث من بعد الممات: أخلقنا إياهم أشد وأشق أم خلق من قد خلقنا من الملائكة والشياطين والسموات والأرض وما بينهما؟!  
 إنا خلقناهم من طين ملتزق بعضه ببعض فكيف يستنكرون أن يخلقوا من طين مثله؟!

ولقد قدرنا على خلقهم بدءاً فن السهل الهين أن نخلقهم مرة أخرى.  
 لقد عجبت يا محمد من أن ينكروا البعث من هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة على البعث.  
 وإذا ذكروا هؤلاء المشركون حجج الله على صحة البعث لا يتعظون بتلك الحجج ولا ينتفعون، وإذا رأوا آية باهرة معجزة دالة على البعث قالوا هازئين

ساخرين ماهذا إلا سحر ميين، أتبعث إذا صرنا في تراب الأرض عظاما  
وترابا؟! أو يبعث أيضا آباؤنا الأولون وقد مضى عليهم في باطن الأرض  
قرون؟! إن هذا لشيء عجاب هيات هيات أن يكون!!

قل لهم يا محمد في حزم وحسم وتقريع ودون جدل: نعم سوف تبعثون  
على رغم أنوفكم وأنوف آباءكم الأولين، سوف تبعثون جميعا وأنتم أذلة  
صاغرون!!

هذا، وقد قرأ حمزة والكسائي من القراءة السبعة (بل عجبت  
ويسخرون) بضم تاء عجبت، وقرأ باقي السبعة بفتح التاء. وقال الطبري  
في تفسيره لهذه الآية: «إنها قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيتها قرأ  
القارئ نصيب».

وعلى قراءة حمزة والكسائي يكون التعجب مسندا إلى الله عز وجل،  
ولكنه تعجب يليق بكماله وجلاله وليس كتعجب الآدميين، إذ (ليس  
كمثل شئ)، والمعنى على قراءة ضم التاء - والله أعلم - بل عجبت  
من أن ينكر المشركون قدرتي على البعث وهم يعلمون أنني قد خلقت ماهو  
أعظم وأشد من خلقهم.

وقد جاء هذا الاستفهام: (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون  
أو آباؤنا الأولون) جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفي) ومفيدا التكذيب  
والاستبعاد والاستهزاء والتعجب، فقد أنكر أولئك المشركون بعثهم بعد موت،  
وكذبوا به، واستبعدوه كل الاستبعاد، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

وقد سبق أن أعرب مثل هذا الاستفهام أكثر من مرة ولكن (آباؤنا)  
الواردة في هذا الاستفهام قد اختلف الرأي في إعرابها: فقال الزمخشري عند  
تفسيره لهذه الآية: «وآباؤنا معطوف على محل إن مع اسمها أو على الضمير  
المستتر في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام» اهـ.

غير أن الشيخ أبا حيان في تفسيره البحر المحيط رّد هذين الوجهين من  
الإعراب: فقد رّد الوجه الأول وهو العطف على محل إن مع اسمها بأنه  
على خلاف مذهب سيبويه، ورّد الوجه الثاني وهو العطف على الضمير  
المستتر في مبعوثون بأن همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل، وهذا  
العطف يجعلها داخلة على مفرد، ووجه الإعراب عنده أن (آباؤنا) مبتدأ

خبره محذوف تقديره: مبعوثون، ويدل عليه ما قبله، ويكون تقدير الكلام:  
 أنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون لمبعوثون.  
 وجواب (إذا) محذوف دل عليه (أنا لمبعوثون) وتقديره (نبعث) وهذا  
 الجواب هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه، وهو أيضا موضع ما أفاده  
 الاستفهام من معان.

### الموضع العاشر

لمزة الاستفهام الداخلة على إذا الشرطية ورد في قوله تعالى:

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى  
 بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾  
 يَقُولُ أَهْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ آءِ ذَامِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا آءِ نَا  
 لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ  
 الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتُرَدِّينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي  
 لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾

الآيات : ( ٥٠ - ٥٧ ) من سورة الصافات

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن مما يتمتع به أصحاب الجنة في الجنة أن  
 يقبل بعضهم على بعض فيأخذوا بأطراف الأحاديث فيما بينهم، يتذكرون  
 أحوال الدار الدنيا وما كان قد حدث لهم فيها، وكان من ذلك أن قال قائل

منهم : إنى كان لى مصاحب فى الدنيا يقول لى منكرها هازئاً بى وبإيمانى  
بالبعث والحساب : إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أحياء فحاسبون  
على أعمالنا فجزيون بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ثم قال لأصحابه وجلسائه الذين كانوا يتساءلون فى الجنة : ألا تظلمون  
لنرى ماذا كان مصير ذلك القرين؟! فاطلعوا واطلع فرآه فى وسط الجحيم  
يقاسى العذاب الأليم، فقال له شامتا : تالله إن كدت لتهلكنى ياغواثك،  
ولولا نعمة ربى علىّ بالهداية والإيمان لكنت مثلك من المحضرين هذا  
العذاب الأليم.

وقد جاء هذا الاستفهام : (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أإنا لمدينون)  
جاء مفيدا الإنكار (بمعنى النفى) ومفيدا التكذيب والاستبعاد والسخرية  
والتعجب :

فقد أنكر قرين السوء البعث والحساب والجزاء يوم القيامة وكذب بذلك  
كله واستبعده كل البعد وهزىء به وتعجب أن يكون.

(وإذا) فى هذا الاستفهام شرطية، وجوابها محذوف، دلّ عليه وأغنى عنه  
(أإنا لمدينون)، والتقدير: إذا متنا وكنا ترابا وعظاما نحاسب ونجازى.

وهذا الجواب المحذوف المقدر هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقيدا  
بالشرط، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معان.

### الموضع الحادى عشر

لهمة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد فى قوله تعالى :

بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ  
فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٤﴾ أءَ ذٰمِنَّا وَكُنَّا تُرٰبًا ذٰلِكَ  
رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٥﴾ قَدْ عٰمَنَّا مَا نُنْقِصُ الْاَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتٰبٌ  
حٰفِیْظٌ ﴿٦﴾

الآیات : ( ٢ - ٤ ) من سورة ق

تتضمن هذه الآيات الكريمة عجب كفار قريش أن جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يخوفهم بالبعث وما يعقب البعث من حساب وعقاب، وهو رجل منهم قد عرفوا صدقه وأمانته وإخلاصه في النصح وحرصه على ما ينفع الناس، هذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما وإقرارهم بخلقه تعالى إياهم أول مرة.

فكان عجب كفار قريش — وهذه حالهم وحال الرسول بينهم — بعيدا عن مواطن العجب وما كان ينبغي أن يكون.

لقد كفروا حين أنكروا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من بعث وحساب وعقاب، وكذبوا به واستبعدوه وقالوا هذا شيء عجيب، إذا متنا وكنا ترابا أنرجع أحياء مرة أخرى، هذا رجوع لا يمكن وهيئات هيئات أن يكون.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على استبعادهم هذا الرجوع بأنه عالم بما تنقصه الأرض من أجسامهم وتأكله من لحومهم وتبليه من عظامهم، وعنده تعالى كتاب حافظ كل شيء لا يضل ولا ينسى، ومن كان عالما بذلك كان قادرا على رجوعهم أحياء كما كانوا.

وهذا الاستفهام : (إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد) أفاد الإنكار (بمعنى النفسي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب، فقد أنكر كفار قريش رجوعهم أحياء من بعد أن يصيروا ترابا، وكذبوا به، واستبعدوا وقوعه، وسخروا منه، وعجبوا أن يكون.

وجواب (إذا) الشرطية محذوف دلّ عليه وأغنى عنه (ذلك رجوع بعيد) وتقدير الكلام: إذا متنا وكنا ترابا نرجع أحياء كما كنا قبل الموت. وهذا الجواب المحذوف المقدر (نرجع) هو مورد الاستفهام ومصبه ومتعلقه مقهداً بالشرط، وهو أيضا موضع ما أفاده الاستفهام من معان.

## الموضع الثاني عشر

لهمة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ  
 الشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٤٣ لَا بَارِدٍ  
 وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ  
 عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا  
 وَعِظْمًا إِيَّاهُ تَالْمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوْلُونَ ٤٨ قُلِ إِيَّاكَ  
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠  
 ثُمَّ إِنَّكُمْ إِيَّاهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ٥١ لَا كَلِمَةَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ٥٢  
 فَهَالِكُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ فَشَرِبُوا  
 شُرْبَ الْهَلِيمِ ٥٥ هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦

الآيات : ( ٤١ - ٥٦ ) من سورة الواقعة

تضمنت الآيات القرآنية الواردة قبل هذه الآيات المذكورة هنا أن الناس  
 يوم القيامة ثلاثة أصناف :  
 الصنف الأول : وقد وصفهم القرآن الكريم مرة بأنهم أصحاب الميمنة،  
 ومرة أخرى بأنهم أصحاب اليمين.  
 والصنف الثاني : وقد وصفهم القرآن الكريم مرة بأنهم أصحاب المشأمة،  
 ومرة أخرى بأنهم أصحاب الشمال.  
 والصنف الثالث : وهم أفضل الأصناف الثلاثة - وقد وصفهم القرآن  
 الكريم بأنهم السابقون السابقون.



وقد تضمنت تلك الآيات القرآنية الكريمة بعض ما يتمتع به الصنف الثالث والصنف الأول من نعيم الجنة في الجنة.

أما هذه الآيات المذكورة هنا فقد تضمنت شيئاً من عذاب جهنم سوف يلاقه يوم القيامة الصنف الثاني وهم أصحاب الشمال.

ومما تضمنته هذه الآيات أن ريحا هي ريح السموم سوف تهب على أصحاب الشمال من نار الجحيم فتشوى الوجوه وتحرق الأجسام.

سوف تظمئون يا أصحاب الشمال في نار الجحيم التي كنتم بها تكذبون، ولكنكم لن تجدوا فيها ماء بارداً فراتا ينقع الغلة ويطفىء الظمأ كما كنتم في دنياكم تشربون، لن تجدوا اليوم هاهنا إلا ماء حمياً يقطع الأمعاء ويغلى في البطون.

كنتم أيام حرّكم في دنياكم تأوون إلى الظلال الوارفة المخضلة تبردون فيها وتقبلون، أما اليوم فظلكم الظليل من محموم، من هذا الدخان الكثيف الأسود المتصاعد من وقود نار جهنم هيات هيات أن يكون بارداً يخفف عنكم وقدة الحر، أو أن تجدوا في ظله مجلساً أليفاً كريماً تنعمون فيه وتستروحون.

لقد كنتم يا أصحاب الشمال في حياتكم الدنيا مترفين فاكهين، فأعماكم الترف عن اتباع الرسل، وأصررتم على الإشراك بالله وهو الحنث العظيم. أنكرتم البعث والحساب ويوم القيامة، وقلتم ساخرين مكذبين: إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون؟! أو يبعث آباؤنا الأولون وقد ضيعتهم في الأرض القرون؟! إن هذا لن يكون!

قل يا محمد لأصحاب الشمال المكذبين: إن الناس كلهم أجمعين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ومحاسبون، وسوف تكونون أنتم وآباؤكم الأولون ممن يبعثون ويحشرون ويزوقون العذاب الأليم.

تم إنكم أيها الضالون طريق الهدى المكذبون بالبعث والحساب، إنكم وآباءكم ومن كان من أمثالكم سوف تحلون بنار الجحيم ضيوفاً خالدين لا تموتون فيها ولا تحيون ولا تخرجون.

وسوف يكون قراكم فيها طعاماً لم تذوقوه من قبل وشراباً لن تسيغوه أبداً، أما الطعام فتر المذاق كريبه الرائحة من شجر من زقوم، هو أمراض

وأوبئة وسموم، تملثون منه البطون من شدة الجوع، ولكنه لايسمن ولايفنى من جوع.

أما الشراب الذي تشربون على الزقوم فحميم يقطع الأمعاء ويفلى في البطون، تظلون تشربون منه وتشربون ولكنكم لا ترتون ولا تنتهون. وقد أفاد هذا الاستفهام : ( إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) وأفاد التكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب :

فقد أنكر أصحاب الشمال أن يعيشوا هم وآباؤهم الأولون من بعد أن يموتوا ويصيروا ترابا وعظاما، كذبوا بهذا البعث وسخروا منه، واستبعدوا أن يقع وعجبوا أن يكون.

وجواب «إذا» في هذا الموضع ومورد الاستفهام ومصبه وموضع ماأفاده الاستفهام من معان قد مر مثله في الموضع السادس والموضع التاسع.

### الموضع الثالث عشر

لهزمة الاستفهام الداخلة على إذا الشرطية ورد في قوله تعالى :

وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾  
وَالَّذِينَ عَرَفُوا رَبَّهُمْ وَأَحْبَبُوا إِلَهُمْ وَأَقْرَبُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَمَلِ أَتَى عَلَى الْأُمَّةِ قُرْآنٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٤٤﴾

الآيات : ( ١ - ١٤ ) من سورة النازعات

يقسم الله سبحانه وتعالى في الآيات الخمس الأولى بطوائف مختلفة من الملائكة ذوات صفات مختلفة، وجواب هذا القسم قد اختلف فيه العلماء، والرأي - فيما يبدو لي - ماذهب إليه الفراء من أنه محذوف، تقديره لتبعثن، وهذا الجواب المحذوف هو العامل في ظرف الزمان في (يوم ترجف الراجفة).

وتتضمن الآيات التي وردت بعد هذا القسم أن البعث سوف يكون في يوم تقع فيه نفختان: النفخة الأولى (الراجفة التي تمت كل شيء بإذن الله تعالى، ثم تتبعها النفخة الثانية (الرادفة) التي تحيي كل شيء بإذنه تعالى، وفي هذا اليوم تضطرب قلوب الكافرين أشد الاضطراب، ويصيبها من الخوف والهلع أشد ما يكون عليه الخوف والهلع، وفي هذا اليوم تخشع أبصار الكافرين وتذل، وتغشاها الكآبة ويملاها الغم والههم والحزن والحسرة، وتنظر نظرات من يترقب نزول البلاء العظيم.

هؤلاء الكافرون الذين تجف قلوبهم في هذا اليوم وتخشع أبصارهم هم الذين كانوا يقولون في الدنيا منكرين هذا اليوم مكذبين به، مستبعدين وقوعه ساخرين منه متعجبين من أن يكون، كانوا يقولون: أنا لمرودون إلى الحياة ونحن في القبور المحفورة في الأرض، أنرد ونحن عظام نخرة بالية أشد ماتكون بعدا عن الحياة؟! إن هذا لشيء عجاب!!

وكانوا يقولون أيضا ساخرين: إن صحّت تلك الرجعة إلى الحياة بعد الموت فنحن الخاسرون حقا لأننا كنا بها مكذبين.

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم بعد أن أقسم في أول السورة أنهم سيبعثون أحياء يوم القيامة، ردّ سبحانه وتعالى عليهم بما يتضمن:

لاتحسبوا هذه الكرة صعبة تحتاج إلى معاناة وطول زمن، إنها سهلة هينة في قدرة الله تعالى، فما هي إلا صيحة واحدة لاثانية لها ولاثالثة، ولاتحتاج إلى شيء يصاحبها ويشد أزرها، صيحة واحدة فقط، ثم في أقل من لح البصر يخرج هؤلاء المنكرون للبعث أحياء من فوق الأرض، تجف منهم القلوب وترتعد الفرائص وتغشى أبصارهم الذلة.

وقد أفاد استفهام (أإذا كنا عظاما نخرة) أفاد الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

فقد أنكروا أن يردوا إلى الحياة بعد أن يصيروا في قبورهم ترابا وعظاما  
 نخرة، أنكروا ذلك الرد وكذبوا به واستبعدوه وسخروا منه وتعجبوا أن يكون  
 (إذا) في هذا الاستفهام شرطية، وجوابها محذوف دل عليه (لمردودون)،  
 والتقدير: إذا كنا عظاما نخرة نردّ ونبعث.  
 وهذا الجواب المحذوف هو مورد الاستفهام ومناطه ومتعلقة مقيدا بالشرط  
 وهو أيضا موضع الإنكار والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء والتعجب.

## تنبيهات

- وفي ختام هذه الحديث عن همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية  
 أحب أن أنبهك لأشياء:
- ١ - أن هذه الاستفهامات الثلاثة عشر التي دخلت فيها همزة  
 الاستفهام على (إذا) الشرطية كانت - ماعدا الأول منها - محكية عن  
 المشركين، وأنها أفادت إنكار هؤلاء المشركين للبعث والتكذيب به واستبعاده  
 والسخرية منه والتعجب من أن يكون.
  - ٢ - أن صيغ هذه الاستفهامات كانت متقاربة جدا في الألفاظ  
 والتراكيب والأسلوب والمعنى، ولكنك إذا نظرت إلى السياق الذي سيق  
 فيه، وإلى المورد الذي أوردته وجدت أن كل استفهام كان جديدا بما  
 يصحبه من آيات تختلف من موضع إلى موضع.
  - ٣ - لما كان إثبات البعث من المقاصد الأولى للقرآن الكريم، وكان  
 منكروه كثيرين على تعاقب الأجيال والقرون، لما كان ذلك كذلك جاء  
 ذكره في القرآن الكريم كثيرا ليقرر صحته ويقم الدليل عليه، وليكفر من لم  
 يؤمن به، ولينذرهم عذابا أليما.
  - ٤ - أن مورد الاستفهام بالهمزة الداخلة على (إذا) الشرطية هو جوابها  
 المقيد بشرطها ففي استفهام (أثم إذا ما وقع آمنتم به) كان مورد الاستفهام  
 هو جوابها وهو (آمنتم به) فالإيمان بعذاب الله هو مورد الاستفهام وهو موضع

الإنكار والتوبيخ، ولكن انكار هذا الإيمان والتوبيخ عليه كان بقيد أن يكون هذا الإيمان حاصلًا حين وقوع العذاب بهم، لأن الإيمان حينئذ لا يجدي ولا ينفع، فالإيمان الذي أنكر عليهم ووبخوا عليه هو الإيمان الحاصل حين وقوع العذاب وليس الإيمان مطلقًا وعلى هذا النحو جاء استفهام الهمزة الداخلة على إذا الشرطية في مواضعها الثلاثة عشر السابقة، فقد كان مورد الاستفهام وموضع المعانى التي يدل عليها الاستفهام هو جواب إذا المقيد بشرطها.

### ٣ - همزة الاستفهام الداخلة على ( لو ) الشرطية :

أما همزة الاستفهام الداخلة على « لو » الشرطية في القرآن الكريم فقد وردت في سبعة مواضع :

#### الموضع الأول

الموضع الأول همزة الاستفهام الداخلة على « لو » الشرطية ورد في قوله تعالى :

وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفِينَا عَلَيْهِ  
ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كُنَّا ءَابَاءَهُمْ لَآيَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا  
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

الآية : ( ١٧٠ ) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآية الكريمة أنه إذا قيل لهؤلاء الكفار من المشركين اتبعوا ما أنزل الله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال قالوا لان تتبع ما أنزل الله، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم منكرا موبخا: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولو كان أولئك الآباء لا يعقلون شيئا ولا يهتدون؟! وقد جاء هذا الاستفهام : ( أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) جاء مفيدا الإنكار ( بمعنى لا ينبغي ) ومفيدا التوبيخ والتعجيب : فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الكفرة المشركين ووبخهم أن يتبعوا آباءهم وقد كانوا ضالين جاهلين، ليس لديهم مُسكة من عقل ولا إشارة من هداية، وأنى لهم العقل والهداية وهم يعبدون أصناما لا تملك نفعا ولا ضررا، ويحرمون على أنفسهم ما أحله الله، ويحلون لها ما حرم الله؟!!

لقد كان ذلك الاتباع مثيرا للتعجب باعنا على الاستغراب، فقد كان اتبعا أعمى لآباء ضالين جاهلين، اتبعا ليس فيه تبصّر ولا تعقل، ولا يقوم على حجة ولا برهان.

أما إعراب هذا الاستفهام : (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) فأكتفى منه بما يلي :

الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) حرف شرط لا يجزم، وليست (لو) هنا وصلية زائدة للربط والتوكيد، و(كان) ماض ناقص هو فعل الشرط لا محل له من الإعراب، و(شيئا) يجوز أن يكون مفعولا به على معنى لا يعقلون شيئا من الأشياء، فهو نكرة وقعت في سياق النفي فتعم، ويجوز أن يكون (شيئا) منصوبا على المصدرية بمعنى لا يعقلون شيئا من العقل، وجملة (ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) في محل نصب على الحالية.

وهناك جملة مقدرة بعد همزة الاستفهام مباشرة دلّ عليها الكلام السابق، والتقدير: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون.

وقد اشتملت هذه الجملة المقدرة على صاحب الحال وهو الضمير المفعول به (هم) وعلى العامل في الحال وصاحبها وهو مضارع (يتبعون).

وهذه الجملة المقدرة دلت على جواب (لو) الشرطية وأغنت عنه، وهي مع متعلقها مورد الاستفهام ومناطه ومرتبطه، وموضع ما أفاده هذا الاستفهام من معان.

وقد أعرب العكبري في كتابه (إملاء مامن به الرحمن) وابن عطية في تفسيره، ومكي بن أبي طالب في كتابه (مشكل إعراب القرآن) أعربوا الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام والداخله على (لو) في قوله تعالى (أو لو كان آباؤهم) أعربوها عاطفة، ولم يذكروا المعطوف عليه ولم يقدروه، وذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أنها واو الحال، وحاول أبو حيان في تفسيره البحر المحيط أن يجمع بين الرأيين، فقال إنها حالية لأنها داخله على جملة حالية، وهي في الوقت نفسه عاطفة لأنها عطفت الجملة الحالية بعدها على جملة حالية مقدرة، ولكنه لم يذكر تلك الجملة الحالية المقدرة.

والذي يبدو لى أن الرأي مع الزمخشري، وهو أن الواو الداخلة على (لو) الشرطية واو الحال وليست واو العطف، لأنه ليس هناك ما يصلح أو يحسن أن يكون معطوفاً عليه.

فلا يصلح أن يكون المعطوف عليه هو جملة (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) لأنها محكية عن المشركين، والعطف عليها يجعل المعطوف وهو جملة الاستفهام محكياً عنهم، مع أن جملة الاستفهام ليست من كلامهم، وإنما هي كلام مستأنف.

ولا يحسن أن يكون المعطوف عليه جملة شرطية أخرى مقدرة مخالفة لجملة الشرط المذكورة، فيكون تقدير الكلام معها: أتتبعون آباءهم لو كانوا يعقلون شيئاً ويهتدون ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. لا يحسن ذلك لأنه تقدير متكلف لا يستدعيه المعنى ولا يتطلبه.

هذا، وقبل أن أنتقل إلى الموضع الثانى أحب أن أنقل إليك ملاحظات لأبى حيان في تفسيره البحر المحيط تدل على دقة فهم وحسن تذوق لما جاء في قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وهذه هي الملاحظات:

١ - (وإذا) الواردة في قوله تعالى المتقدم تدل على التكرار، تكرر القول لهم أن يتبعوا ما أنزل الله وتكرر جوابهم برفض هذا الاتباع والإصرار على اتباع آباءهم، وفي هذا دلالة على أن الدعوة إلى الله يجب أن لا تياس وأن لا تتراجع وأن لا تقف أمام إعراض المدعوين عن الحق وشدة تماديهم في الباطل.

٢ - وبني (قيل) لما لم يسم فاعله لأنه أخصر، فلو ذكر الفاعل وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يتبعه من المؤمنين لطل الكلام طولاً لا يستدعيه غرض بلاغي.

٣ - وقد ذكر لفظ الجلالة (الله) في (ما أنزل الله) للإعلام بعظم ما أمروا باتباعه، فقد نسب إنزاله إلى الله تعالى، فكان ينبغي أن يتلقى بالقبول وأن لا يعارض باتباع آباءهم رؤوس الضلالة.



٤ — وقد قدم العقل في قوله تعالى (لا يعقلون) لأن العقل هو الذي تصدر عنه جميع التصرفات، وأخر نفي الهداية في قوله تعالى (ولا يهتدون) لأن ذلك مترتب على نفي العقل، فالهداية ناشئة عن العقل، وعدم العقل عدم لها. اهـ مع تصرف بالزيادة والحذف.

## الموضع الثاني

الموضع الثاني لهزمة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا  
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

الآية : (١٠٤) من سورة المائدة

تتضمن هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الكفرة المشركين كانوا إذا دعوا إلى دين الله وشرعه واتباع ما أنزل الله في كتابه وما يحكم به رسوله قالوا يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا وما كانوا يعملون به من تحليل وتحريم. فرد الله سبحانه وتعالى عليهم : أيكيفهم ما وجدوا عليه آباءهم وقد كان أولئك الآباء جاهلين لا يعلمون شيئا من الحق، ضالين لا يهتدون إلى صواب، هل يكتفى بما كان عليه أولئك الآباء الضالون الجاهلون إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلا؟!

وقد أفاد هذا الاستفهام : (أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) أفاد الإنكار (بمعنى لا ينبغي) وأفاد التوبيخ والتعجيب :  
فقد أنكر الله سبحانه وتعالى عليهم أن يكتبوا بما وجدوا عليه آباءهم من شرك وضلال وجهالة، وأن يجدوا في أعمال آباؤهم وسلوكهم وطرائقهم غنى عما أنزله الله في كتابه من بيان للحق وهدى للناس.  
لقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك ووبخهم عليه، وقد كان ذلك مثيراً للتعجب باعثاً على الاستغراب.

ومورد الاستفهام في (أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه، والتقدير: أي كيف هم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون، وهذا الفعل المقدر مع متعلقه هو أيضاً موضع ما أفاده هذا الاستفهام من معان.  
وقد دلّ على هذا الفعل المقدر بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها.

## الموضع الثالث

الموضع الثالث لهزمة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَ تَكْوِينَهُ بَيْنَكُمْ مِّنْ  
رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا  
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُلْفَسُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنۢ ءَامَنَ بِهِ ۖ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا  
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۗ وَأَنْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ  
مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا  
فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾  
﴿٨٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ  
كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٩﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلِكِكُمْ  
بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ  
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ

بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا الْخَاسِرُونَ  
﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩١﴾  
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا  
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ  
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ  
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

الآيات : ( ٨٥ - ٩٣ ) من سورة الأعراف

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى أهل  
مدينة رسولا منهم هو شعيب عليه السلام، قال لهم : اعبدوا الله لا تشركوا به  
شيئا، وانبذوا عبادة ماعده، إن ماتعدونهم من دون الله لا يدفعون عنكم ضرا  
ولا يجلبون لكم نفعا ولا يعقلون.

وقد جاءتكم بينة من ربكم تثبت لكم أنى رسول الله إليكم حقا  
وصدقا، فأوفوا الكيل حقه إذا بعتم للناس ما يكال، وأوفوا الوزن حقه إذا  
بعتم للناس ما يوزن، وإذا ما اشتريتم من الناس أشياءهم فأعطوهم أثمانها  
كاملة، ولا تعيبوها طمعا أن تنقصوا الأثمان.

ولا تفسدوا في الأرض بعد أن خلقها الله على الوجه الملائم لمنافع الخلق  
فيها ومصالح المكلفين، وبعد أن أرسل الرسل فيها بالأحكام التي شرعها الله  
هدى ورحمة للعالمين.

وهذا الذي أقوله خير لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة إن كنتم  
مؤمنين تبتغون في أعمالكم وجه الله ورضاه.

وإياكم والجلوس في الطرقات تهتدون وتتعدون من آمن بالله ومن اعترم  
الإيمان بالله، وتصدون عن سبيل الله السائرين على الطرق يسألون أين رسول  
الله ليهدوا بهداه وليؤمنوا بالله.

وإياكم أن تفتروا على دين الله الأكاذيب والأباطيل تريدون أن تظهروه للناس ديننا عوجا.

وتذكروا نعمة الله عليكم إذ كثرتم بعد قلة، فبارك لكم في النسل، وقلل فيكم الوفيات، ووهب لأطفالكم الصحة والعافية، فصرتم أمة ذات عدد.

ولكن هذه الكثرة لن تمنعكم من عذاب الله إن أشركتم به وتكبرتم عن اتباع دينه.

ولتكن لكم عبرة وعظة في أمم قد خلت من قبلكم كانت أكثر منكم عددا وأشد قوة، أشركوا بالله وكذبوا الرسل وأفسدوا في الأرض، فدمرهم الله تدميرا، وسوف يصلون في الآخرة سعيرا.

ولقد آمنت طائفة منكم بالذي أرسلت به وكفرت طائفة، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم، ويظهر لنا ولكم أي الطائفتين كانت على الحق، وأي الطائفتين كانت على الباطل، والله أحكم الحاكمين ولا يظلم في حكمه أحدا.

قال أشراف قوم شعيب الذين استكبروا عن الإيمان بالله وعن الإيمان بأن شعيبا رسول الله، قالوا في عتو وغرور: لنخرجتك يا شعيب من قريتنا هذه التي هي موطنك الذي نشأت فيه وترعرعت، لنخرجتك عقابا لك على هذه التفرقة التي أحدثتها في صفوفنا، ولنخرجك خشية أن يزداد افتتان الناس بهذا الدين الذي تدعوننا إليه، ولست بمخرج وحدك، لنخرجن معك هؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوك واتبعوك، أو لتعودن أنت ومن اتبعك في ملتنا التي نحن عليها.

فأجابهم شعيب في إنكار وتعجب ونفور:

أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين لتلك العودة، إن هذا لن يكون وما ينبغي أن يكون.

إننا إن عدنا في ملتكم أكن قد كذبت على الله أنى رسول من عنده، وكذبت على الناس أنى رسول الله إليهم.

كيف نعود في ملة الجهل والضلال وعبادة مالا يحس ولا يعقل ولا يضر ولا ينفع بعد أن نجانا الله منها؟! إننا لن نعود وما ينبغي لنا أن نعود، وهيئات

هيات أن نعود إلا أن يشاء الله ربنا، وسع ربنا كل شيء علما، عليه  
توكلنا وإليه المصير.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق  
وأنت خير الحاكمين.

وقال الذين استكبروا وكفروا من قوم شعيب لمن لم يؤمنوا: لئن اتبعتم  
شعيبا فيما يدعوكم إليه من عبادة إله واحد لا شريك له ونبت عبادة ما كان  
يعبد آباؤكم، لئن اتبعتموه لتكونن من الخاسرين، ولتذوقن منا العذاب  
الأليم.

وينصر الله رسوله شعيبا والذين آمنوا معه، وتأخذ الرجفة قوم شعيب  
الكافرين، وتزلزل الأرض من تحتهم، وتنزل عليهم صواعق السماء، فيصبحون  
في دارهم هلكى على أشع صورة يموت عليها الميتون، ويصبح الذين كذبوا  
شعيبا هم الخاسرين، كأن لم يقيموا في دارهم فاكهين مترفين، يتهدونه  
ويوعدونه بإخراجه وإخراج من آمن معه من قريتهم، أو أن يعود هو ومن  
اتبه في ملتهم كافرين.

ويتلفت شعيب نحو تلك الديار التي أضحت بلاقع، ويرسل النظرات تلو  
النظرات إلى تلك القرية التي صارت إلى أطلال، وتعود به الذكريات إلى  
ملاعب طفولته ومراتع صباه، وتوشك عيناه أن تدمعا، ولكنه يتذكر قومه  
الذين كذبوه وهموا أن يخرجوه، فيقول للنفس تأساء وتعزية: كيف آسى  
على قوم كافرين، أبلغتهم رسالات ربي فكفروا بربي وعبدوا الأصنام،  
ونصحت لهم أن يوفوا الكيل والميزان وأن لا يفسدوا في الأرض، فأبوا إلا أن  
يكونوا مفسدين مطففين، إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو  
وزنوهم يخسرون.

ويتولى شعيب عن قومه الهالكين وعن قريته التي أضحت يابا، يتولى  
فرحا بنصر الله إلى حيث يشاء الله.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أو لو كنا كارهين) أفاد الإنكار والاستبعاد  
والتعجب:

أفاد الإنكار بمعنى النفي أي لن نعود في ملة الكفر بعد أن نجانا الله  
منها، ونحن نكره تلك العودة ونأبأها.

وأفاد الاستبعاد بمعنى هيات هيات لتلك العودة التي نحن لها كارهون.  
وأفاد التعجب من أن يعودوا إلى الكفر بعد الهدى، وأن يرجعوا ضالين  
يعبدون الأصنام بعد أن هداهم الله إلى الصراط المستقيم إلى عبادته وحده  
لاشريك له.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة،  
وجواب الشرط محذوف دلّ عليه وأغنى عنه الفعل المقدر بعد الهمزة،  
والتقدير: أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين، وقد دلّ على هذا الفعل المقدر  
بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها. وجملة (أو لو كنا كارهين) في محل نصب  
على الحالية، وصاحب الحال الضمير المستتر في الفعل المقدر بعد الهمزة وهو  
(نعود) وهذا الفعل (نعود) هو العامل في الحال وصاحبها.  
ومورد الاستفهام ومتعلقه ومصبه هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه،  
وهو أيضا موضع ما يدل عليه الاستفهام وما يفيد من معان.

### الموضع الرابع

الموضع الرابع لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله

تعالى:

قَالَ

لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ

أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعُ يَدَهُ

فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ

عَلَيْكُمْ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

الآيات : ( ٢٩ - ٣٥ ) من سورة الشعراء

تتضمن هذه الآيات الكريمة جانبا من المحاجة التي دارت بين فرعون وموسى عليه السلام حين أتى هو وأخوه هارون فرعون فقالا له إنا رسول رب العالمين.

وفي هذه الآيات يقول فرعون بعد أن هزم في هذه المحاجة، يقول استكبارا عن الحق وتمادياً في الغي، مهددا موعدا: لئن اتخذت ياموسى إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين الذين لم تنس بعد كيف يسجون، وفي أي مكان يحشرون، وأي موت يلاقون!!

قال موسى معرضاً عن تهديده ووعيده: أتجعلنى يافرعون من المسجونين ولو جئتك بشيء بين صدق ما أقول لك ويشهد أنى رسول رب العالمين؟ قال فرعون فأت بذلك الشيء إن كنت صادقاً في أن لك بينة تشهد وبرهاناً يؤيد.

أذن له فرعون أن يأتى بالشيء المبين ظاناً أنه يستطيع أن يبطل ما يجيء به موسى، ولكن موسى فاجأه بما لم يكن يخطر له على بال: ألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ليس فيه خيال ولا خداع، ونزع يده السمراء من حيبه فإذا هي بيضاء ذات نور وشعاع.

لم يستطع فرعون أمام هاتين المعجزتين اللتين أذهلتاه إلا أن يلتفت إلى أشرف قومه ويقول لهم كذبا وافتراء: ما هذا إلا سحر مبين، وإن موسى لساحر عليم، وخوف قومه بأن موسى يريد بسحره هذا أن يخرجهم من أرضهم وأن يجعلهم غرباء أذلاء.

ثم قال فرعون لقومه وقد أذهلته أدلة موسى الباهرة وأنسته ربوبيته الكاذبة، قال يتودد إليهم ويشعرهم أن لهم عنده مقاما عظيماً ومنزلة عالية، ماذا تأمرون في موسى، وبماذا تشيرون؟

وفي الآيات الواردة بعد هذه الآيات المذكورة هنا من سورة الشعراء بقية ما حدث بين فرعون وموسى عليه السلام.

وهذا الاستفهام: (أو لوجئتك بشيء مبين) استفهام حقيقي ساقه موسى إلى فرعون بعد ما تميز فرعون من غيظ وامتلاء من غضب، واستطاع موسى بهذا الاستفهام أن يخفف من تهديد فرعون ووعيده، وأن يستدرجه إلى



الاستماع إليه، وأن يستجيب إلى ما كان موسى يبتغى منه ويريد، فقال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة، وجوابها محذوف دلّ عليه وأغنى عنه الجملة المقدرة بعد الهمزة، والتقدير: أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء مبین، وقد دل على هذا المحذوف المقدر بعد الهمزة الكلام المتقدم عليها.

وجملة (ولو جئتك بشيء مبین) في محل نصب على الحال، وصاحب الحال ياء المتكلم في (أتجعلني من المسجونين) والعامل في الحال وصاحبها الفعل المضارع: (تجعل) وهذا الفعل المضارع المقدر بعد الهمزة مع متعلقه هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه، وهو أيضا موضع ماأفاده الاستفهام من معنى.

### الموضع الخامس

الموضع الخامس لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله

تعالى:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ  
عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ  
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا  
مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ  
الشَّيْطٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

الآيتان : ( ٢٠ - ٢١ ) من سورة لقمان

تتضمن هاتان الآيتان الكرمتان أن مشركي مكة كانوا يرون أن الله سبحانه وتعالى قد خلق السموات والأرض وما فيهن من نجوم وشمس وقمر ومياه وأنهار وبحار وحيوان وجماد ومعادن وأشجار وثمار وزروع وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، كانوا يرون أنه تعالى قد خلق ذلك كله وسخره لمنافع الناس ومصالحهم ومتعمهم، وكانوا يرون كذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على بنى آدم أجمعين نعمًا كثيرة ظاهرة محسوسة تراها العيون ونعمًا كثيرة أخرى غير ظاهرة ولا محسوسة، منها ماتدركه الأفهام والعقول ومنها مالا تدركه العقول والأفهام.

كان مشركو مكة يرون هذا كله ولكنهم يتعامون عن دلالاته على وحدانية الله الذي لا شريك له، وعلى قدرة الله التي ليس لها مماثل، كانوا يتعامون عن تلك الدلالات والآيات ويجادلون الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الوحدانية وفي قدرة الله تعالى على بعث من في القبور، وما كان جدالهم يقوم على علم يستند إلى عقل سليم، ولا على هدي مأخوذ من رسول كريم، ولا على كتاب أنزله الله تعالى من عنده، وإنما كان يقوم على الجهل والعناد والتقليد الأعمى للآباء والأجداد. وإذا ما قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به فهو الذي يهدى إلى الحق ويبعد عن الباطل، أبوا هذا الاتباع وقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة أصنام وحلال وحرام.

فردّ الله تعالى عليهم : أتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان الشيطان يدعو أولئك الآباء إلى ما يكون عقباه عذاب الجحيم؟! هذا، وقد أفاد استفهام : (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي، وأفاد التوبيخ والتعجيب :

فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المشركين من كفار مكة وأمثالهم ممن يجادلون في وحدانية الله تعالى وفي قدرته على البعث، أنكر عليهم ووبخهم أن يتبعوا آباءهم اتباعًا أعمى في عبادة الأصنام وفي أضاليل وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، اتباعًا أعمى لا يقوم على علم

صحيح، ولاعلى هدى من رسول ولا على كتاب منزل، وإنما هو اتباع يعتمد على الجهل والعناد وعلى وساوس الشيطان التي يدعو إلى عذاب جهنم يوم القيامة.

لقد كان اتباعا يثير التعجب ويبعث على الاستغراب، فقد كان بعيدا عن التفكير والتعقل والتدبر، متعامياً عن دلالات ما يروونه في خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهن لهم وللناس، متعامياً عما أسبغه الله عليهم من نعم ظاهرة وباطنة لاتعد ولا تحصى.

وهمة الاستفهام في (أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) داخلية على فعل محذوف دل عليه الكلام السابق، والتقدير: أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير، وهذا الفعل المحذوف مع ما يتعلق به هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه وموضع ما أفاده الاستفهام من معان.

والواو الداخلة على (لو) في هذا الاستفهام واو الحال، و(لو) شرطية جوابها محذوف دل عليه وأغنى عنه الجملة المقدرة بعد الهمزة، والواو وما دخلت عليه في محل نصب على الحال، وصاحب الحال المفعول به المحذوف (آباءهم) والتقدير: أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

### الموضع السادس

الموضع السادس لهمة الاستفهام الداخلة على «لو» الشرطية ورد في قوله تعالى:

أَمْ أُتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ سُفْعَاءُ  
قُلْ أُولَئِكَ أَنْوَأَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾  
قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ  
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

الآيتان : (٤٣ - ٤٤) من سورة الزمر

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين ووبخهم أن يتخذوا أصنامهم آلهة وأن يقولوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم بهذه الشفاعة، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يأذن لهم بها فكيف يكونون شفعاء؟! فالشفاعة كلها ملك لله تعالى والله تعالى له ملك السموات والأرض يتصرف فيها وبمن فيها كيف يشاء، ثم إليه يرجع الناس جميعا يوم القيامة والله الأمر كله يومئذ ولا يشفع أحد عنده إلا بأذنه.

وما كان ينبغي لهؤلاء المشركين أن يتخذوا أصنامهم من دون الله شفعاء وهي لا تملك شيئا ولا تحس ولا تعقل، ولكن هؤلاء المشركين قوم لا يعقلون. وقد أفاد هذا الاستفهام : (أو لو كان آباؤهم لا يملكون شيئا ولا لا يعقلون) أفاد الإنكار (بمعنى لا ينبغي) وأفاد التوبيخ والسخرية والتعجب: فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين أن يتخذوا من أصنامهم التي لا تملك شيئا ولا تعقل، أن يتخذوها من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله تعالى والشفاعة كلها لله تعالى ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، أنكر عليهم ووبخهم على ذلك الاتخاذ الذي يثير التعجب ويبعث على الاستغراب والسخرية.

وموضع الاستفهام ومناطه ومصبه الذي أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والسخرية هو الفعل المقدر بعد الهمزة مع متعلقه والتقدير: أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون، وقد دل على هذا المحذوف المقدر قوله (أم أتخذوا من دون الله شفعاء) المذكور قبل الهمزة.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام واو الحال وصاحب الحال المفعول به المحذوف مع عامله والتقدير أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون.

(ولو) شرطية غير جازمة وجوابها محذوف دل عليه وأغنى عنه الكلام السابق المتقدم على الهمزة.

## الموضع السابع

الموضع السابع لهمزة الاستفهام الداخلة على (لو) الشرطية ورد في قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا  
إِنَّا وَجَدْنَا عَلَىٰ آبَاءِنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾  
﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا  
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾

الآيات : ( ٢٣ - ٢٥ ) من سورة الزخرف

تتضمن هذه الآيات الكريمة : لم نرسل يا محمد من قبلك إلى قرية رسولا يدعو أهلها إلى عبادة الله ويحذرهم من عبادة الأصنام ويخوفهم من سخط الله وعقابه إلا قال رؤساؤها المترفون الذين أبطرتهم النعمة وآثروا الشهوات معرضين عما جاءهم به ذلك الرسول : إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على آثارهم مقتدون، نفعل كالذي يفعلون، ونقول كالذي يقولون، ونعبد ما كانوا يعبدون.

فلم يكن بدعا يا محمد أن يسلك مشركو قومك طريق من قبلهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وفي احتجاجهم بما احتجوا به للإقامة على دينهم الباطل والاستمرار على عبادة الأصنام.

كان كل رسول يقول لأهل القرية التي أرسل إليها بعد أن يجيبوه بأنهم سوف يظلمون على دين آبائهم، كان يقول لهم : أتقتدون بآبائكم ولو جئتمكم من عند ربكم بدين أهدى إلى طريق الحق وأدل على سبيل الرشاد من دين آبائكم وملتهم.

كان أهل تلك القرى يقولون لأولئك الرسل الذين أرسلوا إليهم :

إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون ولو كان أهدى مما وجدنا عليه آباءنا. لقد انتقمنا من أولئك الذين كذبوا الرسل من قبلك فلم نبق منهم باقية، انظر كيف كانت عاقبة أولئك المكذبين، ولا تكثر بما يفعل أولئك المشركون، وسوف يرون أي منقلب ينقلبون.

والهمزة في هذا الاستفهام : (أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) داخلة على فعل محذوف مقدر يدل عليه الكلام السابق للهمزة، والتقدير: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بأهدى مما وجدتموهم عليه. وهذا الفعل المحذوف المقدر بعد الهمزة مع متعلقه هو مورد الاستفهام ومناطه ومصبه، وهذا الفعل أيضا موضع ما أفاده الاستفهام من معان. والمعانى التي أفادها هذا الاستفهام : (أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هي التقرير والإنكار والتعجب :

أفاد التقرير بمعنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال على سبيل الإيجاب أو على سبيل النفي، وقد أجاب المشركون بالإيجاب، أجابوا بأنهم كافرون مكذبون بما أرسل به الرسل، وهذا يعنى بطريق غير مباشر أنهم يقتدون بآبائهم ولو جاءهم الرسول بأهدى مما وجدوا عليه أولئك الآباء. وأفاد هذا الاستفهام الإنكار بمعنى لا ينبغي لهؤلاء المشركين أن يقتدوا بآبائهم اقتداء أعمى يقوم على محض التقليد دون تفكر وتدبر، ولا ينبغي لهم أن يعرضوا عما جاءهم به الرسول وليس لهم من ذريعة سوى أن ما جاءهم به المرسلون مخالف لما كان عليه آباؤهم الأولون. وأفاد هذا الاستفهام التعجب من أن يقتدى هؤلاء المشركون بآبائهم وآباؤهم على باطل وضلال، وأن يكفروا بما جاءهم به الرسول وفيه الخير والهدى والرشاد.

والواو الداخلة على (لو) في هذا الاستفهام : (أولو جئتكم بأهدى مما  
وجدتم عليه آباءكم) واو الحال، و(لو) شرطية غير جازمة، وجوابها محذوف  
دل عليه وأغنى عن ذكره الجملة الفعلية المقدرة بعد الهمزة (أتقتدون  
بآبائكم)، وواو الحال وما دخلت عليه في محل نصب على الحال، وصاحب  
الحال واو الجماعة في (أتقتدون)، والتقدير: أتقتدون بآبائكم ولوجئتكم  
بأهدى مما وجدتموهم عليه.

## ٤ - همزة الاستفهام الداخلة على ( كلما ) الشرطية

أما همزة الاستفهام الداخلة على ( كلما ) الشرطية فقد وردت في موضعين : الموضع الأول ورد في قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ  
بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ  
بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

الآية : ( ٨٧ ) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآية الكريمة : يا بني إسرائيل قد نزلنا التوراة على موسى رسولا إليكم، وأرسلنا إليكم من بعده الرسل تترى رسولا بعد رسول يسرون على شريعته ومنهجه، ويعملون بما كان يعمل، ثم بعثنا إليكم من بعدهم عيسى بن مريم يأمركم بإقامة التوراة والعمل بما جاء فيها، وآتيناه الآيات التي تدل على أنه رسول من عند الله إليكم كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأعطيناه الإنجيل ونصرناه بجبريل، فكنتم كلما جاءكم رسول بما لاتواه أنفسكم استكبرتم عن الإيمان به واتباعه احتقارا له وإعجابا بأنفسكم، ففريقا من هؤلاء الرسل كنتم تكذبون، وفريقا كنتم تقتلون.

وقد أفاد هذا الاستفهام : ( أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون )، أفاد الإنكار ( بمعنى لا ينبغي ) وأفاد التوبيخ والتعجب :



فقد أنكر الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل ووبخهم على تكبرهم على الرسل واحتقارهم إياهم، وعلى قتل من يستطيعون قتله، وعلى تكذيب من لا يستطيعون إلى قتله سيلا.

ولقد كانت حالهم هذه التي استحقوا التوبيخ عليها والإنكار من الله عز وجل، كانت مدعاة أيضا إلى التعجب: فقد كانوا معاندين مستكبرين في استقبالهم دعوة الحق والصدق، سفهاء مكذبين سفاكين للدماء في معاملتهم رسل الله الداعين إلى الخير والهدى.

والفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة، عطفت الجملة التي بعدها على الجملة التي قبلها (ولقد آتينا موسى الكتاب)..

(وكلمة) أداة شرط لاتجزم، وهي ظرف زمان مبنى على السكون في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها جوابها وهو (استكبرتم). ولا يكون كل من جوابها وشرطها إلا فعلا ماضيا.

(وكلمة) تفييد التكرار نصا، تكرر الشرط وتكرار الجواب، وملازمة مضمون الجواب لمضمون الشرط، أما استفادة التكرار من إذا وغيرها من أدوات الشرط فمن القرائن الخارجية.

أما مورد الاستفهام ومناطه ومصبه هنا فهو جواب كلما مع متعلقاته، وهذا الجواب هو أيضا موضع ماأفاده هذا الاستفهام من معان.

## الموضع الثانى

الموضع الثانى لهمزة الاستفهام الداخلة على (كلما) الشرطية ورد في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾  
أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ  
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الآيات : ( ٩٩ - ١٠١ ) من سورة البقرة

تتضمن هذه الآيات الكريمة : لقد أنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن مشتملا على آيات واضحة تبين لعلماء بنى إسرائيل وأخبارهم الجاحدين بنبوتك المكذبين برسالتك، تبين لهم أنك رسول الله حقا وصدقا، وما يجحد بتلك الآيات الدالة على صدق نبوتك وصدق رسالتك إلا الخارجون منهم من دينهم الكافرون بما اشتملت عليه توراتهم.

ومن قبائح يهود بنى إسرائيل أنهم كانوا كلما عاهدوا ربهم عهدا نقض فريق منهم ذلك العهد، ولقد كانت تلك المعاهدات التي يعاهدون عليها الله ثم ينقضونها كثيرة جدا، حتى لكأنما أصبح إعطاء اليهود ثم نقضها سجية فيهم وخليقة، وما كان أولئك اليهود الذين يعاهدون فينقضون قلة في العدد، بل كان أكثرهم يعاهد فينقض ويكفر بالله ورسوله.

ولما جاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله بتصديق ما اشتملت عليه التوراة التي معهم من أن محمدا نبي الله - نبذ علماءهم الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة، نبذوا هذه التوراة ورفضوا العمل بما جاء فيها وهو التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم.

لقد رفض علماء بني إسرائيل الذين يعلمون مافي التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، رفضوا التصديق به واتباعه، ورفضوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه، كأنهم لا يعلمون التوراة ولا يعلمون ماجاء فيها، وكأئنا التوراة لم تخطر لهم على بال.

وقد أفاد استفهام (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) أفاد الإنكار بمعنى لا ينبغي، وأفاد التوبيخ:

فقد أنكر الله عزّ وجلّ على اليهود ووبخهم أن ينقض أكثرهم ما عاهدوا الله عليه مرة بعد مرة وكرة بعد أخرى، حتى أصبح نقض العهود خلقا لازما فيهم لا يبرح، وسجية أصيلة فيهم لا تنفك.

ومورد الاستفهام ومناطه ومصبه في استفهام (أو كلما) هو جوابها (نبذه فريق منهم) وهو موضع الإنكار والتوبيخ.

وقد سبق القول إن (كلما) تفيد التكرار دائما، تكرر الشرط وتكرار الجواب وملازمة مضمون الجواب لمضمون الشرط، وإن شرطها وجوابها لا يكونان إلا ماضيين.

والواو الواقعة بعد همزة الاستفهام هنا في (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) هذه الواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة عند الزمخشري، وقد قدره «أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا» أما على رأي سيبويه والجمهور فحروف العطف التي تقع بعد الهمزة إنما تعطف على ما قبل همزة الاستفهام، وهو هنا (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) .. الآية وأما (عهدا) في قوله تعالى (عاهدوا عهدا) ففعل ثان لعاهد، لأن عاهد هنا تضمنت معنى أعطى فتأخذ مفعولين، والمفعول الأول محذوف لدلالة السياق عليه، والتقدير: أو كلما عاهدوا الله عهدا.

## ٥ - همزة الاستفهام الداخلة على (لَمَّا) الشرطية

أما همزة الاستفهام الداخلة على (لَمَّا) الشرطية فقد وردت في موضع واحد في قوله تعالى:

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا  
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

الآية (١٦٥) من سورة آل عمران

تتضمن هذه الآية الكريمة أن المؤمنين في معركة أحد قد أصيبوا بأن قتل المشركون منهم سبعين نفراً، وكان المؤمنون من قبل قد أصابوا من المشركين في معركة بدر ضعفي ما أصابه المشركون منهم، ومع ذلك عظم على المؤمنين ما أصابهم في معركة أحد، فقد هزموا فيها وكثر فيهم القتلى، فأخذوا يعجبون ويقولون: كيف حدث هذا ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله وعدونا أهل كفر وشرك؟!!

فأمر الله جلّ وعلا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم: هذا الذي أصابكم كان من عند أنفسكم، كان بمخالفة أمرى، وبترككم طاعتي، ولم يكن بسبب أحد سواكم، والله سبحانه وتعالى ذو قدرة على أن يفعل بخلقه ما يريد، فينصر من يشاء، ويمنع النصر عن يشاء.

وقد أفاد هذا الاستفهام: (أولمَّا أصابنكم مصيبة قد أصبتم مثلها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا) أفاد الإنكار والتفريع:

أفاد الإنكار بمعنى ما كان ينبغي لكم أن تقولوا متعجبين: كيف وقعت هذه المصيبة، ومن أين جاءت، وقد كنتم السبب فيها، فقد تركتم موضع الرماة مخالفين أمر الرسول طامعين في الغنائم.

وأفاد تقريرهم على تعجبهم من لحاق الهزيمة بهم وكثرة القتلى منهم، مع أنه لا عجب فيما وقع لهم بعد أن عصوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفوا عن أمره.

ومورد الاستفهام ومناطه ومصبه في استفهام (أولاً) هو جوابها: (قلتم أنى هذا) وهو موضع الإنكار والتقريع.

وإعراب هذا الاستفهام: (أولاً أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا): الواو الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة، عطفت مابعداها على الكلام الواقع قبل الهمزة، وهذا هو رأي سيبويه والجمهور في حروف العطف الواقعة بعد همزة الاستفهام.

وقد ذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف إلى أن هذه الواو عطفت مابعداها على قوله تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده) الآية (١٥٢) من سورة آل عمران، وهذا بعيد جدا لأن بين المعطوف والمعطوف عليه ثلاث عشرة آية. وجوز الزمخشري أيضا أن تكون هذه الواو عاطفة على محذوف مقدر بعد همزة الاستفهام وقد قدر هذا المحذوف «أفعلتم كذا»، وهو متكلف.

(ولمّا) في هذا الاستفهام أداة شرط لاتجزم مبنية على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهي منصوبة بجوابها (قلتم).. وجملة الشرط (أصابتكم....) في محل جر بإضافة (لمّا) إليها.

(وأنى هذا): (أنى) اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، و(هذا) في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة (أنى هذا) في محل نصب مفعول به لقلتم، وجملة (قد أصبتم مثلها) في محل رفع صفة لمصيبة.

والقول بظرفية (لمّا) الشرطية رأي ابن السراج والفارسي وابن جنى وجماعة من النحاة منهم ابن مالك.

وقد ذهب سيبويه إلى أن (لمّا) الشرطية حرف وليست ظرفا، وقد نقل الصبان عن الدماميني بعض الأدلة التي تؤيد مذهب سيبويه (انظر ج ٤ ص ٧ حاشية الصبان على الأشموني)

(ولمّا) على كل حال تقتضى جملتين يوجد مضمون ثانيتهما حين وجود مضمون أولاهما. وهي مختصة بالدخول على الفعل الماضي.

## قارئى الكرم :

أود في ختام هذا البحث أن أضع بين يديك جدولين يوجزان لك  
 ماسبق تفصيله، وأن أرسم أمام عينيك صورة تبصر فيها جماع ماقدمته  
 تفاريق، فالإجمال بعد التفصيل أكد للمعلومات في الذهن، والجمع بعد  
 التفريق أوضح صورة وأحد رؤية، ثم إنى لأرجو أن ترى في هذا الإيجاز  
 وهذه الصورة ما لم تكن قد رأيت من قبل :

## الجدول الأول :

المعنى البلاغى لهزمة الاستفهام	الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم
<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ.</p> <p>الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتهكم.</p> <p>الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ، والتحسر</p>	<p>الفعل الأول : ( اتخذ ) وقد ورد في ثلاثة مواضع :</p> <p>١ - ( قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ) . الآية ( ٨٠ ) من سورة الأعراف وهي مكية .</p> <p>٢ - ( قل أفأنتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا ) الآية ( ١٦ ) من سورة الرعد، وهي مدنية</p> <p>٣ - ( أتخذناهم سخرىا أم زاغت عنهم الأبصار ) الآية ( ٦٣ ) من سورة الرعد، والآية مكية .</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغى) والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد.</p>	<p>الفعل الثانى : ( أمن ) وقد ورد في سبعة مواضع :</p> <p>١ - ( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ) .</p>

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد والوعيد

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجيب والتهديد  
والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتهديد والوعيد.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتهديد والوعيد.

٢ - (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم  
بأسناضحى وهم يلعبون).

٣ - (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله  
إلا القوم الخاسرون). الآيات : (٩٧، ٩٨،  
٩٩) من سورة الأعراف والآيات مكية.

٤ - (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب  
الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)  
الآية (١٠٧) من سورة يوسف والآية مكية.

٥ - (أفأمن الذين مكروا السيئات أن  
يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب  
من حيث لا يشعرون) الآية (٤٥) من سورة  
النحل، والآية مكية.

٦ - (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو  
يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا)  
الآية (٦٨) من سورة الإسراء والآية مكية.

٧ - (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم  
الأرض فإذا هي تمور) الآية (١٦) من سورة  
الملك، والآية مكية.

الفعل الثالث : (آمن) وقد ورد في ثلاثة  
مواضع :

١ - (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن  
لكم) الآية (١٢٣) من سورة الأعراف، والآية  
مكية.

٢ - (قال آمنتم به قبل أن آذن لكم)  
الآية (٧١) من سورة طه، والآية مكية.

٣ - (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم)  
الآية (٤٩) من سورة الشعراء، والآية مكية.

<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والاستبعاد والتعجب.</p>	<p>الفعل الرابع : (بشر)، وقد ورد في موضع واحد: ١ - (قال أبشروني على أن مسنى الكبر) الآية (٥٤) من سورة الحجر، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتعجب.</p>	<p>الفعل الخامس : (بعث) وقد ورد في موضع واحد: ١ - (ومانع الناس أن يؤمنوا إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الآية (٩٤) من سورة الإسراء، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب.</p>	<p>الفعل السادس : (جاء) وقد ورد في خمسة مواضع: ١ - (قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) الآية (٧٠) من سورة الأعراف، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب.</p>	<p>٢ - (قالوا أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض). الآية (٧٨) من سورة يونس، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب.</p>	<p>٣ - (قال أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) الآية (٥٧) من سورة طه، والآية مكية.</p>
<p>استفهام حقيقى يشوبه التعجب والتردد.</p>	<p>٤ - (قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعين). الآية (٥٥) من سورة الأنبياء، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب.</p>	<p>٥ - (قالوا أجبنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا) الآية (٢٢) من سورة الأحقاف، والآية مكية.</p>



الفعل السابع : ( جعل )، وقد ورد في ثلاثة

مواضع :

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ.

١ - (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) الآية (١٩) من سورة التوبة، والآية مدنية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتعجب.

٢ - (أجعل الآلهة إلهًا واحدًا). الآية (٥) من سورة ص، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى النفي).

٣ - (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون). الآية (٤٥) من سورة الزخرف، والآية مكية.

الفعل الثامن : ( حسب ) وقد ورد في ثلاثة

مواضع :

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ.

١ - (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء). الآية (١٠٢) من سورة الكهف، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ.

٢ - (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون). الآية (١١٥) من سورة المؤمنون، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ.

٣ - (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون). الآية (٢) من سورة المنكبوت، والآية مدنية.

الفعل التاسع : ( خرق ) وقد ورد في موضع

واحد :

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتعجب.

١ - (قال أخرقتها لتفرق أهلها). الآية (٧١) من سورة الكهف، والآية مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ	<p>الفعل العاشر : (أذهب) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا). الآية (٢٠) من سورة الأحقاف، والآية مكية.</p>
التنبيه والتعجب.	<p>الفعل الحادي عشر : (رأى) وقد ورد في أربعة وثلاثين موضعا:</p> <p>١ - (قال أرايت إذ أويانا إلى الصخرة فيأني نسيت الحوت) الآية (٦٣) من سورة الكهف، والآية مكية.</p>
التعجب والتعجب والتنبيه.	<p>٢ - (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧)، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) (٧٨) الآيتان (٧٧ - ٧٨) من سورة مريم، والآيتان مكيتان.</p>
التعجب والتعجب والتنبيه.	<p>٣ - (أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) الآية (٤٣) من سورة الفرقان، والآية مكية.</p>
التعجب والتعجب والتنبيه.	<p>٤ - (أفرايت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ماكانوا يوعدون (٢٠٦) ماأغنى ماكانوا يمتعون) (٢٠٧) الآيات (٢٠٥ - ٢٠٧) من سورة الشعراء، والآيات مكية.</p>
التعجب والتعجب والتنبيه.	<p>٥ - (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) الآية (٢٣) من سورة الغاشية، والآية مكية.</p>

التعجب والتعجيب والتنبيه.	٦ - (أرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى) (٣٥) الآيات (٣٣ - ٣٥) من سورة النجم، والآيات مكية.
التعجب والتعجيب والتنبيه والتهديد والوعيد.	٧، ٨، ٩ - (أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى) (١٤) الآيات (٩ - ١٤) من سورة العلق، والآيات مكية.
التشويق والتعجب والتعجيب والتنبيه	١٠ - (أرأيت الذي يكذب بالدين). الآية (١) من سورة الماعون، والآية مكية.
التوبيخ والتهديد والتنبيه	١١ - (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به). الآية (٤٦) من سورة الأنعام، والآية مكية.
التوبيخ والتهديد	١٢ - (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون). الآية (٥٠) من سورة يونس، والآية مكية.
التوبيخ	١٣ - (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) الآية (٥٩) من سورة يونس، والآية مكية.
الإنكار (بمعنى النفي) والتودد والاستدراج	١٤ - (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فحمت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون). الآية (٢٨) من سورة هود، والآية مكية.

التنبيه والتودد والاستدراج	١٥ - (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته) الآية (٦٣) من سورة هود، والآية مكية.
التنبيه والتودد والاستدراج	١٦ - (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا). الآية (٨٨) من سورة هود، والآية مكية.
التنبيه والتودد والاستدراج	١٧ - (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآبائكم الأولون) (٧٦). الآيتان (٧٥ - ٧٦) من سورة الشعراء، والآيتان مكيتان.
التوبيخ والتنبيه	١٨ - (قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء) الآية (٧١) من سورة القصص، والآية مكية.
التوبيخ والتنبيه	١٩ - (قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) الآية (٧٢) من سورة القصص، والآية مكية.
التنبيه والتوبيخ	٢٠ - (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) الآية (٤٠) من سورة فاطر، والآية مكية.

التنبيه والتوبيخ	٢١ - (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته). الآية (٣٨) من سورة الزمر، والآية مكية.
التوبيخ والتنبيه	٢٢ - (قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد). الآية (٥٢) من سورة فصلت، والآية مكية.
التوبيخ والتنبيه	٢٣ - (قل أرايتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم هم شرك في السموات). الآية (٤) من سورة الأحقاف، والآية مكية.
التوبيخ والتنبيه	٢٤ - (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم). الآية (١٠) من سورة الأحقاف، والآية مدنية.
الإنكار (بمعنى لا ينفي) والتوبيخ	٢٥ - (أفرأيتم إلات والعرى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى) (٢١). الآيات (١٩ - ٢١) من سورة النجم، والآيات مكية.
التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ	٢٦ - (أفرأيتم ماتمنون (٥٨) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) (٥٩). الآيتان (٥٨ - ٥٩) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.

<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ</p>	<p>٢٧ - (أفرايتم ما تحرثون (٦٣) أنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون) (٦٤). الآيتان (٦٣ - ٦٤) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.</p>
<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ</p>	<p>٢٨ - (أفرايتم الماء الذي تشربون (٦٨) أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) (٦٩). الآيتان (٦٨ - ٦٩) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.</p>
<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ</p>	<p>٢٩ - (أفرايتم النار التي تورون (٧١) أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (٧٢). الآيتان (٧١ - ٧٢) من سورة الواقعة، والآيتان مكيتان.</p>
<p>التنبيه، والإنكار (بمعنى لا ينبغي) والتوبيخ</p>	<p>٣٠ - (قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا فمن يحير الكافرين من عذاب أليم). الآية (٢٨) من سورة الملك، والآية مكية.</p>
<p>التنبيه والتوبيخ</p>	<p>٣١ - (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين). الآية (٣٠) من سورة الملك، والآية مكية.</p>
<p>التعجب والإنكار (بمعنى لا ينبغي) التوبيخ والتنبيه والتعجب</p>	<p>٣٢ - (أرايتك هذا الذي كرمت علي). الآية (٦٢) من سورة الإسراء والآية مكية. ٣٣ - (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون). الآية (٤٠) من سورة الأنعام، والآية مكية.</p>

التهديد، والتوبيخ، والتنبيه

٣٤ - (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون).  
الآية (٤٧) من سورة الأنعام، والآية مكية.

الفعل الثاني عشر : (رضى) وقد ورد في  
موضع واحد

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجب والتعجب

١ - (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل  
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى  
الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما  
متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل).  
الآية (٣٨) من سورة التوبة، والآية مدنية.

التقرير (بمعنى طلب  
الاعتراف) والتخفيض

الفعل الثالث عشر : (أسلم) وقد ورد في  
موضع واحد:

١ - (وقل للذين أتوا الكتاب والأمة  
أسلمتم). الآية (٢٠) من سورة آل عمران،  
والآية مدنية.

الفعل الرابع عشر : (أشفق) وقد ورد في  
موضع واحد:

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والعتاب

١ - (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم  
صدقات). الآية (١٣) من سورة المجادلة،  
والآية مدنية.

الفعل الخامس عشر : (شهد) وقد ورد في  
موضع واحد:

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتوبيخ والسخرية والتعجب

١ - (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد  
الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم). الآية (١٩)  
من سورة الزخرف، والآية مكية.

<p>الشك والتردد</p> <p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والتعجيب والسخرية</p>	<p>الفعل السادس عشر : (صدق) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين). الآية (٢٧) من سورة النمل والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب</p>	<p>الفعل السابع عشر : (أصفى) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا). الآية (٤٠) من سورة الإسراء، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجيب</p>	<p>الفعل الثامن عشر : (اصطفى) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (اصطفى البنات على البنين). الآية (١٥٣) من سورة الصافات، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ</p>	<p>الفعل التاسع عشر : (أطلع) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا). الآية (٧٨) من سورة مريم، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ</p>	<p>الفعل العشرون : (طال) وقد ورد في موضع واحد:</p> <p>١ - (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يجل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى). الآية (٨٦) من سورة طه، والآية مكية.</p>



<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>الفعل الحادى والعشرون : (عجب) وقد ورد في موضعين : ١ - (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون). الآية (٦٣) من سورة الأعراف، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>٢ - (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم). الآية (٦٩) من سورة الأعراف، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب والتحسر</p>	<p>الفعل الثانى والعشرون : (عجز) وقد ورد في موضع واحد : ١ - (قال ياويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى). الآية (٣١). من سورة المائدة، والآية مدنية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ</p>	<p>الفعل الثالث والعشرون : (عجل) وقد ورد في موضع واحد : ١ - (قال بثسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه). الآية (١٥٠) من سورة الأعراف، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والعتاب</p>	<p>الفعل الرابع والعشرون : (عصى)، وقد ورد في موضع واحد : ١ - (قال ياهارون مامنحك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت أمرى) (٩٣). الآيتان (٩٢ - ٩٣) من سورة طه، والآيتان مكيتان.</p>

<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ والسخرية والتعجب</p>	<p>الفعل الخامس والعشرون : (عَي) وقد ورد في موضع واحد: ١ - (أفعبينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد). الآية (١٥) من سورة ق، والآية مكية.</p>
<p>التردد والتشكك (على سبيل السخرية والاستهزاء)</p>	<p>الفعل السادس والعشرون : (افترى) وقد ورد في موضع واحد: ١ - (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد، أفترى على الله كذبا أم به جنة). الآيتان (٧ - ٨) من سورة سبأ، والآيتان مكيتان.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتقبيح والتعجب</p>	<p>الفعل السابع والعشرون : (قتل) وقد ورد في موضع واحد: ١ - (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس). الآية (٧٤) من سورة الكهف، والآية مكية.</p>
<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتسجيل عليهم والتحذير</p>	<p>الفعل الثامن والعشرون : (أقر)، وقد ورد في موضع واحد: ١ - (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصرى قالوا أقررنا). الآية (٨١) من سورة آل عمران، والآية مدنية.</p>

الفعل التاسع والعشرون : ( استكبر ) وقد ورد

في موضع واحد :

١ - ( قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ) . الآية ( ٧٥ ) من سورة ص ، والآية مكية .

التقرير ( بمعنى طلب الاعتراف ) والتوبيخ والسخرية

الفعل الثلاثون : ( كذب ) ، وقد ورد في

موضع واحد :

١ - ( ويوم نحش من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ( ٨٣ ) حتى إذا جاءوا وقال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ) ( ٨٤ ) . الآيتان ( ٨٣ - ٨٤ ) من سورة النمل ، والآيتان مكيتان .

الإنكار ( بمعنى لا ينبغي ) والتوبيخ والتعجب

الفعل الحادي والثلاثون : ( كفر ) وقد ورد

في موضعين :

١ - ( قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ) . الآية ( ٣٧ ) من سورة الكهف ، والآية مكية .

الإنكار ( بمعنى لا ينبغي ) والتوبيخ والتعجب

٢ - ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) . الآية ( ١٠٦ ) من سورة آل عمران ، والآية مدنية .

الإنكار ( بمعنى لا ينبغي ) والتوبيخ والتعجب

<p>الإنكار (بمعنى لا ينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>الفعل الثاني والثلاثون : ( كان ) وقد ورد في موضع واحد: ١ - ( أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم). الآية (٢) من سورة يونس، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتعجب</p>	<p>الفعل الثالث والثلاثون : ( ألقى ) وقد ورد في موضع واحد: ١ - ( كذبت ثمود بالنذر(٢٣) فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر(٢٤) ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) (٣٥). الآيات (٢٣ - ٢٥) من سورة القمر، والآيات مكية.</p>
<p>التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ والتهكم والإذلال والاحتقار</p>	<p>الفعل الرابع والثلاثون : ( ليس ) وقد ورد في ستة عشر موضعا: ١ - ( ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون). الآية (٣٠) من سورة الأنعام، والآية مكية.</p>
<p>التقرير (بمعنى الإخبار) والرد على المشركين والتوبيخ</p>	<p>٢ - ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين). الآية (٥٣) من سورة الأنعام، والآية مكية.</p>

التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والإلزام، والتسجيل عليهم

٣ - (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآية (٧٢) من سورة الأعراف، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي) والتوبيخ

٤ - (وجاء قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي أظهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد). الآية (٧٨) من سورة هود، والآية مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار) والطمأنة

٥ - (قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب). الآية (٨١) من سورة هود، والآية مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار) والتكذيب

٦ - (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين). الآية (١٠) من سورة العنكبوت، والآية مدنية.

التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد

٧ - (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين). الآية (٦٨) من سورة العنكبوت، والآية مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ	٨ - (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم). الآية (٨١) من سورة يس، والآية مكية.
التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد	٩ - (فن أظلم ممن كذب أو كذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين). الآية (٣٢) من سورة الزمر، والآية مكية.
التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ والتهكم	١٠ - (أليس الله بكاف عبده)، الآية (٣٦) من سورة الزمر، والآية مكية.
التقرير (بمعنى الإخبار) والتوبيخ والتهكم	١١ - (أليس الله بعزيز ذي انتقام). الآية (٣٧) من سورة الزمر، والآية مكية.
التقرير (بمعنى الإخبار) والتهديد والوعيد	١٢ - (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين). الآية (٦٠) من سورة الزمر، والآية مكية.
التقرير (بمعنى الإخبار) والفخر	١٣ - (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون). الآية (٥١) من سورة الزخرف، والآية مكية.
التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) والتوبيخ والتهكم	١٤ - (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون). الآية (٣٤) من سورة الأحقاف، والآية مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار)  
والتوبيخ

١٥ - (أجسب الإنسان أن يترك  
سدى (٣٦) ألم يك نطفة من مني  
يمنى (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨)  
فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (٣٩)  
أليس ذلك بقادر على أن يحيي  
الموتى) (٤٠). الآيات (٣٦ - ٤٠) من سورة  
القيامة، والآيات مكية.

التقرير (بمعنى الإخبار)  
والتهديد والوعيد

١٦ - (والتين والزيتون (١) وطور  
سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد  
خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٤) ثم  
رددناه أسفل سافلين (٥) إلا الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٦)  
فما يكذبك بعد بالدين (٧) أليس الله  
بأحكم الحاكمين) (٨). الآيات: (١ - ٨)  
من سورة التين، والآيات مكية.

الفعل الخامس والثلاثون : (أنزل) وقد ورد  
في موضع واحد:

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتعجب

١ - (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال  
الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل  
الآهة إها واحدا إن هذا الشيء  
عجاب (٥) وانطلق الملائمة منهم أن امشوا  
واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء  
يراد (٦) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن  
هذا إلا اختلاق (٧) أنزل عليه الذكر من  
بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما  
يدوقوا عذاب (٨). الآيات (٤ - ٨) من  
سورة ص، والآيات مكية.

الفعل السادس والثلاثون : (تواصى) وقد ورد في موضع واحد:  
 ١ - (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (٥٣). الآيتان : (٥٢ - ٥٣) من سورة الذاريات والآيتان مكيتان.

التعجب، والإنكار (بمعنى النفي) والتوبيخ

الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام الدالة على التسوية في القرآن الكريم.

الفعل الأول : (أنذر) وقد ورد في موضعين :  
 ١ - (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون). الآية (٦) من سورة البقرة، والآية مدنية.

التسوية والتقنيط

٢ - (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون). الآية (١٠) من سورة يس، والآية مكية.

التسوية والتقنيط

الفعل الثاني : (دعا)، وقد ورد في موضع واحد:

التسوية والتقنيط

١ - (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليهم أذعوتموهم أم أنتم صامتون). الآية (١٩٣) من سورة الأعراف، والآية مكية.



الفعل الثالث : ( جزع ) وقد ورد في موضع واحد :

التسوية والتقنيط

١ - ( وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لوهدانا الله هديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ). الآية (٢١) من سورة إبراهيم، والآية مكية.

الفعل الرابع : ( وعظ )، وقد ورد في موضع واحد :

التسوية والتقنيط

١ - ( قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ). الآية (١٣٦) من سورة الشعراء، والآية مكية.

الفعل الخامس : ( استغفر ) وقد ورد في موضع واحد :

التسوية والتقنيط

١ - ( سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ). الآية (٦) من سورة المنافقين، والآية مدنية.

## الجدول الثاني

أدوات الشرط التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم

الأداة الأولى : (إِنْ) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في ثلاثة مواضع:

العتب والإنكار (بمعنى لا ينبغي)

١ - (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين). الآية (١٤٤) من سورة آل عمران، والآية مدنية.

الإنكار (بمعنى النفي) والاحتقار

٢ - (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون). الآية (٣٤) من سورة الأنبياء، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي) والتعجب والتوبيخ

٣ - (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون (١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين (١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لنن لم تنتهوا لنرجنكم ولیمسنكم منا عذاب أليم (١٨) قالوا طائرکم معکم أن ذکرتم بل أنتم قوم مسرفون (١٩). الآيات : (١٣ - ١٩) من سورة يس، والآية مكية.

الآداة الثانية : (إذا) وقد دخلت عليها همزة

الاستفهام في ثلاثة عشر موضعا :

الإنكار (بمعنى لاينبغي)  
والتوبيخ

١ - (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيانا أو  
نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (٥٠) أثم  
إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به  
تستعجلون) (٥١). الآيتان : (٥٠ - ٥١)  
من سورة يونس، والآيتان مكيتان.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والاستهزاء والتعجب

٢ - (وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا  
ترابا أنا لفي خلق جديد أولئك الذين  
كفروا برهم وأولئك الأغلال في أعناقهم  
وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).  
الآية (٥) من سورة الرعد، والآية مدنية.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والاستهزاء والتعجب

٣ - (وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أنا  
لمبعوثون خلقا جديدا). الآية (٤٩) من سورة  
الإسراء، والآية مكية.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والاستهزاء والتعجب

٤ - (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل  
فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم  
القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمًا  
ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم  
سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا  
بآياتنا وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أنا  
لمبعوثون خلقا جديدا) (٩٨). الآيتان  
(٩٧ - ٩٨) من سورة الإسراء، والآيتان  
مكيتان.

<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب</p>	<p>٥ - (ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حيًا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا) (٦٧). الآيتان : (٦٦ - ٦٧) من سورة مريم، والآيتان مكيتان.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب</p>	<p>٦ - (بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (٨٣). الآيات (٨١ - ٨٣) من سورة المؤمنون، والآيات مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب</p>	<p>٧ - (وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (٦٨). الآيتان : (٦٧ - ٦٨) من سورة النمل، والآيتان مكيتان.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب</p>	<p>٨ - (وقالوا إذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون). الآية (١٠) من سورة السجدة، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والتكذيب والاستبعاد والسخرية والتعجب</p>	<p>٩ - (وإذا رأوا آية يستسخرون (١٤) وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (١٥) إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون) (١٦). الآيات : (١٤ - ١٦) من سورة الصافات، والآيات مكية.</p>

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والسخرية والتعجب

١٠ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٥٠) قال قائل منهم إني كان لى قرين (٥١) يقول أنك لمن المصدقين (٥٢) إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) (٥٣). الآيات : (٥٠ - ٥٣) من سورة الصافات، والآيات مكية.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والسخرية والتعجب

١١ - (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٣). الآيتان (٢ - ٣) من سورة ق، الآيتان مكيتان.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والسخرية والتعجب

١٢ - (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١) في سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لآبارد ولا كرم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (٤٧) أو آباؤنا الأولون) (٤٨). الآيات (٤١ - ٤٨) من سورة الواقعة، والآيات مكية.

الإنكار (بمعنى النفي)  
والتكذيب والاستبعاد  
والسخرية والتعجب

١٣ - (والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢) والساجات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمدبرات أمرا (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨) أبصارها خاشعة (٩) يقولون أئنا لمردودون في الحافرة (١٠) إذا كنا عظاما نخره) (١١). الآيات (١ - ١١) من سورة النازعات، والآيات مكية.

<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>الأداة الثالثة : (لو) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في سبعة مواضع : ١ - (وإذا قيل لهم ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون). الآية (١٧٠) من سورة البقرة، والآية مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>٢ - (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون). الآية (١٠٤) من سورة المائدة، والآية مدنية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى النفي) والاستبعاد والتعجب</p>	<p>٣ - (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين). الآية (٨٨) من سورة الأعراف، والآية مكية.</p>
<p>حقيقى، واستدراج</p>	<p>٤ - (قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أولو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فأتيت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) (٣٣). الآيات : (٢٩ - ٣٣) من سورة الشعراء، والآيات مكية.</p>
<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ والتعجب</p>	<p>٥ - (وإذا قيل لهم ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير). الآية (٢١) من سورة لقمان، والآية مكية.</p>

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والسخرية والتعجب

التقرير (بمعنى طلب  
الاعتراف) والإنكار (بمعنى  
لا ينبغي) والتعجب

٦ - (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل  
أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون). الآية  
(٤٣) من سورة الزمر، والآية مكية.

٧ - (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية  
من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا  
على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣)  
قال أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه  
آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به  
كافرون) (٢٤). الآيتان (٢٣ - ٢٤) من  
سورة الزخرف، والآيتان مكيتان.

الأداة الرابعة : (كلما) وقد دخلت عليها همزة  
الاستفهام في موضعين :

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ والتعجب

١ - (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من  
بعده بالرسل فآتينا عيسى بن مريم البينات  
وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول  
بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم  
وفريقا تقتلون). الآية (٨٧) من سورة البقرة،  
والآية مدنية.

الإنكار (بمعنى لا ينبغي)  
والتوبيخ

٢ - (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما  
يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أوكلما عاهدوا  
عهداً نبذوه فريق منهم بل أكثرهم  
لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند  
الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين  
أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم  
كأنهم لا يعلمون) (١٠١). الآيات  
(٩٩ - ١٠١) من سورة البقرة، والآيات مدنية.

<p>الإنكار (بمعنى لاينبغي) والتوبيخ</p>	<p>الأداة الخامسة : (لما) وقد دخلت عليها همزة الاستفهام في موضع واحد: ١ - (أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا قل هو من عند الله إن الله على كل شيء قدير). الآية (١٦٥) من سورة آل عمران، والآية مدنية.</p>
---	---



## قارئى الكرم :

وإذا أنعمت النظر في هذين الجدولين السابقين ترى أن مواضع همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضى قد بلغت (مائة وعشرة) مواضع، وأن مواضع همزة الاستفهام الداخلة على أدوات الشرط قد بلغت (ستة وعشرين)، وأن معنى التوبيخ فيها قد جاء في (أربعة وسبعين) موضعا وأن الإنكار الذي بمعنى لاينبغى قد جاء في (واحد وخمسين) موضعا، وأما الإنكار الذي بمعنى النفي فقد جاء في (أربعة وعشرين) وأن معنى التعجب قد جاء في (أربعة وأربعين) موضعا، وأن معنى التعجب (أي هل المخاطب أو السامع على التعجب) قد جاء في (سبعة وعشرين) وأن معنى التنبيه قد جاء في (أربعة وعشرين) موضعا، وأن معنى التهكم والسخرية قد جاء في (أربعة وعشرين) موضعا، وأن معنى التهديد والوعيد قد جاء في (تسعة عشر) موضعا، وأن التقرير (بمعنى طلب الاعتراف) قد جاء في (ثلاثة عشر) موضعا.

وأن التقرير (بمعنى الإخبار) قد جاء في (اثنى عشر) موضعا.

وأن معنى التودد والاستدراج قد جاء في (أربعة) مواضع.

وأن معنى الشك والتردد قد جاء في (ثلاثة) مواضع.

وأن معنى العتاب واللوم قد جاء في (ثلاثة) مواضع.

وأن معنى التحسر قد جاء في (موضعين).

وأن كلا من التحفيض والفخر والتقبيح والاحتقار والطمأننة قد جاء في

## (موضع) واحد.

وإن (مائة وثمانية عشر) موضعا من مواضع هذا الاستفهام قد جاءت في آيات مكية.

وأن مواضع هذا الاستفهام في الآيات المدنية كانت قليلة جدا بالنسبة للاستفهامات المكية.

هذا، وقد كانت هذه الكثرة الكاثرة في الاستفهامات المكية البالغة حوالى سبعة أضعاف الاستفهامات المدنية، كانت بسبب أن القرآن الكريم

نزل أول منازل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة، وكان المشركون أول من دعاهم إلى الإسلام، دعاهم إلى أن يعبدوا الله وحده لا يشركون به شيئا، ودعاهم إلى أن ينبذوا عبادة الأصنام، وقال لهم إن الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه تعالى لم يخلق الجن والإنس عبثا، وإنما خلقهم ليعبدوه، وسوف يبعثهم جميعا ليحاسبهم على أعمالهم في يوم لا ريب فيه.

وقال لهم إننى رسول الله حقا وصدقا، وأن هذا القرآن الذي يتلوه عليهم منزل عليه من عند الله.

ودعاهم إلى أن يتفكروا في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم لعلهم يذكرون.

ودعاهم إلى أن يتخلوا عن تقليد آبائهم تقليدا أعمى، وأن يعتبروا بمصير الأقسام الذين كذبوا الرسل من قبلهم فيما قصه القرآن الكريم. ولقد قابل المشركون في مكة هذه الدعوة ومادعتهم إليه، قابلوها بالإعراض والعناد والاستكبار والتكذيب والإصرار على تقليد الآباء والأجداد وعلى عبادة الأصنام، واعتقدوا الملائكة بنات الله، وكذبوا بالبعث وبقدرة الله. تعالى على إحياء الموتى ليوم الحساب، وعموا عما في خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم من دلالات واضحة على أن الله على كل شيء قدير.

وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا يوحى إليه، وأنكروا أن يكون الرسول من البشر، ولم يعتبروا بما حلّ بالأقسام الذين سبقوهم جزاء تكذيبهم الرسل وعبادة الأصنام.

ولقد كان أسلوب الاستفهام أنجع الأساليب في حوار المشركين الذين اتبعوا أهواءهم وركبوا رءوسهم وكانوا قوما لا يعقلون.

وكانت همزة الاستفهام هي الأداة القادرة على أداء تلك المعانى التي اقتضاها ذلك الحوار وتطلبها مواقف العناد والاستكبار والتكذيب التي وقفها مشركو مكة ومشركو الأقسام الذين جاءتهم الرسل من قبل، فكان أن كثرت

المعاني البلاغية لهمزة الاستفهام على النحو الذي سبق تسجيله في الجدولين  
وكان أكثرها التوبيخ والإنكار والتعجب.

هذا، وأما دعوة الإسلام بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى  
المدينة فلم تلاق إعراضا وعنادا واستكبارا وتكديبا كالذي لاقته في مكة،  
بل استقبلت استقبالا حسنا، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا،  
ونزلت الآيات القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم تشرع أحكام  
الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والعهود والمواثيق، وكانت مواقف  
الحوار التي تقتضى أسلوب الاستفهام بالهمزة على نحو ما كان عليه المشركون  
في مكة، كانت قليلة جدا.

قارئ الكريم :

بهذا ينتهى هذا الكتاب، والله تعالى أسأل أن يعين على الجزء الثاني  
الخاص بالهمزة الداخلة على الفعل المضارع وعلى متعلقات الفعل والحمد لله  
رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الصادق الأمين، وعلى آله  
وأصحابه أجمعين.

## المراجع الرئيسية لهذا الكتاب

- ١ — تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى.
- ٢ — تفسير البحر المحيط لأبى عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان الأندلسي.
- ٣ — تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري.
- ٤ — تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادى.
- ٥ — التفسير الكبير لفخر الدين الرازى أبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي.
- ٦ — تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
- ٧ — تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر البيضاوى.
- ٨ — تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشي.
- ٩ — تفسير الجلالين : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى وجلال الدين محمد بن أحمد المحلى.
- ١٠ — الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المشهورة بمحاشية الجمل على الجلالين، تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل.
- ١١ — روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسى.
- ١٢ — تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد

ابن حسين القمي النيسابوري.  
١٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف لأحمد بن المنير وهو حاشية على تفسير  
الكشاف.

١٤ - تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.  
١٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.

## الفهرس

الصفحة	
٣	المقدمة
١١	الأفعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم:
١١	١ - اتخذ
٢٠	٢ - أمن
٣١	٣ - آمن
٣٩	٤ - بشر
٤١	٥ - بعث
٤٢	٦ - جاء
٦١	٧ - جعل
٦٧	٨ - حسب
٧١	٩ - خرق
٧٩	١٠ - أذهب
٨٠	١١ - رأى
٨١	أ - الأسلوب الأول : رأيت
٩٨	ب - الأسلوب الثاني : رأيتم
١٣٤	ج - الأسلوب الثالث : رأيتك
١٣٧	د - الأسلوب الرابع : رأيتمكم
١٤٠	التنبية لأمر تتصل بهمزة الاستفهام الداخلة على فعل رأى
١٥٠	١٢ - رضي
١٥٢	١٣ - أسلم
١٥٤	١٤ - أشفق
١٥٦	١٥ - شهد

١٥٧	١٦ - صدق
١٦٩	١٧ - أصفى
١٧٠	١٨ - اصطفى
١٧٢	١٩ - اطلع
١٧٤	٢٠ - طال
١٨٢	٢١ - عجب
١٨٨	٢٢ - عجز
١٩١	٢٣ - عجل
١٩٣	٢٤ - عصى
١٩٤	٢٥ - عي
١٩٥	٢٦ - افترى
١٩٧	٢٧ - قتل
١٩٨	٢٨ - أقرّ
١٩٩	٢٩ - استكبر
٢٠٣	٣٠ - كذب
٢٠٥	٣١ - كفر
٢١٣	٣٢ - كان
٢١٦	٣٣ - ألقي
٢١٩	٣٤ - ليس
	التنبيه على أشياء ذات صلة
٢٤٠	باستفهام (أليس)
٢٤٣	٣٥ - أنزل
٢٤٧	٣٦ - توأصى
	٣٧ - الأفعال الماضية التي دخلت عليها
٢٤٨	همزة الاستفهام الدالة على التسوية
٢٥٨	تنبيه يتضمن استعمال همزة التسوية
	و(أن) و(أو) بعد كلمة (سواء)

٢٥٩	أدوات الشرط التي دخلت عليها
	همزة الاستفهام في القرآن الكريم
٢٥٩	١ - (إن) الشرطية
٢٦٦	٢ - (إذا) الشرطية
	تنبيهات ذات صلة بهمزة الاستفهام
٢٩١	الداخلة على (إذا) الشرطية
٢٩٣	٣ - (لو) الشرطية
٣١١	٤ - (كلما) الشرطية
٣١٥	٥ - (لَمَّا) الشرطية
٣١٥	جدولان موجزان فيما سبق تفصيله
٣٤٧	المراجع
٣٤٩	الفهرس



رقم الابداع لدى المكتبة الوطنية  
( ١٩٩٢/٤/٢١١ )

مطابع

وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية

للشريعة - الرصيفة - ص.ب ٢٥٢٢ تلفون ٨٨٨١٨١ / ٨٨٨١٨٢

تصويب الاخطاء المطبعية

رقم التسلسل	الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
١	لم يجعل	٢٥	١٤	لم يجعل
٢	أفا	٢٥	١٧	أفاد
٣	حسة	٤٩	١٠	حبة
٤	ون.....	٤٩	٢٧	ونعاس
٥	الإماتة	٥٨	١	الإماتة
٦	أتخاذهم	١١٦	٤	اتخاذهم
٧	م هولين	١٤٩	٢	مفعولين
٨	فد	١٦٥	٢	وفدا
٩	والمعية	١٦٧	١٤	والمعية
١٠	وغضب	١٨٧	٦	وغضب
١١	حئذ	٢٠٤	١٤	حينئذ
١٢	يحفزونهم	٢٠٦	١٨	يحقرونهم
١٣	تقوم	٢١٥	٨	تقوم
١٤	وتفوق	٢٤٢	٨	وتفوق
١٥	توفت	٢٦١	٢	استوفت
١٦	بتعلدنيا	٢٦٥	١٠	بتعلدينا